

جامعة الملك عبد العزيز شطرنجية الملكة

مكتبة التشريعية والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا الشرعية

فروع الكتاب والمصنف



३.१.२.०.०.०.०.३.८

الدرع

في ضوء الكتاب والسنة

رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية

لتحليل درجة الماجستير

فی الکتاب والسنة

تحت اشراف

الاستاذ الدكتور / العجمي ومنه ربي خليفه

وعدو

جہاد محمد بن نجیب علی

10

١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ



2. 7

الملف رقم

في بيان :-

- أهمية الدعاء .
- عناية العلماء بموضوع الدعاء .
- الحاجة إلى بحث جديد في موضوع الدعاء .
- سبب اختيار الموضوع .
- منهج البحث .
- خطة البحث .

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله
من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل
فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله .

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد - كما صليت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد - كما باركت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد .

أما بعد

فمن المعلوم أن منهج الدراسة للدراسات العليا الشرعية بكلية الشريعة
والدراسات الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز - شطر مكة المكرمة - قررت
اعتبار كتابة " الرسالة " الزاميا مستقلا لنيل درجة الماجستير ، وهذا
بعد نجاح الطالب ^{في} السنة المنهجية .

ومن هنا - استخرت الله وأعملت الفكر في اختيار موضوع " الرسالة " ،
ليكون ملائما بتخصصي في " فرع الكتاب والسنة " ، فاذا صدرى ينشرح
وقلبي يطمئن الى موضوع " الدعاء " في ضوء الكتاب والسنة .

وبعد ذلك استشرت الاستاذ المشرف على الموضوع وكتب خطة البحث
وقدمت فجاءت الموافقة عليه ، والحمد لله وَقَعْتُ .

أهمية الدعاء

ان شأن الدعاء لعظيم ، لأنه - قبل كل شيء - هو العبادة ، كما ورد
عن النعمان بن بشير (١) (رضى الله عنه) - عن النبي (صلى الله عليه وسلم)

(١) هو الصحابي النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري - من بني كعب
===

قال : [" الدعاء هو العبادة " (١)]

ثم قرأ : * وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، ان الذين يستكبرون

عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين * (٢) (٣)

والعبادة التي لا تجلبها خلق الله الجن والانس وللدعوة اليها بعث الرسل
(عليهم السلام) قال تعالى * وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * (٤)

وقال سبحانه : * ولقد بعثنا في كل امة رسولا - أن اعبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت * (٥)

فالجن والانس مخلوقان من مخلوقات الله ، والمخلوق - بطبيعته - محتاج

الى خالقه وضعيف في تحقيق مطالبه وعاجز عن بلوغ آماله .

=== ابن الحارث بن الخزرج ، وأمه عمرة بنت رواحة (أخت عبد الله بن رواحة)

ولد قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) بثمان سنين ، وكان كريما

جوادا شاعرا وكان أميرا على الكوفة ثم على حمص لمعاوية ثم ليزيد

فلما مات يزيد صار زبيريا ، وقتل سنة ٦٤ هـ .

(١) سيأتي الكلام عن معنى " الدعاء هو العبادة "

(٢) غافر / ٦٠

(٣) رواه الامام الترمذي بسنده ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، باب تفسير

سورة البقرة ٣٠٨/٨ ، وباب تفسير سورة المؤمن من ١٢٢/٩ ، وباب

ما جاء في فضل الدعاء ٣١١/٩

ورواه الامام ابو داود بسنده ، باب الدعاء ٣٥٢/٤ .

ورواه الامام ابن ماجه بسنده ، باب فضل الدعاء ١٢٥٨/٢

ورواه الامام الحاكم بسنده ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه

وأقره الامام الذهبي ، وقال : صحيح ، باب افضل العبادة هو الدعاء ٤٩١/١

ورواه الامام البخاري بسنده / الأدب المفرد ، باب فضل الدعاء ١٨٥/٢

(٤) الذاريات / ٥٢

(٥) النحل / ٣٦

وقد ورد - في الحديث القدسي - (١) عن أبي ذر (٢) (رضي الله عنه)

عن النبي (صلى الله عليه وسلم) - فيما روى عن الله تبارك وتعالى ، انه قال :

يا عبادي - اني حرمت (٣) الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا

يا عبادي - كلکم ضال الا من هديته ، فاستهدوني - اهدکم

يا عبادي - کلکم جائع الا من اطعمته ، فاستطعموني - اطعمکم

يا عبادي - کلکم عار الا من کسوته ، فاستکسوني - اکسکم

يا عبادي - انکم تخطئون بالليل والنهار ، وانا اغفر الذنوب جميعا ،

فاستغفروني - اغفر لکم

يا عبادي - انکم لن تبلفوا ضوى فتضروني ، ولن تبلفوا نفسي فتتفموني

يا عبادي - لو أن أولکم وآخرکم ، وانسکم وجنکم کانوا علی أتقى قلب رجل

واحد منکم - ما زاد ذلك في ملکی شيئا .

يا عبادي - لو أن أولکم وآخرکم ، وانسکم وجنکم ، کانوا علی أنجر قلب رجل

واحد منکم - ما نقص ذلك في ملکی شيئا

(١) والقدسي ، لغة : نسبة الى " القدس " ، أي : الطاهر ، وكان معناه :

الحديث المنسوب الى الذات القدسية وهو الله سبحانه ، واصطلاحا : " هو

ما نقل البنا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) مع اسناده اياه الى الله

تبارك وتعالى " والفرق بينه وبين القرآن الكريم - كما قال العلماء : ان القرآن

يتعبد بتلاوته ، وانه يشترط في ثبوته التواتر . والحديث القدسي ليس

كذلك ، والقرآن لفظه ومعناه عن الله تعالى ، والحديث القدسي معناه

من الله ولفظه من عند النبي (صلى الله عليه وسلم) .

(٢) هو أبو ذر الغفاري ، واكثر واضح ما قيل في اسمه : " جندب بن جنادة " وكان

من كبار الصحابة قديم الاسلام . يقال : أسلم بركة المكرمة بعد أربعة

فكان خامسا ثم انصرف الى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم على النبي (صلى الله

عليه وسلم) المدينة المنورة ، وتوفي سنة ٣١ هـ ، أو ٣٢ هـ .

(٣) أصل التحريم : المنع ، شبه تنزيهه تعالى عن الظلم باحتراز المكلف عما يسي

عنه في الامتناع واستمراره التحريم ، ثم اشتق منه الفعل فيكون استمارة تبعية .

يا عبادى - لو أن أولكم وآخركم ، وأنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد
فسألونى ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما
عندى إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر (١) .

يا عبادى - إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم إياها ، فمن وجد
خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك ، فلا يلومن إلا نفسه (٢) .

فمن منا ليس في حاجة الى الله ولا يحب أن يلجأ اليه حتى يستطيع
أن يستغنى بنفسه أو بقوته أو بجاهه أو بماله أو بمشيرته عن الله سبحانه ،
لا أحد أقولها وأثقا بضعفنا جميعا وحاجتنا اليه تعالى ، وإن كنا
في غفلة عن هذا في بعض الأحيان .

وقد شاعت في مجتمعنا ظواهر مرضية خطيرة ودخيلة بسبب طغيان
الحياة المادية عليهم طغيانا شديدا . وهم ركنوا الى هذه الحياة التى
لها مشاغلها وغفلوا عن الله وحاجتهم اليه .

والدور الذى يقوم به الدعاء في حياة الانسان هو أن يستأصل هذه
الخفلة ويأتي عليها من جذورها ، لأنه صلة روحية بين العبد وربّه
واعتراف خفي من العبد بأنه محتاج الى ربه وهو ترنيمة العبد وغداؤه ،
الروحي وطعامه الوجداني الذى يربطه بالحياة في كل حين .

(١) المحيط : الابرة ، وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس للتقريب^{الى} الافهام
ومعناه لا ينقص شيئا أصلا ، لأن خزائن الله لا تنقص وأما ماء البحر ينقص ،
فأين هذا من ذاك ؟

(٢) رواه الامام مسلم بسنده واللفظه ، كتاب البر والصلة والآداب (باب تحريم
الظلم) ٤٣٩/٥ - ^{٤٤٠}ورواه الامام الترمذى بسنده . وقال : وهذا حديث حسن ،
أبواب صفة القيامة ١٩٦: ٧ - ١٩٨ . ورواه الامام الحاكم بسنده ، وقال : هذا
حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السبابة ، وتبيحه الامام
الذهبي ، وقال : وهو في مسلم ، كتاب التوبة ٢٤١/٤ . ورواه الامام البخارى
بسنده فى الأدب المفرد ، باب الظلم ظلمات ٥٢١/١ .

ولذلك فإن الدعاء من الأمور التي يحتاج إليها العبد أثناء الليل
وأطراف النهار - في جميع شئونه الدينية والدنيوية .
وكان من حكمة الله أن شرع الدعاء لعباده على امتداد تاريخ البشرية
وأن وضع لهم معالم في الطريق حتى لا يضل منهم أحد ولا ينحرف
عن طريقه المستقيم .

عناية العلماء بموضوع "الدعاء"

من ذلك - ندرك جانباً من مدى أهمية "الدعاء" وخطورته فلا عجب
- اذن - أن ^{علماء}عنى الاسلام بهذا الموضوع ، كل في دائرة اختصاصه :-
١ - فالمفسرون : يتعرضون له في تفسير الآيات الكريمة التي تتعلق
بشأنه ، كقوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّكُمْ : ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (١) وقوله سبحانه : ﴿ واذا
سألك عبادي عني فاني قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا
لي وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾ (٢) وقوله عز وجل ﴿ ادعوا ربكم
تضرعا وخفية ، انه لا يحب المعتدين ، ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها
وادعوه خوفاً وطمعاً ، ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (٣) وغيرها من
الآيات الكريمة .

٢- ٣ - والمحدثون وشرح الحديث : فالمحدثون جمعوا أحاديث
الدعاء وما يتعلق به وعقدوا له باباً أو كتاباً ، كما ورد ذلك فى

(١) غافر ٦٠

(٢) البقرة ١٨٦

(٣) الأعراف / ٥٥ - ٥٦

كتب الجوامع (١) ، مثل : صحيح البخارى (٢) ومسلم (٣) وجامع الترمذى (٤)

(١) جمع " جامع " والجامع - في اصطلاح المحدثين - كل كتاب حديثى يوجد فيه من الحديث جميع الأنواع المحتاج اليها من العقائد والأحكام والرفاق وآداب الأكل والشرب والسفر والمقام ، وما يتعلق بالتفسير والتاريخ والسير والفتن والمناقب والمثالب وغير ذلك .

(٢) والاسم الكامل لهذا الكتاب الذى سماه به مؤلفه الامام البخارى هو : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه . وهو أصح الكتب بعد القرآن وأول مصنف في الصحيح المجرد . وهو يشمل على (٩٧) كتابا ، وكل كتاب منه مجزأ الى أبواب ، وتحت كل باب عدد من الاحاديث . وجملة ما فيه من الاحاديث (٧٢٧٥) حديثا بالمكررة ، وبحذف المكررة أربعة الاف حديث .

(٣) وهو كتاب " الجامع الصحيح " الذى قال عنه مؤلفه الامام مسلم : " صنف هذا الصحيح من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة . وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل الحديث ، فتلقتهما الأئمة بالقبول ، وأجمع العلماء على أنهما أصح كتابين بعد القرآن الكريم ، وجملة ما فيه من الاحاديث اثنا عشر ألفا بالمكررة ، وبحذف المكررة نحو أربعة الاف حديث .

(٤) وهو كتاب الجامع الكبير ، الذى قال عنه مؤلفه الامام الترمذى : أنه صنف هذا الكتاب وعرضه على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرفضوا به ، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أحوال الحديث والجرح والتعديل وغير ذلك .

وفي كتب السنن (١) ، مثل سنن أبي داود (٢) والنسائي (٣) وغيرهما
وشراح الحديث يتعرضون له عند شرح تلك الأحاديث .

٤ - وعلماء التوحيد : يتعرضون له في عرض أنواع الشرك ومنه
الدعاء لغير الله كما ذكر في كتاب التوحيد (٤) للشيخ محمد عبد الوهاب ،
والدين الخالص (٦) وغيرهما .

(١) السنن في اصطلاح المحدثين - هي : الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية
وتشتمل على الأحاديث المرفوعة .

(٢) وهو كتاب " السنن " الذي قال عنه مؤلفه الامام ابو داود - انه كتب
عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ٥٠٠ ألف حديث وانتخب منه
وجمع في كتابه هذا ٤٨٠٠ حديث من الصحيح وما يشبهه ويقاربه .
(٣) وهو كتاب " السنن " المسمى بـ " المجتبى " أو " المجتبى " الذي لخصه
مؤلفه الامام النسائي من مجموعة له المعروفة بـ " السنن الكبرى " ، وذلك
كما قال بعض العلماء : لما ألف النسائي " السنن الكبرى " أهدها السي
أمير الرملة ، فقال له الأمير : اكل ما في هذا صحيح ؟ قال : لا ، قال :
فجرد الصحيح منه ، ففعل .

(٤) هو " كتاب التوحيد فيما يجب في حق الله على العبد " ألفه الشيخ محمد
ابن عبد الوهاب ليظهر فيه جوهر دعوة التوحيد التي يدعو اليها ،
وقد انكب الشيخ على تأليفه ثمانية أشهر لا يتصل بالناس الا قليلا ، وهذا
الكتاب من خبرة الكتب وأجودها نفعا في هذا الباب .

(٥) هو الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي
- زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب ، ولد في المدينة
بنجد سنة ١١١٥ هـ ورحل مرتين الى الحجاز فمكث في المدينة مدة وزار
الشام ودخل البصرة وعاد الى نجد ، فقصده الدرعية فتلقيه أميرها محمد بن
سعود بالاكرام وقبل دعوته ، وتوفي فيها سنة ١٢٠٦ هـ .

(٦) هو كتاب نفيس ~~المسمى~~ ألفه السيد ابو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني
القنوجي البخاري ملك بهوبال بالهند ، (١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ) وقد قسم
المؤلف هذا الكتاب قسمين - عبر عنهما بنصيبين ، فالنصيب الأول في بيان
اثبات التوحيد ونفي الشرك بجميع أنواعه والأصناف ، والنصيب الثاني في
التحرّض على اتباع السنة ورد البدعات بأقسامها والأطراف .

٥ — وعلماء التصوف :

يتمركزون له في باب الأذكار أو عقبتها ،
وهذا لأنهم اعتبروه شقيقاً لها أو نوعاً منها كما ذكر في أحباء علوم الدين (١)
والرسالة القشيرية (٢) وغيرهما .
ومثل ذلك ما ذكر في كتب الأذكار ، كالأذكار النبوية (٣) والحصن
الحصين (٤) وغيرهما .

(١) وهو الكتاب المشهور للإمام الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هـ ، ويعتبر من أجل
كتب المواعظ وهو مقسم إلى أربعة كتب (الأول) في العبادات
(والثاني) في المعاديات (والثالث) في المملكات (والرابع)
في المشجيات .

(٢) عنوان كتاب متداول في علم التصوف — يشير عنوانه إلى مؤلفه الإمام أبي
القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفي سنة ٤٦٥ هـ . وتحرف
كذلك باسم " الرسالة في رجال الطريقة " وتعتبر مرجعاً في موضوعها ،
وتشتمل على ٥٤ باباً في ثلاثة فصول .

(٣) هو كتاب " الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار (صلى الله عليه وسلم)
الذي ألفه الإمام النووي وقصد به معرفة الأذكار الواردة عن رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) والعمل بها وإيضاح مظانها بحيث ذكر في
أول الكتاب فصلاً مهمّة حول الذكر ، وباباً في فضيلة الذكر مطلقاً توطئة
لما بعدها ، ثم ذكر مقصود الكتاب في أبوابه وختم بباب الاستغفار
متفائلاً بأن يختم الله لنا به ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً هاماً في
موضوعه .

(٤) هو كتاب نفيس ~~الكتاب~~ جمع فيه مؤلفه الإمام ابن الجزري (٧٥١ — ٨٣٣ هـ)
الذكر والدعاء والصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والتلاوة .
وذكر فيه فضائلها وآدابها . وهو يشتمل على عشرة أبواب ، وكل باب يتعلق
بأنواع وأسباب ، ثم لخصه مؤلفه وسماه : " عدة الحصين " .

الحاجة الى بحث جديد

ومما سبق - نعرف ان المصادر لموضوع الدعاء " موجودة فما وجه الحاجة الى بحث جديد فيه ؟

وأستطيع أن أجيب مطمئنا بالإيجاب ، بل أؤكد أن الحاجة للبحث الجديد فيه شديدة وماسة ، وهذا ، لأن الدعاء - كما سبق ذكره - هو العبادة ، وهذه العبادة المخطيرة المذكورة في بطون الكتب المتفرقة من التفسير والحديث والتوحيد والتصوف والأذكار ، ولذلك فان هذا الموضوع يحتاج الى جمع ما تبمثر من جوانبه المتعددة في شتى المصادر ، وإعادة عرضه باتصال الحلقات ، وإبرازه في قالب موضوعي منطقي ، وتقديمه على صورة كاملة محددة .

سبب اختيار الموضوع

وذلك ناتج عن الصعوبات التي واجهناها عندما أردت أن أفهم فهمنا واضحا فيما يتعلق بالدعاء ، فمثلا : ما معنى الدعاء هو العبادة ؟ وماهى اجابة الدعاء ؟ هل هناك تعارض بين الدعاء والقدر ؟ وكيف رفع اليدين في الدعاء ؟ وغير ذلك من المسائل المختلفة التي تتعلق بالدعاء ، وقد بذلت جهدي في القراءة والبحث والتفتيش في بطون الكتب المتفرقة للحصول على الجواب .

وذلك كله هو السبب الذي دفعني الى اختيار موضوع " الدعاء " وأما ما ذيلت الموضوع بالكلمة " في ضوء الكتاب والسنة " فان الدعاء ما دام هو العبادة فلا بد من التزام ما شرعه الله في كتابه الكريم واتباع ما سنه رسوله (صلى الله عليه وسلم) في سنته الشريفة فالخير كل الخير في التزام شرعه تعالى واتباع سنته (صلى الله عليه وسلم) والا فلعلي عاقب .

منهج البحث

وكان أول ما على أن أقوم به هو تجميع المادة المطلوبة من مظاهرها ،
أعني تجميع النصوص والأقوال اللازمة من مصادرها ، وخاصة نصوص
القرآن^{الكريم} والسنة الشريفة التي هي الأساس الأول الذي اعتمدت عليه
في هذا البحث .

والمصادر - كما سبق ذكرها - موجودة ، وهي مزيج من كتب التفسير
والحديث والتوحيد والتصوف والادكار ، وهذه هي المصادر الأساسية ،
وهناك الكتب المساعدة ككتب اللغة والتراجم ، والجرح والتعديل والفيهارس
وغيرها .

وبعد تجميع المادة وتحديد المصادر أقوم بتقسيم البحث وترتيب
فصوله ، وهذا لأن طبيعة الموضوع وترايط مسائله واتصال بعضها ببعض
اتصالا وثيقا اقتضتني أن أتناوله في التقسيم والترتيب طريقا موضوعيا ،
(كما سأبينه في خطة البحث) .

ثم أقوم بالموازنة بين أقوال العلماء في الموضوع لا اختيار القول
الأوضح فيه ، أولا نتقاء أرجح الآراء وأقواها دليلا - إذا كان
هناك اختلاف .

وهذا هو المنهج الذي سلكته في هذا البحث .

خطة البحث

وأما الخطة التي سرت عليها فهي تشتمل على مقدمة وبابين وخاتمة :

فأما المقدمة : فهي تشتمل على بيان أهمية الدعاء ، وعناية العلماء به والحاجة
إلى بحث جديد فيه ، وسبب اختيار الموضوع ومنهج البحث وخطته .

وأما الباب الأول : فيتناول الكلام عن الدعاء وما يتعلق به من معناه ومشروعيته

وفضله وعلاقته بالعبادة وأثره وفائده واجابته وتنوعها والأُمُور التي
ترجى للإجابة .

وهو يشتمل على خمسة فصول :

فالفصل الأول : في بيان معنى الدعاء وإطلاقه في القرآن الكريم . وبيان

المراد منه في هذا البحث ، وبيان ألفاظ أخرى تطلق على المعنى
المراد .

والفصل الثاني : في بيان مشروعية الدعاء وفضله ومعنى الدعاء هو
العبادة وعلاقته بها .

والفصل الثالث : في بيان أثر الدعاء وفائده وسوق ما أُورد من شبهات
والرد عليها .

والفصل الرابع : في بيان اجابة الدعاء وتنوعها وما في ذلك من حكمة
بالغة .

والفصل الخامس : في بيان أرجى الأمور لاجابة الدعاء من الحالات
والاوقات والوسائل ونحوها .

وأما الباب الثاني : فيبحث في آداب الدعاء المتعددة ، كآدابه القلبية وآدابه

من حيث كَيْفِيَّتِهِ ومن حيث الفاظه وصيغه وآدابه المقرونة بالصلاة .
وهو يشتمل على أربعة فصول :

فالفصل الأول : في آداب الدعاء القلبية كالترضع والخوف والطمع .

والفصل الثاني : في آداب الدعاء من حيث كَيْفِيَّتِهِ ، كرفع اليدين واستقبال القبلة
ونحوهما .

والفصل الثالث : في آداب الدعاء من حيث ألفاظه وصفه كالدعاء بالأسماء

الحسنى واختيار الجوامع من الدعاء وختم الدعاء بالتأمين ونحوها .

والفصل الرابع والأخير : في آداب أخرى من الدعوات المقرونة بالصلاة

كصلاة الاستسقاء وصلاة الاستخارة ونحوهما .

وأما الخاتمة : فهي تتضمن تلخيصاً لأهم النتائج التي توصل اليها

البحث .

وأخيراً

أرجو - من هذه الرسالة المتواضعة - أن أسهم^{بها} في تقديم الصورة

الواضحة المحددة عن " الدعاء " ، ولعلى بلغت ما أرجو أوقاريت .

والله المستعان ، وما توفيقي إلا به ، عليه توكلت واليه أنيب سبحانه ربك

رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الطالب

جهاد محمد بنونجا تنجونج

الكتاب الأول

يتناول الكلام عن :-

- معنى الدعاء والعلاقات في القرآن الكريم والمراد منه في هذا البحث .
- مشروعية الدعاء وفضله ومعنى الدعاء هو العبادة وعلاقته بها .
- أثر الدعاء وفائدته والشبهات حول ذلك والرد عليها .
- اجابة الدعاء وتنوعها وما في ذلك من حكمة بالغه .
- أهرج الأمور لإجابة الدعاء من الحالات والأوقات والمواظب .

الفصل الأول

في بيان :-

- معنى الدعاء والطلبات في القرآن الكريم .
- المراد بالدعاء في هذا البحث .
- اللفاظ الأخرى الدالة على معنى الدعاء
- المراد في هذا البحث .

الفصل الأول

معنى الدعاء واطلاقاته في القرآن الكريم ، والمراد منه في هذا البحث ، وألفاظ أخرى تطلق على المعنى المراد

معنى الدعاء واطلاقاته في القرآن الكريم :

إذا أردنا أن نفهم معنى أى كلمة التي وردت في القرآن الكريم فلا بد لنا

أولا أن نعرف مدلولها العربي ، لأن كتاب الله لسان عربي مبين .

قال تعالى ﴿ وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين . على

قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين ﴾ (١)

وقال سبحانه ﴿ ... وهذا لسان عربي مبين ﴾ (٢)

ولا بد لنا ايضا أن نعرف مدلولها الشرعي ، لأن الشارع قد يستعملها

استعمالا شرعيا لا لغويا - مع أن هناك علاقة وثيقة بين المدلول اللغوي وبين استعماله كمصطلح شرعي .

ولا يجوز لنا بتاتا أن نجعل عرف الناس في زمان ما أو مكان ما - غير

زمن التشريع أو غير مكانه - حكما على الكلمة .

فكلمة " الدعاء " مصدر طبيعي من مصادر " دعا ، يدعو - دعوا ،

ودعوة ، ودعاء ، ودعوى " -

وهذه الكلمة ومشتقاتها تحمل في مدلولاتها العربية معاني متعددة

وكلها ترجع الى أصل واحد .

قال الامام ابن فارس (٣) : " (دعوا) الدال والعين والحرف المحتمل اصل

واحد ، وهو ان تميل الشئ اليك بصوت وكلام يكون منك " (٤)

(١) الشعراء / ١٩٣ - ١٩٦ (٢) النحل / ١٠٤

(٣) هو الامام ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي ، وكان مقبلا بهمدان ، وظل دهرا شافعي المذهب ، ولما انتقل الى مدينة " الري " تحول الى المذهب المالكي ، وكان لغويا نحويا على طريقة الكوفيين ، وتوفي سنة ٣٩٥ هـ

(٤) انظر " معجم مقاييس اللغة " ٢ / ٢٧٩ - ٢٨١

وإذا تتبعنا وجه استعمال القرآن الكريم لهذه الكلمة ومشتقاتها في أوضاعها المختلفة وجدنا أنها من الكلمات المستعملة استعمالاً عربياً ثارة وكصطلح شرعي ثارة أخرى .

ولتضع لنا معاني " الدعاء " ومشتقاته المستعملة في القرآن الكريم فعلينا أن نورد بعض الآيات الكريمة ثم نذكر بعض أقوال اللغويين والمفسرين لها ، فهي تدل على المعاني المتعددة كالآتي :-
١ - طلب الاحضار :

فمن معاني الدعاء ومشتقاته : طلب الاحضار ، وإذا قيل : دعا بالشيء ، أى : طلب احضاره واتيانه .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ﴾ (١)
قال الامام جلال الدين المحلى (٢) - في تفسير الجلالين (٣) : " يطلبون من الخدم فيها (أى الجنة) أن يأتوا بكل فاكهة منها آمنين - من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف " (٤)

(١) الدخان / ٥٥

(٢) هو الامام جلال الدين محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم المحلى الشافعى ولد بمصر سنة ٧٩١ هـ ، واشتغل وبرع في الفنون : الفقه والكلام والاصول والنحو والمنطق وغيرها ، وقد أقبل الناس على مؤلفاته ، فمنها : شرح جمع الجوامع وشرح المنهاج وغيرها ، وتوفي من اول يوم من سنة ٨٦٤ هـ (٣) وهذا الكتاب اشترك في تفسيره الامامان الجليلان : جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى ، فأما جلال الدين المحلى فقد ابتداء تفسيره من أول سورة الكهف الى آخر سورة الناس ثم سورة الفاتحة ، وبمسند أن اتى سبقة المنية فلم يفسرها بعدها ، وأما جلال الدين السيوطى فقد جاء بعده فكمل تفسيره فابتداء بتفسير سورة البقرة وانتهى عند آخر سورة الاسراء .

(٤) تفسير الجلالين ، ص ٦٥٩

وقال الامام الشوكاني (١) : " اى - يأمرن باحضار ما يشتبهون من الفواكه ... " (٢)

٢ - النداء والطلب :

ومنها : النداء والطلب ، واذا قيل : دعا المسلم أخاه اى : ناداه
وطلب اقباله .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ... قالت : ان ابني بدعوك ليجزيك اجر
ما سقيت لنا ... ﴾ (٣)

قال الامام الفيومي (٤) : " ودعوت زيدا : ناديته وطلبت اقباله " (٥)

٣ - الاستفهام والسؤال :

ومنها : الاستفهام والسؤال ،

ومن ذلك قوله سبحانه ﴿ قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ﴾ (٦)

(١) هو الامام محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني (نسبة الى
شوكان ، وهي : قرية ببنيها وبين صنعاء دون مسافة يوم) ، ولد
في ١١٢٣/١١٢٨ هـ وله مؤلفات مفيدة في فنون عديدة . ومنها :
فتح القدير (في التفسير) . ونيل الاوطار وغيرها ، وتوفي
١٢٥٠/٦/٢٧ هـ

(٢) فتح القدير ٥٧٩/٤

(٣) القصص / ٢٥

(٤) وهو الامام احمد بن محمد بن علي الهمداني الحموي الشافعي الفيومي
الاصل (نسبة الى فيوم العراق لا فيوم مصر) يعرف بابن ظهير
وبخطيب الدهشة . نشأ بالفيوم ، ثم ارتحل الى حماة فقطنها ، وكان
فاضلا عارفا باللغة وجمع في ذلك كتابا سماه " المصباح المنير "
وتوفي سنة ٧٧٠ هـ

(٥) المصباح المنير ٢٠٨/١

(٦) البقرة : ٦٩

قال الامام الحسين الدامغانى (١) : " استغفم لنا ربك وسله ... " (٢)

٤ - الاستعانة على الممارسة :

ومنها : الاستعانة على الممارسة

وذلك كما ورد في قوله تعالى * ... أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين * (٣)

وقد فسرہ الامام الزمخشري (٤) وقال : " وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله " (٥)

وقال الامام الشوكاني (٦) : " واستعينوا بمن شئتم من اهل هذء اللسان العربية على كثرتهم وتباين مساكنهم ، أو من غيرهم من بني آدم أو من الجن أو من الأصنام ... " (٧)

وفي قوله سبحانه * أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتریات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين * (٨)

(١) هو الامام الحسين بن محمد الدامغانى - مؤلف كتاب " اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، والدامغانى : نسبة الى الدامغان ، وهو بلد كبير بين " الرى " ونيسابور - قرب بسطام .

(٢) اصلاح الوجوه والنظائر ص ١٧٤

(٣) يونس / ٣٨

(٤) هو الامام ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الحنفى المعتبر الزمخشري (نسبة الى زمخش ، وهى : قرية من قرى خوارزم) - الملقب بجار الله (لأنه سافر الى مكة وجاور بها زمانا) ، ولد في رجب سنة ٤٦٧ هـ وله مصنفات ، ومن أشهرها " الكشاف " وتوفى ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ

(٥) الكشاف ٣٤٧/٢

(٦) تقدمت ترجمته قريبا

(٧) فتح القدير ٤٤٦/٢

(٨) هود / ١٣

وقد فسرہ الامام النسفی (١) قال : " وادعوا الى المعاوضة على المعارضة " (٢)
وقال الامام الشوكاني (٣) : " وادعوا للاستظهار على المعارضة " (٤)

٥ - النداء الى الطعام :

ومنها : النداء الى الطعام ، واذاقيل : دعا المسلم اخاه دعوة
(بالفتح) اى : ناداه الى الطعام وطلبه لياكل عنده .
ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي
الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه (٥) ، ولكن اذا دعيتم فادخلوا ،
فاذا طعمتم فانتشروا ولا يستألفين لحديث ... ﴾ الآية (٦)
قال الامام الجوهرى : (٧) " الدعوة الى الطعام (بالفتح) ، يقال :
كننا في دعوة فلان ومداغة فلان ، وهو في الاصل - مصدر ، يريدون :
الدعاء الى الطعام " (٨)

(١) وهو الامام ابو البركات عبدالله بن احمد بن محمود الحنفى النسفى (نسبة
الى "نسف" من بلاد ما وراء النهر) - احد الزهاد المتأخرين والأئمة
المعتبرين . كان عالما في التفسير والحديث والفقه والاصول ، وله مصنفات
مفيدة . ومنها : تفسير مدارك التنزيل ، وتوفي سنة ٧٠١ هـ

(٢) مدارك التنزيل ١٨٢/٢

(٣) تقدمت ترجمته قريبا

(٤) فتح القدير ٤٨٦/٢

(٥) اى : نضجه

(٦) الا حزاب ٥٣/

(٧) هو الامام ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى - صاحب تاج اللغة وصحاح العربية
المعروف بالصاح ، ولد سنة ٣٣٢ هـ ، وأصله من بلاد الترك من فاراب وقد
شافه العرب العاربة في بلادهم وكان عالما في علم اللغة والأدب ، وأقام
بنيسابور على التدريس والتأليف والف صحاحه فيها ، وتوفي سنة ٣٩٣ هـ

(٨) الصحاح ٢٣٣٦/٦

وقال الامام الفيومي (١) : " والدعوة (بالفتح) : في الطعام — اسم من دعوت الناس : اذا طلبتهم لياكلوا عندك ، يقال : نحن في دعوة فلان ومدعائه ودعائه " (٢)

٦ — النسب :

ومن معاني " الدعاء " ومشتقاته : النسب ، واذا قيل : دعاه السي وغيره ولغيره ، اى : بنسبه .

فقال الامام الأزهري : (٣) وأما الدعوة (بكسر الدال) فادعاء الولد الدعى غير أبيه " (٤)

وقال الامام الفيومي (١) : " يقال : هو دعى بين الدعوة (بالكسر) اذا كان يدعى الى غير أبيه ، أو يدعيه غير أبيه ، فهو بمعنى فاعل — من الأول ، وبمعنى مفعول — من الثاني " (٥)

ففي قوله تعالى ﴿ وما جعل أدعياءكم أبناءكم ﴾ ، ذلكم قولكم بأنفواهم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعوهم لأبائهم هـ — أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم ﴿ الآية (٦) والادعياء — كما قال الامام جلال الدين المحلي (١) : " جمع دعى ، وهو : من يدعى لخير أبيه ابنا له " (٧)

وفسر الامام الشوكاني (١) قوله تعالى ﴿ ادعوهم لأبائهم ﴾ المذكور ، وقال : " ... وانسبواهم اليهم ولا تدعوهم الى غيرهم " (٨) .

-
- (١) تقدمت تراجمهم (٢) المصباح المنير ٢٠٩/١
 (٣) نسبة الى جده " الأزهري " وهو الامام ابو منصور محمد بن احمد بن طلحة بن نوح بن الأزهري الشافعي الأزهري الهروي ، ولد بهراة (مدينة عظيمة مشهورة — من امهات مدن خراسان) سنة ٢٨٢ هـ ، وكان عالما في اللغة والفقه وكثير العبادة والمراقبة ، وله مؤلفات ، وقسمها : " تهذيب اللغة " . وقد ألفه بعد بلوغه السبعين ، وتوفي بهراة سنة ٣٧٠ هـ وقيل ٣٧١ هـ .
 (٤) تهذيب اللغة ١٢٠/٣ (٥) المصباح المنير ٢٠٨/١ (٦) الاحزاب ٤/٥ — (٧) تفسير الجلالين ص ٥٥٢ (٨) فتح القدير ٢٦١/٤

وفي قوله تعالى ﴿ أن دعوا للرحمن ولدا ﴾ (١)
 وفسره الامام الزمخشري (٢) وقال : " هو من دعا بمعنى سعى ... أو من
 دعا بمعنى نسب ... " (٣)
 وقال الامام الشوكاني (٤) : " والدعاء بمعنى التسمية ، أى : سمووا
 للرحمن ولدا ، أو بمعنى النسبة ، أى : نسبوا له ولدا . " (٥)
 ولكن لا يظهر هنا أن الدعاء بمعنى النسبة .
٧ - التسمية :

ومنها : التسمية ، وإذا قيل : دعاه كذا أو بكذا ، أى : سماه
 وقال الامام الراغب الأصفهاني (٦) : " ويستعمل استعمال التسمية ،
 نحو : دعوت ابني زيدا - أى : سميته " (٧)
 وعلى هذا فسر بعض العلماء قوله تعالى ﴿ ولله الأسماء الحسنى
 فادعوه بها ... ﴾ (٨)
 وقوله سبحانه ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن - أيا ما تدعوا فله الأسماء
 الحسنى ... ﴾ (٩)

-
- (١) مريم / ٩١
 (٢) تقدمت ترجمتهما
 (٣) الكشاف ٥٨٣/٤
 (٤) فتح القدير ٣٥٢/٣
 (٥) هو الامام ابو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل بن محمد - المعروف بالراغب
 الأصفهاني ، وكان فقيها عالما في اللغة والادب ، والحكمة والكلام .
 والتفسير والتشريع ، ولم تعرف حياته الا بعد بروز مواهبه في هذه الميادين
 ومنها : الذريعة الى مكارم الشريعة ، وتوفي سنة ٥٦٥ هـ
 (٦) المفردات ، ص ٢٤٥
 (٧) الأعراف / ١٨٠
 (٨) الاسراء ١١٠/٢

قال الامام جلال الدين السيوطي (١) : " فادعوه : سموه " (٢)

وقال - في سورة الاسراء " اى : سموه بايهما أو نادوه بأن تقولوا :
يا الله يا رحمن " (٣)

وقال - فيها - الامام الرمخشى (٤) : " والدعاء ، بمعنى : التسمية ،
لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين ، تقول : دعوته زيدا ، ثم
يترك احدهما استغناء عنه ، فيقال : دعوت زيدا " (٥)

والأظهر ان الدعاء في قوله تعالى ﴿ فادعوه بها ﴾ هو معناه الاصطلاحي
المراد في هذا البحث - كما سيأتي الكلام عنه في مبحث الدعاء بالأسماء
الحسنى من باب آداب الدعاء - والباء تفيد الاستعانة ، وهو من باب " قتلت
الكافر بالسيف " .

ولذلك فسرہ الامام الشوكاني (٤) وقال : " أمرهم بأن يدعوه بها عند الحاجة
فانه اذا دعى باحسن اسمائه كان ذلك من اسباب الاجابة " (٦)
وكذلك الأظهر في قوله سبحانه ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أيا ما
تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ والمراد بالدعاء هنا هو معناه الشرعي ، وهو ليس من
باب التمدى الى مفعولين .

(١) هو الامام جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد - السيوطي
الشافعي صاحب المؤلفات الفائقة النافعة ، ولد في رجب سنة ٨٤٩ هـ
وختم القرآن وله من الممرثان سنين وحفظ كثيرا من المتن ، وأخبر عن
نفسه انه يحفظ مائتي ألف حديث ، وكان آية في سرعة التأليف . ولما بلغ
الاربعين سنة تجرد للعبادة ، وتوفي ٩١١/٥/١٩ هـ .

(٢) تفسير الجلالين ص ٢٣٠

(٣) المصدر السابق ص ٣٨٦

(٤) تقدمت ترجمتهما

(٥) الكشف ٢٠٠/٢

(٦) فتح القدير ٢٦٨/٢

وقد عقب على قول الامام الزمخشري - الامام ابن القيم (١) ، وقال :
 " وهذا الذي قاله هو (٢) من لوازم المعنى المراد بالدعاء في الآية ، وليس
 هو عين المراد ، بل المراد بالدعاء معناه المحيود المطرد في القرآن -
 وهو دعاء السؤال ودعاء الشاء (٣) - ولكنه متضمن معنى التسمية وليس المراد
 مجرد التسمية الخالية عن العبادة والطلب ، بل التسمية الواقعة في دعاء الشاء
 والطلب " (٤)

٨ - القول :

ومنها : القول ، قال الامام الفيومي (٥) : " ودعوى فلان كذا ، اي :
 قوله " (٦)

يقول الله سبحانه * دعواهم فيها سبحانهك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام
 وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين * (٧)
 وقال الامام الحسين الدامغانى (٥) : " يعنى قولهم - اذا اشتروا
 الطعام - سبحانهك اللهم .. " (٨)

٩ - التمنى :

ومنها : التمنى ، واذا قيل : ادعى الشئ ، اي : تمناه ، وقال
 الامام الفيومي (٥) : " وادعيت الشئ : تمنيته " (٦)

(١) هو الامام شمس الدين ابو عبد الله محمد بن بكر بن أبوب بن سعد الزرعي ثم
 الدمشقي الحنبلى - الشهير بابن قيم الجوزية أو ابن القيم ، ولد سنة ٦٩١ هـ
 ولازم الامام ابن تيمية وأخذ عنه وتفنن في العلوم ، وله مصنفات مفيدة كثيرة
 وتوفي ٧٥١/٧/١٣ هـ

(٢) يعنى : الامام الزمخشري

(٣) وهذا رأى للامام ابن القيم وسيأتي الكلام عنه قريبا في مبحث المعنى المراد بالدعاء
 في هذا البحث .

(٤) التفسير القيم ص ٢٤٤ (٥) تقدمت تراجمهم

(٦) المصباح المنير ١/٢٠٩ (٧) بونس/ ١٠

(٨) اصلاح الوجوه والنظائر ص ١٧٣

ومن ذلك قوله عز وجل ﴿ لِيَمِيزَ فِيهِمَا الْفَاسِقَ الَّذِي يَسْعَىٰ وَلَا يَأْتِي بِشَيْءٍ مِّنَ الْبِرِّ وَهُوَ كَذِبٌ ﴾ (١)
وقد فسرہ الامام جلال الدين المحلى (٢) ، وقال : " يتمنون " (٣)
وقال الامام الشوكاني (٢) : " ويدعون : مضارع ادعى ... والمضرب
تقول : ادع عليّ ماشئت ، اي : تمنّ ، وفلان في خير ما يدعى ، اي :
ما يتمنى " (٤)

وكذلك قوله عز وجل ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة
ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴾ (٥)
فسره الامام الزمخشري (٢) وتبعه الامام النسفي (٢) وقال : " تتمنون " (٦)
١٠ — الطلب والاستعجال :

ومنها : الطلب والاستعجال ، واذا قيل : ادعى بالشئ ، اي : طلبه
واستعجله .

ومن ذلك قوله سبحانه ﴿ وقيل هذا الذي كنتم به تدعون ﴾ (٧)
فسره الامام الزمخشري (٢) وقال : " تدعون : تفتعلون من الدعاء
اي : تطلبون وتستعجلون به " (٨)
وقال الامام النسفي (٢) : " أي : تسألون تعجبله ، وتقولون : ائتنا
بما تعدنا ... " (٩)
وقال الامام الشوكاني (٢) : " اي : تطلبون وتستعجلون به استعزاء " (١٠)

(١) يس / ٥٢

(٢) تقدمت تراجمهم

(٣) تفسير الجلالين ص ٥٨٦

(٤) فتح القدير ٣٧٦/٤

(٥) فصلت ٣١/

(٦) الكشف ١٩٩/٤ ومدارك التنزيل ٩٤/٤

(٧) الملك ٢٢ / (٨) الكشف ٤٥/٣

(٩) مدارك التنزيل ٢٧٨/٤ (١٠) فتح القدير ٢٦٥/٥

١١ - نداء المهلاك :

ومنها نداء المهلاك ، واذ قيل : دعا الثور ، اى : نادى المهلاك ،
وهو ذكره متفجما وقال : يا ثوراه ، فكأنما يناديه
ومن ذلك قوله تعالى ﴿ فسوف يدعو ثورا ﴾ (١)
وفسره الامام الخشري (٢) وقال : " يقول : يا ثوراه ، والثبور
المهلك " (٣)

وقال الامام جلال الدين المحلى (٢) : " ينادى هلاكه بقوله : يا ثوراه " (٤)

١٢ - العبادة :

وذهب بعض المفسرين الى ان " الدعاء " في بعض الايات الكريمة بمعنى
" العبادة " ، وخاصة في قوله تعالى ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان
الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (٥)
ونقل ذلك الامام الشوكاني (٢) وقال : " قال اكثر المفسرين : المعنى -
وحدوني واعبدوني اتقبل عبادتكم واغفر لكم ، وقيل : المراد بالدعاء -
السؤال بجلب النفع ودفع الضرر . قيل : الاول اولى - لان الدعاء في اكثر
استعمالات الكتاب العزيز هو - العبادة : (٦)
وقال الامام الشوكاني (٢) : " قلت : بل الثاني اولى - لان معنى الدعاء
حقيقة وشرعا ، هو : الطلب ، فان استعمل في غير ذلك فهو مجاز - على أن
الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو عبادة بل مخ العبادة " (٦)

(١) الانشقاق ١١ /

(٢) تقدمت تراجمهم

(٣) الكشف ٦٢٤ / ٢٢

(٤) تفسير الجلالين ص ٧٩١

(٥) غافر : ٦٠

(٦) فتح القدير ٤٩٨ / ٤

وقد نقل ذلك ايضا الامام الفخر الرازي (١) وقال : " واختلف الناس في

المراد بقوله * ادعوني * ، فقليل : انه الامر بالدعاء .

وقيل : انه الامر بالعبادة — بدليل انه قال بعده * ان الذين يستكبرون

عن عبادتي * ولولا ان الامر بالدعاء أمر بطلاق العبادة لما بقي لقوله —

* ان الذين يستكبرون عن عبادتي * معنى .

وايضا — الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ، كقوله * ان يدعون

من دونه الا اناسا * (٢) * (٣)

ورجح الامام الفخر الرازي رحمه الله ان المراد بالدعاء هنا هو الدعاء الاصطلاحي

وأجاب عن الشبهة وقال : " واجب عنه — بأن الدعاء هو اعتراف بالعبودية

والذلة والمسكنة . فكانه قيل : ان تارك الدعاء اما تركه لا جمل أن يستكبر

عن اظهار العبودية .

وأجيب عن قوله (ان الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن) بأن ترك

الظاهر لا يصار اليه الا بدليل منفصل " (٣)

والأظهر من الآيات الكريمة الواردة في " الدعاء " ليسمعناه : العبادة ،

ولكنه هو العبادة ، وبعبارة اخرى : انه نفسه عبادة من العبادات الشرعية

وايضا انه سبب للعبادات الأخرى .

وأما ما فسرہ الامام الفخر الرازي (١) قوله تعالى * ان يدعون من دونه

الا اناسا * (٢) وقال : " ويدعون ، بمعنى : يعبدون — لأن من عبد شيئاً فانه

يدعوه عند احتياجه اليه " (٤) — فهو خلاف الأظهر في تفسير الدعاء بمعنى العبادة .

(١) هو الامام ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي

البكرى الطبرستاني الرازي الملقب بفخر الدين ، ولد سنة ٥٤٤ هـ ، وكان عالماً

في التفسير والكلام والحلوم العقلية وعلوم اللغة ، وله مصنفات كثيرة نافعة

ومنها مفاتيح الغيب (في التفسير) ، وتوفي سنة ٦٠٦ هـ

(٢) مفاتيح الغيب ٢٧/٨٠ — ٨١

(٣) النساء ١١٧/

(٤) المرجع السابق ١١/٤٦

والأظهر هنا أن الدعاء هو الدعاء الاصطلاحي ويصح أن نقول أن من دعا شيئاً فإنه يعبدّه ويتقرب إليه بقربة أو قربات ليكون زلفى عنده فيقبل دعاءه .

١٣ — الحث على الشيء :

ومن معاني الدعاء " ومشتقاته : الحث على الشيء ، وإذا قيل : دعاه إلى الشيء وللشيء ، أي : حث عليه .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١) .

وعلق الإمام الشوكاني (٢) — بعد تفسير هذه الآية الكريمة — قال : " وإنما شرع لك الدعوة وأمرك بها قطعا للمعذرة وتنميما للحجة وإزاحة للشبهة ، وليس عليك غير ذلك " (٣) .

وقد تعرض العلماء في تعريف " الدعوة " كمصطلح شرعي — بالمبارات المتقاربة ، وكلها تدور على معنى : " حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة " .

١٤ — سؤال كشف ضر أو جلب نفع :

ومنها : سؤال كشف ضر أو جلب نفع ، وإذا قيل : دعا الإنسان ربه أو الله ، أي : سأله كشف ضر أو جلب نفع .

(٤) ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ﴾ الآية قد فسر الإمام جلال الدين المحلى (٢) وقال : " دعا ربه : تضرع " (٥) .

وقال الإمام الفخر الرازي (٢) : " أي — استجار بربه وناداه ولم يؤمل

(١) النحل / ١٢٥ (٢) تقدمت تراجمهم (٣) فتح القدير ٢٠٣/٣

(٤) الزمر / ٨ (٥) تفسير الجلالين ص ٦٠٨

في كشف الضرر سواء . فلذلك قال * منيبا اليه * أي : راجعا اليه وحده في ازالة ذلك الضرر " (١)

وقوله سبحانه * لا يسأم الانسان من دعاء الخير . * (٢) الآية
فسره الامام الشوكاني (٣) وقال : " اي - لا يمل من دعاء الخير لنفسه وجلبه اليه ، والخير - هنا - المال والصحة والسلطان والرفعة " (٤)

المراد بالدعاء في هذا البحث

وهذا المعنى الأخير هو المراد بالدعاء في هذا البحث .
وقد تعرض العلماء في تعريف "الدعاء" - كمصطلح شرعي - بالمعبارات المتعددة :-

فقال الامام الفخر الرازي (٣) : " حقيقة " الدعاء " - استدعاء المبد ربه جل جلاله العناية واستمداده اياه الممونة " (٥)

وقال الامام علي القاري (٦) : " وهو طلب الاُدنى بالقول من الأعلى على جهة الاستكانة " (٧)

وقال الشيخ ابن باديس (٨) : " الدعاء هو : النداء لطلب شيء من المدعو

(١) مفاتيح الغيب ٢٤٩/٢٦ (٢) فصلت ٤٩/

(٣) تقدمت تراجمهم (٤) فتح القدير ٥٢٢/٤

(٥) مفاتيح الغيب ١٠٦/٥

(٦) هو الامام الملا علي بن سلطان محمد الهروري القاري - صاحب " مرعاة المفاتيح "

في شرح " مشكاة المصابيح " ، ولد في هراة وسكن مكة ، وكان فقيها حنفيا من صدور العلم في عصره ، وله مؤلفات كثيرة ، وتوفي بمكة سنة ١٠١٤ هـ

(٧) مرعاة المفاتيح ٦٣٣/٢

(٨) هو الشيخ عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس ، ولد

في قسنطينة سنة ١٣٠٨ هـ ، وقد أتم دراسته في الزيتونة بتونس ، وزار القاهرة والحجاز واتصل بكثير من العلماء والمصلحين ، فلما عاد الى الجزائر مضى في الدعوة الى الله حتى أنشأ جمعية العلماء المسلمين " سنة ١٣٥٠ هـ وتوفي ١٣٥٩/٣/٨ هـ

ولذلك لا يدعوا الا الحاقل ، او ما نزل منزلته مجازا من الجمادات ،

او ما كان له فهم لبعض الأصوات من الجمادات .

واذا كان لشيء معظم - ليطلب منه ما هو وراء الأسباب العادية -

فوق الطلاقة البشرية - فهو عبادة ، ولا يكون الا من المخلوق لخالقه

واذا لم يكن كذلك - فهو عادة ، وهو دعاء المخلوقين بعضهم بعضا

لغرض من الأغراض " (١)

وقال الشيخ محمد رشيد رضا (٢) : " أن الدعاء - في أصل اللغة :

النداء والطلب ، وهما قسمان : عادي وعبادي .

فما وجهه الداعي - الى مثله - من طلب ، بقدر المدعو على اجابته

بمقتضى الأسباب العادية - فهو دعاء عادي .

وما وجهه - الى من يعتقد أن له قدرة أو سلطانا غيبيا فوق الأسباب

العادية * فهو العبادة ، سواء أكان المدعو يستجيب له بقدرته الذاتية ،

أو بتأثيره وشفاعته ووساطته عند ذي القدرة الذاتية " (٣)

وهذه المبارات من العلماء متقاربة المعنى ويوضح بعضها بعضا .

فالدعاء العبادي - هو المراد بالدعاء - اصطلاحا - في هذا البحث ،

وأما الدعاء العادي فهو ليس دعاء - في الاصطلاح وإنما هو دعاء لغوي

أو طلب عادي .

وقد ذهب بعض العلماء الى أن الدعاء الاصطلاحي نوعان : دعاء

المسألة ، ودعاء العبادة .

(١) تفسير ابن باديس ، باب دعاء غير الله ص ١٧٩

(٢) هو الشيخ محمد رشيد رضا صاحب " المنار " ولد في قرية القلمون

بترابلس الشام في ٢٧ / ٥ / ١٢٨٢ هـ ، ونشأ بها وتعلم فيها ، ورحل

الى مصرفاتصل بالشيخ محمد عبده . وأصدر " المنار " في شوال ١٣١٥ هـ

وأنشأ معهد " الدعوة والارشاد " في مصر ، وتوفي سنة ١٣٥٢ هـ .

(٣) انظر تعليق " هبة الانسان " ص ٤٤٣

ومن قال بهذا القول الامام ابن تيمية ^(١) وتبعه تلميذه الامام ابن القيم ^(٢) .
 قال الامام ابن تيمية ^(١) : " الدعاء — لله وحده ، سواء كان دعاء
 العبادة او دعاء المسألة والاستمانة " ^(٣)
 وقال الامام ابن القيم ^(٢) : " فان الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة
 وهذا تارة ويراد به مجموعهما — وهما متلازمان . .
 وهذا في القرآن كثير — بين أن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع
 والضرر ، فهو يدعى للنفع والضرر دعاء المسألة .
 ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة .
 فعلم ان النوعين متلازمان — فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة . وكل
 دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة . .
 وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما أو استعمال
 اللفظ في حقيقته ومجازه ، بل هذا استعمال له في حقيقته الواحدة المتضمنة
 للأمرين جميعا " ^(٤)
 والذي يظهر أن الدعاء الاصطلاحي هو الدعاء العبادي أو في حد تعبير
 بعض العلماء : هو دعاء المسألة فقط ، وأما العبادة — كالتلاوة والذكر —
 والصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد ونحوها — لا تكون الدعاء الاصطلاحي
 وإنما تدخل في معنى " الدعاء " — عند بعضهم — باعتبار تضمنها الطلب
 باستدعاء رضوان الله واستدفاع سخطه .

(١) هو الامام تقي الدين احمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي
 القاسم الحراني المعروف بابن تيمية ، ولد في ربيع الاول سنة ٦٦١ هـ ،
 وعنى بالحديث ونسخ الأجزاء ودار على الشيوخ وخرج وانتقى وبيع في
 الرجال وعلل الحديث وفقهه وفي علم الاسلام المتنوعة ، وتوفي
 ٧٢٨/١١/٢٠ هـ

(٢) تقدمت ترجمته (٣) مجموع فتاوى ٦٩/١

(٤) بدائع الفوائد (باختصار) ٣/٢-٣

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١) : " وأما ما تقدم من كلام شيخ الاسلام وتبعه العلامة ابن القيم (رحمهما الله) من أن الدعاء نوعان : دعاء مسألة ودعاء عبادة ، وما ذكر بينهما من التلازم وتضمن أحدهما للآخر - فذلك باعتبار كون الذاكر والثالي والمصلّي والمتقرب بالنسك وغيره - طالبا في المعنى ، فيدخل في معنى الدعاء بهذا الاعتبار " (٢)

الفاظ أخرى للمصنف تدل على
معنى " الدعاء " الاصطلاحي المراد في
هذا البحث

وهناك ألفاظ أخرى تطلق في القرآن الكريم ويريد بها المعنى الاصطلاحي المراد بالدعاء في هذا البحث ؛

١ - النداء :

فمن الألفاظ التي تطلق في القرآن الكريم ويراد بها المعنى الاصطلاحي بالدعاء : النداء ؛

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ذكّر رحمته ربك عبده زكريا ٠ إذ نادى ربه نداء خفيا ٠ قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ٠ ولم اكن بدعائك رب شقيا ٠ واني خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا - فهب لي من لدنك وليا ٠ يرثني ويرث من آل يعقوب ٠ واجعله - رب - رضيا ﴾ (٣)

(١) هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب كتاب " فتح المجيد - في شرح كتاب التوحيد " ، وكان كثيرًا ما يتعهد أهل بلدان نجد - بالمراسلات والنصائح ويعلمهم أمور دينهم ٠ وله مصنفات في الأصول والفروع أكثرها ردًا على أهل المقالات ومن غلط منهم في الصفات ، وتوفي سنة ١٢٨٥ هـ

(٢) فتح المجيد باب من الشرك أن يستغيث بغير الله ص ١٧٦

(٣) مريم / ٦٢

قال الامام الراغب الاصفهاني (١) : " النداء : رفع الصوت وظهوره وقد يقال ذلك للصوت المجرد " (٢)

ونقل عنه الامام الألوسي (٣) " زاد " بل لكل ما يدل على شيء وان لم يكن صوتا "

وقال : " والمراد هنا : ان دعا ربه * نداء * لى دعاء " (٤)
والظاهر ان تفسير " النداء " في الآبسة الكريمة هو القول الذي ورد بعدها مباشرة . وهو قول * رب انى وهن العظيم منى * الى قوله * واجعله - رب - رضا * وهذا دعاء .

٢ - الصلاة :

ومنها : الصلاة .

يقول الله سبحانه : * خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها *
وصل عليهم - ان صلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم * (٥)
قد فسرہ الامام جلال الدين السيوطي (١) وقال : " أى : ادع لهم " (٦)
وقال الامام الشوكاني (١) : " ادع لهم - بعد اخذك لتلك الصدقة من أموالهم " (٧)

- (١) تقدمت تراجمهم (٢) المفردات ص ٢٤١
(٣) هو الامام ابو الثناء شهاب الدين السيد محمود افندي البغدادى الألوسى
(نسبة الى قرية اسمها " آلوس " وهي جزيرة في منتصف نهر القرات . وكانت موطن أجداده) . ولد سنة ١٢١٧ هـ في جانب الكرخ من بغداد ، كان سلفى الاعتقاد وشافعي المذهب ، وكان عالما في التفسير والحديث والأصول والفروع - واختلاف المذاهب ، واشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشر سنة وله مؤلفات كثيرة مفيدة . وتوفي ١٢٧٠/١١/٢٥ هـ
(٤) روح المعاني ٥٩/١٦ (٥) التوبة / ١٠٣
(٦) تفسير الجلالين ص ٢٦٦ (٧) فتح القدير ١/٣٣٩

وقال الحافظ ابن حجر (١) : " وافقوا على أن المراد بالصلاة هنا -
الدعاء " (٢)

وورد عن أبي هريرة (٣) (رضي الله عنه) : " أن رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) قال :

" الملائكة تصلى على أحدكم ما دام في مصلاه - ما لم يحدث " اللهم
اغفر له ، اللهم ارحمه " . . . (٤)

والمراد بصلاة الملائكة هنا هو دعاءهم الذي ورد به في بقية الحديث
الشريف " اللهم اغفر له - اللهم ارحمه "

ومن الملاحظ أن كلمة " الصلاة " إذا تعدت بمعنى - فهي بمعنى
" الدعاء " كما في الآية الكريمة والحديث الشريف ، وإذا تعدت باللام -

فهي بمعنى " الصلاة " المعروفة المفتحة بالتكبير المختمة بالتسليم ، كما
في قوله تعالى : فصل لربك وانحر (٥)

٣ - الجوار :

ومنها : الجوار

(١) هو الامام الحافظ شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن
علي بن احمد الشهير بابن حجر (وهذا لأن نسبه الى آل حجر ، وهم : قوم
كانوا يسكنون الجنوب من بلاد الجريد ، وأرضهم قابس) وهو الكنانى المسقلاني
الأصل المصرى المولد والمنشأ والدار والوفاة ، ولد في ١٢ / ٨ / ٧٧٣ هـ وحفظ
القرآن وهو ابن تسع سنوات ، وله مصنفات كثيرة نافمة في الفنون ، ومن أجلها
" فتح الباري " ، وتوفي في اواخر ذى الحجة سنة ٨٥٢ هـ

(٢) فتح الباري كتاب الدعوات باب قول الله وصل عليهم ٣٨٥ / ١٣

(٣) هو الصحابي الجليل الحافظ المكثر ، واختلف في اسمه واسم أبيه على نحو من ثلاثين
قولا ، وأرجحها : عبد الرحمن بن صخر . وكان أكثر الصحابة حديثا فليس لأحد من
الصحابة هذا القدر ولا ما يقاربه ، وتوفي بالمدينة المنورة سنة ٥٩ هـ - وهو
ابن ٧٨ سنة .

(٤) رواه الامام البخارى بسنده ، كتاب الاذان ، باب من جلس في المسجد ٢٨٣ / ٢

(٥) الكوثر / ٢

يقول الله جل ثناؤه * وما بكم من نعمه فمن الله * ثم اذا مسكم الضر فآليه تجأرون * (١)

فسره الامام الشوكاني (٢) وقال : * اي : اذا مسكم الضر اى مس فالى الله سبحانه لا الى غيره تتضرعون في كشفه * فلا كاشف له الا هو * يقال : جار بجار جوارا : اذا رفع صوته في تضرع * (٣)
وقال الامام النسفي (٢) : * فما تتضرعون الا اليه * والجوار : رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة * (٤)

٤ - الابتهاال :

ومنها : الابتهاال .

يقول الله تبارك وتعالى * الحق من ربك فلا تكونن من المترين . فمن حاجبك فيه من بعد ما جاءك من العلم * فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم * ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين * (٥)
فسره الامام جلال الدين السيوطي (٢) وقال : * نتضرع في الدعاء * (٦)
وقال الامام الراغب الاصفهاني (٢) : * والتهيل والابتهاال - في الدعاء : الاسترسال فيه والتضرع * ومن فسر الابتهاال باللمن فلاجل أن الاسترسال في هذا المكان لاجل اللمن * (٧)

وقال الامام الشوكاني (٢) : * اصل الابتهاال : الاجتهاد في الدعاء باللمن وغيره ويطلق على الاجتهاد في الهلاك * (٨)
ومعنى ذلك ان الابتهاال هو التضرع والاجتهاد في الدعاء .

-
- | | |
|-----------------------|-------------------------|
| (١) النحل ٥٣/ | (٢) تقدمت تراجمهم |
| (٣) فتح القدير ١٦٩/٣ | (٤) مدارك التنزيل ٢٨٩/٢ |
| (٥) آل عمران ٦١/ - ٦٢ | (٦) تفسير الجلالين ص ٧٧ |
| (٧) المفردات ص ٨٢ | (٨) فتح القدير ١/ ٣٤٧ |

٥ - التضرع :

ومنها : التضرع

يقول الله تعالى ﴿ ولقد أرسلناك الى أمم من قبلك فآخذناهم بالأساء والضراء - لعلهم يتضرعون ﴾ (١)

فسره الامام الشوكاني (٢) فقال : " أى - يدعون الله بضراعة ، مأخوذ من الضراعة ، وهى : الذل " (٣)

ويقول الله سبحانه ﴿ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فسي طغيانهم يعمهون . ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ (٤)
قال الامام الشوكاني (٢) : " أى - وما يخشعون لله في الشدائد عند اصابتها لهم ولا يدعونه لرفع ذلك " (٥) .

ومن الملاحظ ان الله سبحانه وتعالى خص استعمال " التضرع " في الدعاء بمواطن الشدة .

(١) الانعام / ٤٢

(٢) تقدمت ترجمته

(٣) فتح القدير ١١٦/٢

(٤) المؤمن / ٧٥-٧٦

(٥) فتح القدير ٤٩٤/٣

والفصل الثاني

في بيان :-

- مشروعية الدعاء .
- فضل الدعاء .
- معنى الدعاء هو العبادة .
- علاقة الدعاء بالعبادة .

الفصل الثاني

مشروعية الدعاء وفضله وعلاقته بالعبادة

مشروعية الدعاء

لقد اجمع العلماء على ان الدعاء مشروع ، فان الايات الكريمة والاخبار الشريفة وردت دالة على أنه مطلوب شرعا ، وذلك بصيغ مختلفة : الأمر والنهي والوعد والوعيد وغيرها .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (٢)

وقوله سبحانه ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ، انه لا يحب المعتدين . ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها ، وادعوه خوفا وطمعا ، ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (٣)

وقوله عز وجل ﴿ واذا سألك عبادي عني فاني قريب — أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾ (٤)

فقوله تعالى : ﴿ ادعوني ﴾ و ﴿ ادعوا ربكم ﴾ و ﴿ وادعوه ﴾ أمر ، وقوله سبحانه ﴿ سيدخلون جهنم داخرين ﴾ وعيد ، وقوله ﴿ استجب لكم ﴾ و ﴿ ان رحمة ربك قريب من المحسنين ﴾ و ﴿ أجيب دعوة الداع اذا دعان ﴾ وعد قال الامام الفخر الرازي (٥) : " وظاهر الأمر للموجب ، فان لم يحصل الموجوب — فلا أقل من كونه ندبا " (٦)

-
- | | |
|------------------------|---------------------------|
| (١) اي : دليلين صاغرین | (٢) غافر / ٦٠ |
| (٣) الأعراف / ٦٥ — ٦٦ | (٤) البقرة / ١٨٦ |
| (٥) تقدمت ترجمته | (٦) مفاتيح الغيب ١٤ / ١٣٠ |

فقال بعضهم ان الدعاء مستحب .

وهذا القول هو الذي صححه الامام النووي (١) وقال : " وهذا هو الصحيح الذي أجمع عليه العلماء واهل الفتاوى في الاُصار " (٢)

وقال بعضهم أن دعاء الله واجب

ومن قال بهذا القول الامام الشوكاني (٣) وسبأني كلامه .

والظاهر ان قوله تعالى ﴿ ادعوني ﴾ و ﴿ ادعوا ربكم ﴾ و ﴿ ادعوه ﴾

أمر ، والاصل في الأمر — كما ذهب جمهور الأصوليين — الموجب .

وأن قوله سبحانه ﴿ سيدخلون جهنم داخرين ﴾ وعبد ، والوعيد بجهنم

لا يكون الا من ترك الواجب او ارتكاب الحرام .

وأن هذا الوعيد على من استكبر عن عبادته تعالى والدعاء هو العبادة .

ومعنى ذلك — أن الوعيد المذكور ليس على من ترك الدعاء مطلقا . وانما على

من تركه استكبارا ، وأما من تركه غير مستكبر في وقت من الأوقات فلا يتوجه اليه

ذلك الوعيد .

وهناك نقطة لطيفة في هذه الآية الكريمة ، وهي أن من ترك الدعاء في

وقت من الاوقات واذا دعا دعا الله وحده فلا يكون من المستكبرين ، وأن من ترك

دعاء ، تعالى فهو من المستكبرين الذين يتوجه اليهم ذلك الوعيد .

قال الامام الشوكاني (٣) : فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة ، وأن ترك دعاء

الرب سبحانه استكبارا ، ولا أقبح من هذا الاستكبار . . . (٤)

(١) هو الامام محي الدين ابو زكريا : يحيى بن شرف بن مري الخزاعي الشافعي ،

ولد بنوي (فنسب اليها — النووي — بحذف الألف واثنائه — وهي بلدة بحوران

بينها وبين دمشق مسافة يومين) في شهر المحرم سنة ٦٣١ هـ ، وكان عالما

في الحديث والفقه واللغة . زاهدا ورعا آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر

قائما راضيا متقشفا في مأكله ومشربه ولبسه واثنائه ، وتوفي ١٤ / ٧ / ٦٧٦ هـ

(٢) شرح مسلم ٥٥٨ / (٣) تقدمت ترجمته

(٤) تحفة الذاكرين ص ١٩

واستدل الامام الشوكاني (١) أن ترك دعاء الله من الاستكبار بقوله تعالى
 ﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ وقال : " يدل
 على أن ترك دعاء العبد لربه من الاستكبار ، وتجنب ذلك واجب لا شك
 فيه " (٢)

وقد ورد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) (١) قال :
 قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ من لا يدعو الله يفضب عليه ﴾ (٣)
 وفي هذا الحديث ونحوه - كما قال الامام الشوكاني (١) : " دليل على
 أن الدعاء من العبد لربه من اهم الواجبات وأعظم المفروضات ، لأن تجنب
 ما يفضب الله منه - لا خلاف في وجوبه ، وقد انضم الى هذا الأمر
 القرآنية (٤) .

ومما سبق - نعرف :-

١ - أن الأصل في حكم الدعاء مستحب ومندوب اليه في كل وقت من الأوقات
 وفي كل حال من الأحوال .

٢ - وأن دعاء الله وحده واجب في كل دعوة من الدعوات
 ومما يؤيد أن دعاء الله وحده واجب هو ما ورد في الآيات الكرimsة
 من النهي عن دعاء من دون الله أو دعاء غيره معه والوعيد على ذلك .

قال تعالى : ﴿ ولا تدع - من دون الله - ما لا ينفعك ولا يضرك ، فإن
 فعلت فأنك اذا من الظالمين ﴾ (٥)

وقال سبحانه ﴿ فلا تدع - مع الله - اليها آخر - فتكون من المذنبين ﴾ (٦)

(١) تقدمت ترجمتهما . (٢) تحفة الذاكرين ، فضل الدعاء ص ٢٢

(٣) رواه الامام الحاكم بسنده وقال : هذا حديث صحيح الاسناد
 وسكت عنه الامام الذهبي ، باب من لا يدعو الله الخ ٤٩١/١
 ورواه الامام الترمذي بسنده نحوه ، باب فضل الدعاء ٣١٣/٩
 ورواه الامام ابن ماجة بسنده نحوه ، باب فضل الدعاء ٣٥٨/٢
 ورواه الامام البخاري بسنده في الأدب المفرد . باب من لم يسأل الله ١١٨/٢
 (٤) تحفة الذاكرين ، فضل الدعاء ص ٢٢

(٥) يونس / ١٠٦ (٦) الشعراء / ٢١٣

فضل الدعاء

لقد بين الشارح فضل الدعاء - في الآيات الكريمة والآحاد يث الشريفة - من أنه عبادة من العبادات الشرعية ، وأنه من أكرم الأشياء على الله سبحانه ، وأنه وسيلة من الوسائل لنيل محبة الله ومراضاته . فمن لم يدع بغضب عليه ، ومن استكبر عن دعائه تعالى سيدخل جهنم داخرًا ذليلًا .

ولم يقتصر الشارح في بيان فضله على أنه من باب التعبد المحض الذي يثيب به الله الداعي من غير أن يكون للدعاء تأثير في المطلوب ، والذي يحبه ويرضاه من غير أن تكون له فائدة فيه - بل بين مع ذلك على أن مع الدعاء اجابة ومع السؤال اعطاء . فان الدعاء يرد القدر ، وأنه ينفع مما نزل وما لم ينزل ، والله لا يهلك مع الدعاء أحد .

والدعاء - اذن - مفتاح ابواب الاجابة والرحمة والجنة .

ولذلك فان الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض . وهذا اجمال لفضله العظيم ، وقليل من تفصيله (ان شاء الله) فيما يلي :

١ - الدعاء هو العبادة :

الأصل فيه حديث النعمان بن بشير (رضى الله عنهما) (١) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " الدعاء هو العبادة " ثم قرأ * وقال ربكم : ادعوني استجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين * (٢) (٣)

(١) تقدمت ترجمته في " المقدمة "

(٢) غافر / ٦٠ ، داخرين ، اى : ذليلين صاغرين

(٣) تقدم تخریجه في " المقدمة "

رواه الترمذی وقال : حسن صحيح ، ورواه ابو داود وابن ماجه والبخارى في الأدب المفرد وصححه الحاكم وأقره الذهبي .

وقد عبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذا الحديث الشريف
باسلوب القصر ، ثم قرأ الآية الكريمة ليستدل بها على أن للدعاء هو
العبادة .

والقصر في الاسلوب النبوي الحكيم جاء بطريقتين من طرق القصر الاصطلاحية
المقررة في علم المعاني (١) وهما :-

١ - طريق ضمير الفصل

٢ - وطريق تعريف ركني الاسناد : المسند والمسند اليه .

وأن هذا القصر - أهو ادعائي ام حقيقي ؟ اختلف العلماء فيه :-

١ - فذهب بعضهم : الى أنه ادعائي ، ويقصد به المبالغة ، اذ

المعنى : (أن العبادة ليست غير الدعاء) ، فهذا مبالغة - لأن هناك
المبادات الكثيرة غير الدعاء ، مثل : التلاوة والذكر والصلاة ، والصوم

والزكاة ، والحج ، والجهاد ، ونحوها ، وعلى الادعائي - فمعناه :

(ان من اعظم انواع العبادة - الدعاء أو المعنى : ان معظم العبادة الدعاء)

وهذا كحديث عبد الرحمن بن يصر الدبلي (٢) . قال :

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " الحج عرفات (٣)

ومعنى هذا الحديث : ان من اعظم اركان الحج - الوقوف بعرفات ، أو

معناه : ان معظم الحج - الوقوف بعرفات لأنه يفوت الحج بفوات الوقوف بعرفات .

(١) القصر ، لغة : الحبس ، واصطلاحاً : تخصيص شيء بشيء باحدى

طرق القصر الستة الاصطلاحية وهي : ١/ النفي والاستثناء ٢/ ولفظ (انما)

٣/ والحظف بلا أو بيل ، أو بلكن ٤/ وتقديم ما حقه التأخير

٥ - ٦ / وقد ذكرنا في البحث

(٢) هو الصحابي عبد الرحمن بن يصر (بفتح التحتانية وسكون الميم وفتح الميم)

الدبلي (بكسر الدال وسكون التحتانية) وكان مكياً يسكن الكوفة وتوفي بخراسان .

(٣) رواه الامام الترمذي بسنده واللفظ له ، قال : هذا حديث حسن صحيح

==

وقال الامام مبرك (١) : " اتى بضمير الفصل . والخبر المعروف باللام . لهدل
على الحصر في أن العبادة ليست غير الدعاء = مبالغة ، ومعناه : أن
الدعاء معظم العبادة " (٢)

٢ - وذهب آخرون :- الى ان هذا القصر حقيقي ، لأنه هو المتبادر
من طريق ضمير الفصل ومن طريق تعريف ركني الاسناد .
ثم اختلفوا - في المراد بالعبادة فيه - أهى اللغوية أم الشرعية ؟
فقال طائفة : أن المراد بها فيه هى العبادة اللغوية ، لأن الدعاء
كالعبادة في اظهار العجز والاحتياج من نفسه الى الغير القادر على
اجابته العالم بحاله وغير ذلك ، ومن ثم فمعناه : ان الدعاء هو العبادة
بذلك الاعتبار .

قال الامام الطيبي (٣) : " معنى حديث النعمان : ان تحصل
العبادة على المعنى اللغوى ، اذ الدعاء هو اظهار التذلل والافتقار الى الله
والاستكانة له ، وما شرعت العبادة الا للخضوع للبارى ، واظهار الافتقار اليه " .

=== باب تفسير سورة البقرة ٣١٦/٨

- ورواه الامام ابوداود ، باب من لم يدرك عرفه ٤٢٥/٥
ورواه الامام ابن ماجه ، باب من أتى العرفة قبل الفجر ليلة جمع ١٠٠٣/٢
(١) بحث عنه في كتب التراجم ولم أجده .
(٢) نقله الامام على القارى فى مرقاة المفاتيح كتاب الدعوات ٦٣٢/٢
(٣) هو الامام الحسين بن محمد بن عبدالله شرف الدين الطيبي - صاحب
شرح " مشكاة المصابيح " المشهور . وهو من علماء الحديث والتفسير والبيان
وكانت له ثروة طائلة من الارث والتجارة . فأنفقها في وجوه الخير حتى
افتقر في آخر عمره ، وكان آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة ، وله
مؤلفات . وتوفي سنة ٧٤٣ هـ .

وأضاف قائلا : " وينصر هذا التأويل ما بعد الآية المتلوة * ان الذين يستكبرون عن عبادتي * حيث عبر عن عدم الافتقار والتذلل بالاستكبار ووضع
* عبادتي * موضع * دعائي * ويجعل جزء ذلك الاستكبار الهوان والصغار^(١)

وقالت طائفة أخرى : أن المراد بالعبادة في حديث النعمان هو العبادة الشرعية ، فان الالفاظ الشرعية لا تحمل الا بالمعاني الشرعية . وكان المعنى : ان الدعاء هو أعلى انواع العبادة وأعظمها .

قال الامام على القارى^(٢) في شرح حديث النعمان المذكور : " أى : هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة ، لدلالته على الاقبال على الله والاعراض عما سواه - بحيث لا يرجو ولا يخاف الاياه ، قائما بوجوب العبودية ، معترفا بحق الربوبية ، عالما بنعمة اليجاد ، طالبا لمدد الامداد - على وفق المراد وتوفيق الاسعاد " (٣)

وقال الامام الشوكاني^(٢) : " هذه الصفة المقتضية للحصر من جهة تحريف ركبي الاسناد . ومن جهة تحريف المسند ، ومن جهة ضمير الفصل - تقتضى ان الدعاء هو أعلى انواع العبادة وأرفعها وأشرفها " (٤)

والذى يظهر : أن القصر في الأسلوب النبوى الحكيم الذى جاء في حديث الصحابي النعمان بن بشير (رضى الله عنه) المذكور - هو : القصر الحقيقي ، وأن المراد بالعبادة هي العبادة الشرعية ، ولكن ليس معناه ان الدعاء هو أعلى انواع العبادة وأعظمها ، وإنما معناه : ان الدعاء عبادة من العبادات الشرعية .

(١) نقله الحافظ ابن حجر في فتح البارى ، كتاب الدعوات ١٣ / ٣٣٩ ونقله الامام المناوى - في فيض القدير ٥٤٠ / ٣

(٢) تقدمت ترجمته

(٣) مرقاة المفاتيح كتاب الدعوات ٦٣٢ / ٢

(٤) تحفة الذاكرين باب فضل الدعاء ص ١٩

وذلك - كما تقرر في علم المعاني - بأن المقصور عليه في طريق ضمير
الفعل : ما بعد الضمير ، وهذا هو " العبادة " ، وبأنه في طريق تعريف
وكلى الاستاد - اذا اتحد طريقا التعريف : هو المؤخر ^(١) والاسلوب
النبي الحكيم هنا اتحد طريقا التعريف : فيكون المقصور عليه فيه
هو " العبادة " أيضا .

ومعناه : الدعاء هو العبادة أي : لا غير العبادة ، واذا أردنا زيادة
التوضيح في المعنى فعلينا ان نبذل طريق القصر منه بطريق النفسى
والاستثناء ، فنقول : لا يكون الدعاء الا العبادة - اذا لم يكن هناك دعاء
سوى العبادة لأن المقصور عليه في طريق النفي والاستثناء هو ما يلي أداة
الاستثناء .

ولهذا ، قد عقب الخافظ ابن حجر ^(١) على القول : " العبادة ليست
غير الدعاء " وقال : " مقلب ، وجوابه : ان الدعاء ليس غير العبادة " ^(٢)
واذا اتضح هذا فان قياسهم حديث الصحابي / النعمان بشير (رضى
الله عنها) المذكور بحديث الصحابي / عبد الرحمن بن بصر الدبلى - المرفوع :
" الحج عرفات " - غير مسلم ، لأنه مقلب في شرح المعنى ، وهم قالوا
في معناه من أعظم انواع العبادة - الدعاء ، قياسا على أن من أعظم اركان الحج
- الوقوف بعرفات ، والذي يظهر من القياس انه ينبغي ان يقولوا في معناه :
من أعظم انواع الدعاء - العبادة ، وهذا المعنى غير مستقيم فلا يحتاج الى
القول بأن هذا القصر ادعائى ولا أنه يقصد به المبالغة .

(١) بخلاف اذا اختلف طريقا التعريف فان المقصور عليه هو المقدم .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) نقله الامام على القارى في مرقاة المفاتيح ، كتاب الدعوات

وأما ادعائهم : ان تحمل العبادة فيه على المعنى اللغوي لم يظهر وجهه ولا فائدته ، لأن الالفاظ الشرعية لا تحمل الا بالمعاني الشرعية — الا عند التعذر بها ، وهي هنا لا عذر لها ، فان الدعاء الشرعي لا يكون الا العبادة الشرعية ، وكيف لا يكون ذلك — وقد كانت الآية الكريمة التي قرأها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تدل على ان الدعاء عبادة من العبادات الشرعية ، فانه سبحانه وتعالى أمر عباده ان يدعوه ، وفعل المأمور به عبادة ، وقوله عز وجل ﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتي ﴾ يفيد أيضا أن الدعاء عبادة من العبادات الشرعية . فانه تعالى ذكر بعد أمره بالدعاء بالحكم العام والوعيد الشامل الا وهو الاستكبار عن عبادة الله . فالعبادة تشمل التلاوة والذكر والصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد وغيرها ، ودخل فيها الدعاء دخولا أوليا .

فالدعاء عبادة من العبادات الشرعية في صريح الاسلوب النبوي الحكيم وصرح المعنى القرآني العظيم .

وهذا فضل الدعاء — وليس بعده فضل ، ولولم يكن للدعاء فضل الا هذا لكفى ، لأن العبادة هي الغاية القصوى التي لا جليها خلق الجن والانس وللدعوة اليها بعثت الرسل — كما سبق ذكره في المقدمة .

قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ (١)

وقال سبحانه : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا — ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (٢)

(١) الذاريات / ٥٢

(٢) النحل / ٣٦

٢ — الدعاء من أكرم الأشياء على الله :

ولم يكشف الشارع في بيان فضل الدعاء على أنه عبادة ممن
المبادات الشرعية ، بل بين مع ذلك على أنه من أكرم الأشياء
على الله .

وذلك ما ورد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) :-

عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، قال : ﴿ ليس شيء أكرم على الله
من الدعاء ﴾ (١) .

والظاهر من هذا الحديث أنه يدل على أن الدعاء لا يفضل عليه شيء
من الأشياء لأنه قوله (صلى الله عليه وسلم) : " شيء " - نكرة ، والنكرة
إذا وردت في سياق النفي فإنه تفيد التحميم ، فيكون ذلك الشيء يحتم كل شيء ،
ومقتضاه : أن لا يوجد شيء / كائن ما كان أكرم على الله من الدعاء .

وكيف يكون الدعاء أكرم على الله من كل شيء ؟

والذي يظهر ^{من} / المعنى / قوله (صلى الله عليه وسلم) ﴿ ان الدعاء ليس
أكرم من كل شيء ، وإنما كل شيء ليس أكرم من الدعاء - فيكون ذلك
الشيء من الأشياء ، أما مساويا للدعاء أو دونه ، والدعاء قد يكون
مثل ذلك أو منه ولا يكون دونه .

وجه ذلك : لأن الدعاء - كما سبق ذكره - عبادة من العبادات الشرعية ،
وهذا الدعاء - من حيث العبادة ^{هو} - ليس شيء أكرم منه فذلك الشيء

(١) رواه الامام ابن حبان بسنده وصححه ، البيان بأن دعاء المرء لله جل
وعلا من أكرم الأشياء ١٦٣/٢

ورواه الامام الحاكم بسنده وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه

وأقره الامام الذهبي وقال : صحيح ٤٩٠/١

ورواه الامام ابن ماجه بسنده باب فضل الدعاء ١٢٥٨/٢

ورواه الامام البخاري بسنده في الأدب المفرد ، باب فضل الدعاء ١٨٣/٢

إذا كان من العبادات الأخرى كال تلاوة والذكر والصلاة والصوم والزكاة والحج
والجهاد ونحوها — فيكون مساويا للدعاء من حيث ذلك الشيء عبادته من
العبادات كاللجوء ، وإذا كان ذلك الشيء من العبادات ككسب الرزق
للبتنعم وغسل الجسم ليتبرد وغير ذلك — فيكون دون الدعاء ويكون الدعاء
أكرم منه ، لأن العبادة أكرم عند الله من العادة .

ولهذا قال الإمام الشوكاني (١) : " والأولى أن يقال : إن الدعاء
لما كان هو العبادة وكان مخ العبادة — كان أكرم على الله من هذه الحبشة (٢)

٣ — الدعاء وسيلة لتبيل محبة الله ومراضاته:

قد ذكر الله في القرآن الكريم كثيرا من الآيات الكريمة من السجدة
يحب من الذي لا يحبه لقوله تعالى * إن الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين * (٣)

وقوله * إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم
بنبان مرصوص * (٤)

وقوله عز وجل * إن الله لا يحب كل مختال فخور * (٥)

وقوله سبحانه * والله لا يحب المفسدين * (٦)

ومثل ذلك في الأحاديث النبوية .

فمحبة الله هي الغاية القصوى التي يطلبها العبد ، والعبد ليس
يصل إلى هذه الغاية إلا إذا انخلع عن كل صفة تغضبه إلى الله ، وتحقق بالصفات
التي تحبها إليه تعالى .

(١) تقدمت ترجمته

(٢) تحفة الذاكرين ، فضل الدعاء ص ١٢

(٣) البقرة / ٢٢٢

(٤) المائدة / ٦٤

(٥) لقمان / ١٨

(٦) الصف / ٤

ومعنى ذلك ان الدعاء اذا قام به العبد فهو سبب لمحبة الله له وبعيد
عن غضبه عليه واذا تركه فهو سبب لغضب الله عليه وبعيد عن محبته له .
ورود عن ابي هريرة (١) (رضى الله عنه) قال :
(٢)
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " من لا يدعو الله يغضب عليه " .
ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخبرنا بأن من لا يدعو الله
يغضب عليه ولا يحبه ، ومفهوم هذا : ان الذى يدعو به يحبه ويرضى عنه
ويستجيب له .

وروى عن ابن مسعود (٣) (رضى الله عنه) قال :
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " سئلوا الله من فضله ، فان
الله يحب ان يسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج " (٤)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) تقدم تخريجه رواه الحاكم وصححه وسكت عنه الذهبي .

ورواه الترمذى وابن ماجه والبخارى في الأدب المفرد

(٣) هو الصحابي الجليل الامام الريانى ابو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن
غافل بن حبيب الهذلي ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد
السابقين الأولين ، وتوفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ وهو ابـن
بضع وستين .

(٤) رواه الامام الترمذى بسنده ، وقال : " هكذا روى حماد بن واقد هذا
الحديث ، وحماد بن واقد ليس بالحافظ ، وروى أبو نعيم هذا الحديث
..... وحديث أبي نعيم أشبه ان يكون أصح ."
ولكن في طريق أبي نعيم : عن رجل عن النبي (صلى الله
عليه وسلم) . فهذا الرجل يحتمل ان يكون صحابيا ويحتمل
ان يكون تابعيا .

وكيف لا يكون الدعاء مما يحبه الله ، فانه عبادة من العبادات والعبادة من اكرم الاشياء على الله تعالى .

فالدعاء اذن وسيلة من الوسائل لنيل محبة الله ومراضاته ووسيلة لتجنب غضب الله وعذابه .

قال تعالى ﴿ قال ربكم ادعوني استجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (١)

٤ — الدعاء يرد القدر وينفع مما نزل ومما لم ينزل :

ومن فضل الدعاء العظيم انه يرد القدر وينفع مما نزل ومما لم ينزل .

وذلك ما ورد عن ثوبان (رضى الله عنه) (٢) قال :

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ لا يرد القدر الا الدعاء ، ولا يزيد في العمر الا البر . وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيه ﴾ (٣)

(١) غافر / ٦٠

(٢) هو الصحابي ابو عبد الله ثوبان بن جُذْد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل السَّراة (موضع بين مكة واليمن) اصابه سياء فاشترى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاعتقه ، ولم يزل يكون معه في السفَر والحضر الى أن توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فخرج السي الشام فنزل الرملة ثم انتقل الى حمص فابتنى بها دارا ، وتوفي بها سنة ٥٤ هـ .

(٣) رواه الامام الحاكم بسنده ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأقره الامام الذهبي ، وقال : صحيح . باب لا يرد القدر الا الدعاء (١/ ٤٩٣) ورواه الامام ابن حبان ، ذكر الاخبار عما يستحب للمرء من المواظبة على الدعاء والبر ١٦٣/٢

والظاهر من هذا الحديث الشريف ان الدعاء هو الوحيد في رد القدر ،
 لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عبر عنه بأسلوب القصر ، وهذا القصر
 في الأسلوب النبوي الحكيم جاء بطريق النفي والاستثناء فيكون المقصور عليه
 ما يلي أداة الاستثناء وقوله (صلى الله عليه وسلم) " لا يرد القدر الا بالدعاء " فـ
 فمقتضاه : انه لم يكن هناك شيء يرد القدر سوى الدعاء ، والدعاء وحده
 يرد القدر .

ورود من عائشة (١) (رضى الله عنها) قالت :

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لا يغنى (وفي رواية لأحمد :
 لن ينفع) حذر (٢) من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل ، وإن البلاء
 لينزل فيلقاه الدعاء ، فيعتلجان (٣) الى يوم القيامة " (٤)

وكيف يكون المعنى : ان ما ورد في حديث ثوبان : " لا يرد القدر

الا بالدعاء " وورد في حديث عائشة : " لا يغنى حذر من قدر " ؟

والذى يظهر انه لا تناقض بين الحديثين المذكورين وانما يوضح
 بعضه بعضا ، فقوله (صلى الله عليه وسلم) : " لا يغنى حذر من قدر " عام ،
 وأما الدعاء فهو خاص فينفع مما نزل وما لم ينزل كما ورد في بقية الحديث
 الشريف . ووضح من ذلك ما ورد بلفظ " لن ينفع حذر من قدر " ولكن

(١) هي أم المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق (رضى الله عنهما) تزوجها
 رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل : بثلاث
 سنين ، وهي بنت ست وقيل بنت سبع ، وابنتى بها بالمدينة وهي ابنة
 تسع ، وتوفيت سنة ٥٧ هـ وقيل سنة ٥٨ هـ

(٢) الحذر (بالتحريك) : الاستعداد والتأهب للشيء .

(٣) يعتلجان : يتصارعان ويتدافعان .

(٤) رواه الامام الحاكم بسنده وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه

وأقره الامام الذهبي وقال : صحيح . باب الدعاء ينفع الخ ٤٩٢ / ١

الدعاء ينفع منه سواء كان القدر مما نزل أو مما لم ينزل ، وهذا هو المراد بقوله (صلى الله عليه وسلم) : " لا يرد القدر إلا الدعاء " .
ولكن ما هو المراد بالقدر الذى يرد الدعاء ؟ وما هو المراد بما نزل وما لم ينزل ؟

قال على القارى (١) : " وتأويل الحديث : —

١ — انه ان اراد بالقضاء : ما يخافه العبد من نزول المكروه به ويتوقاه فاذا وفق للدعاء دفعه الله عنه ، فتسميته قضاء مجاز على حسب ما يعتقد المتوقى عنه .

(٢)
بوضحه : قوله (صلى الله عليه وسلم) فى الرقى : " هي من قدر الله " وقد أمر بالتداوى والدعاء مع أن المقدور كائن — لخفائه على الناس وجودا وعندما .

٢ — أو اراد برد القضاء — ان كان المراد حقيقته — فهو ينسب وتيسير الأمر حتى كأنه لم ينزل .

بؤيده : قوله فى الحديث " الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل " (٣)
وأظهر المراد بالقدر هو : حقيقته ، لأن الالفاظ الشرعية لا تحمل إلا بالمحاني الشرعية — الا عند التحذر بها ، وهو هنا لا عذر له — لأن المراد برد القدر هو النفع مما نزل وما لم ينزل .

فالمراد بنفع الدعاء مما نزل — كما قال الامام على القارى (٤) :
" من البلاء نزل : بالرفع — ان كان معلقا " .

(١) تقدمت ترجمته

(٢) سيأتي ذكر هذا الحديث

وهو حديث أبي خزيمة عن أبيه المرفوع الذى رواه الترمذى وحسنه ورواه ابن ماجه واحمد وصححه الحاكم وأقره الذهبى

(٣) مرتاة المفاتيح : كتاب الدعوات ٦٣٨ / ٢

والصبر - ان كان محكما ، فيسبل عليه تحمل ما نزل به من البلاء
فهو صبره عليه أو يرضيه ، حتى لا يكون في نزوله متمنيا خلاف ما كان .
بل يتلذذ بالبلاء كما يتلذذ أهل الدنيا بالنعماء *
والمراد بنفسه مما لم ينزل - كما قال الامام علي القاري (١) : " بأن يصرفه
عنه ويدفعه منه . أو يمدد قبل النزول بتأييد من عنده يخفف معه
أعباء ذلك اذا نزل به " (٢)

٥ - الدعاء منجاة من الهلاك :

يقول الله سبحانه * وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون * (٣)
قال ابن عباس (رضى الله عنهما) (٤) : " ان الله جعل في هذه
الآية أما نين - لا يزالون معصومين مجارين من قوارع المذاب ما داموا
بين أظهرهم ، فأمان قبضه الله اليه ، وأمان بقي فيكم ، قوله * وما
كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون * (٥)
والاستغفار نوع من الدعاء ، والمذاب هو عذاب الاستئصال أو
الهلاك .

وقد ورد في الحديث الثابت أن الدعاء منجاة من الهلاك .

(١) تقدمت ترجمته

(٢) المصدر السابق ٦٣٢/٢

(٣) الأنفال ٣٣/

(٤) هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي و
ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان ابن ثلاث عشرة سنة اذ توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان علامة في الدين والحكمة وتأويل القرآن . وتوفي
بالطائف سنة ٦٨ هـ .

(٥) نقله الامام ابن كثير في تفسيره ٣٠٥/٢ .

وذلك ما ورد عن أنس بن مالك (١) (رضي الله عنه) قال قال رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) : " لا تمجروا في الدعاء فإنه لن (وفي رواية الحاكم
: لا) يهلك مع الدعاء أحد " (٢)

وهذا الحديث الشريف - كما قال الامام الشوكاني (٣) : " فيه
النهي عن أن يمجز الانسان من دعاء ربه ، فان ضرر ذلك لا حرج
به وعائد عليه ، وما أحسن ما علل به (صلى الله عليه وسلم) هذا النهي
بقوله : " فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد " . فان هذه الميزة
يبتزليها كل طالب للخير ، وينشط بسببها كل عارف بمعاني الكلام ،
ولا سيما مع ما مر : ان الدعاء يرد القضاء ويدفع القدر " (٤)

(١) هو الصحابي ابو حمزة انس بن مالك بن النضر بن ضمض بن زيد
الانصاري الخزرجي البصري - خادم رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) سمي باسم عمه انس بن النضر ، كان مقدم النبي
(صلى الله عليه وسلم) المدينة ابن عشر سنين . وتوفي
بالبصرة سنة ٩١ هـ

(٢) رواه الامام ابن حبان بسنده ، ذكر رجاء النجاة من الآفات لمن دام
على الدعاء ١٦٣/٢

ورواه الامام الحاكم بسنده ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه
وأقره الذهبي ، وقال : صحيح ، باب لا يهلك مع الدعاء
أحد ٤٩٤/١ .

(٣) تقدمت ترجمته

(٤) تحفة الذاكرين ، فضل الدعاء ص ٢٢

٦ - الدعاء مفتاح ابواب الاجابة والرحمة والجنة :

وذلك ما ورد عن ابن عمر (رضي الله عنهما) (١) قال :
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " من فتح له باب في الدعاء
منكم - فتحت له ابواب الجنة (وفي رواية الترمذى : الرحمة ، وفي رواية
ابن ابي شيبه : الاجابة) ، ولا يسأل الله عبد شيئا أحب اليه من أن
يسأل العافية " (٢)

وفي هذا الحديث يحتمل أن يكون الدعاء علامة لحصول الجنة والرحمة
والاجابة ، ويحتمل ان تكون الجنة والرحمة والاجابة جزاء للدعاء .
والظاهر ان الاحتمالين يمكن جمعهما في هذا الحديث .

وأما في اختلاف الروايات ، فرواية : ابواب الجنة ، وثانية : ابواب
الرحمة ، وأخرى : ابواب الاجابة - فقد قال عنها الامام الشوكاني (٣) :
" لعل المراد - ان من فتح الله له بالاقبال على الدعاء بخشوع وخضوع وتضرع
وتذلل كان هذا الفتح سببا لاجابة دعائه ولهذا قال : " فتحت له
ابواب الاجابة " .

(١) هو الصحابي الجليل ابو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي
المدني ، أسلم مع ابيه وهو صغير لم يبلغ الحلم ، وهاجر قبل هجرة أبيه
ولم يشهد بدر الصفر سنة ، وكان من أهل الورع والعلم كثير الاتباع شديد
التحرى والاحتياط في فتواه . وتوفي بمكة سنة ٧٣ هـ .

(٢) رواه الامام الحاكم بسنده و قال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه
وأقره الامام الذهبي وقال صحيح ٤٩٨/١

ورواه الامام الترمذى بسنده وقال : هذا حديث غريب ٥٣٤/٩
ونقله الامام الشوكاني في تحفة الذاكرين وعزاه الى الامام ابن ابي شيبه
باب فضل الدعاء ص ٢٠

(٣) تقدمت ترجمته .

وهكذا قوله في الرواية الثانية : " فتحت له ابواب الرحمة " فان فتح ابواب الرحمة دليل على اجابة دعائه .

وهكذا قوله في الرواية الثالثة : " فتحت له ابواب الجنة " فان المبدء اذا وجد من نفسه النشاط الى الدعاء والاقبال عليه — فليست كثر منه فانتمسه لمجاب وتقضى حاجته بفضل الله ورحمته " (١)

٧ — الدعاء سلاح المؤمن من وعماد الدين ونور السموات والأرض :

وذلك ما ورد عن ابن عمر (رضي الله عنهما) (٢) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ونور السموات والأرض " (٣)

وهذا الحديث كما قال الامام الشوكاني (٤) : " فيه تشبيه الدعاء بالسلاح الذي يقاتل به صاحبه العدو ، فان هذا الداعي كأنه بالدعاء يقاتل ما يمتوره من المصائب وما يخشاه من سوء المواقف ، وما أفخم الحكم على الدعاء بأنه عماد الدين ، وبأنه نور السموات والأرض ، فان ذلك قد اشتمل على تعظيم لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه ، والمأجز من عجز عن لبس هذا السلاح وترك الاعتماد على هذا العماد ، ولم ينتفع بهذا النور الذي أنارت به السموات والأرض " (٥)

(١) تحفة الذاكرين باب فضل الدعاء ص ٢٠

(٢) تقدمت ترجمته قريبا

(٣) رواه الامام الحاكم بسنده وقال : هذا حديث صحيح

وأقره الامام الذهبي ، وقال : صحيح . باب الدعاء سلاح المؤمن من

٤٩٢ / ١

(٤) تقدمت ترجمته

(٥) تحفة الذاكرين باب فضل الدعاء ص ٢٣

فما أسعد المؤمن الذى يستخدم هذا السلاح الذى ليس
كمثله سلاح ، ويعتمد على هذا العماد الذى هو عماد الدين . وينتفع
بهذا النور الذى أشتارت به السموات والأرض ، وبالعكس ما
أشقى الإنسان الذى لم يستخدم هذا السلاح ولم يعتمد
على هذا العماد ولم ينتفع بهذا النور .

علاقة الدعاء بالمعبادة

هرفنا - مما سبق - أن الدعاء هو العبادة ، أى : أن الدعاء نفسه عبادة ، وإذا نظر إلى أن تكون هناك عبادات أخرى من الذكر والتلاوة والصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد والذبح وغيرها - كان الدعاء عبادة من العبادات .

علاقة الصوم والخصوص :

وإذا ثبت أن الدعاء عبادة من العبادات كان معناه : أن الدعاء خاص والعبادات عامة ، وهذا يقتضى أن العلاقة بينهما علاقة العموم والخصوص .

ولهذا قال الامام تقي الدين السبكي (١) في تفسير قوله تعالى : * وقال ربكم ادعوني أستجب لكم * الذى قرأه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حديث النعمان بن بشير السابق : " الأولى حمل الدعاء في الآية على ظاهره ، وأما قوله بعد ذلك * عن عبادتي * فوجه الربط : أن الدعاء أخص من العبادة ، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء " (٢)

-
- (١) هو الامام تقي الدين ابو الحسن على بن عبد الكافي بن على بن تمام بن يوسف ابن موسى بن تمام الخزرجي الانصارى السبكي (نسبة الى سبك - بالضم والسكون - وهي قرية من قرى مصر) ، ولد سنة ٦٨٣ هـ ، وكان من جمع فنون العلم عن الحديث والفقه والأدب والنحو واللغة والشعر والفصاحة وكان زاهدا ورعا كثير العبادة والتلاوة وكان شجاعا وشدة في دينه وله مصنفات كثيرة وتوفي سنة ٧٤٦ هـ
- (٢) نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، كتاب الدعوات ٣٣٩/١٣ ونقله الامام القسطلاني في ارشاد السارى ، كتاب الدعوات ١٧٣/٩

وقال الامام الشوكاني (١) : " ولاية الكريمة قد دلت على أن الدعاء من العبادة ، فانه سبحانه امر عباده أن يدعوه ، ثم قال : * ان الذين يستكبرون عن عبادتي * فأفاد بذلك ان الدعاء عبادة . وان ترك دعاء الرب سبحانه استكبار " (٢)

وهذه العلاقة بين الدعاء والعبادة — سماها المنطقيون : (نسبة المصمم والخصوص المطلق) وهي — عندهم : " النسبة بين المقول وبين مجتمعان تارة ويفترقان تارة اخرى ، وأن يكون أحدهما يفارق صاحبه والآخر لا يمكن أن يفارقه . (٣)

ان العبادة تفارق الدعاء لوجودها دونه في الذكر والتلاوة والصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد والذبح ونحوها ، وأما الدعاء فلا يمكن أن يفارق العبادة إذ لا دعاء الا وهو عبادة — كما جاء قصر ذلك في حديث النعمان ابن بشير الذي سبق بيانه : " الدعاء هو العبادة " — فلا يفارق الدعاء العبادة بحال من الأحوال ، فالذي يفارق — وهو العبادة — أعم مطلقا ، والذي لا يفارق — وهو الدعاء — أخص مطلقا فالنسبة بينهما — كما سموها : (المصمم والخصوص المطلق) .

(١) تقدمت ترجمته

(٢) تحفة الذاكرين . باب فضل الدعاء ص ١٩ — ٢٠

(٣) النسب الأربعة في علم المنطق وهي :

- ١/ المصمم والخصوص المطلق قد ذكر تعريفه في البحث كالقطن والأبيض
- ٢/ المصمم والخصوص من وجه ، وهي : مجتمعان تارة ويفترقان تارة أخرى . وان يكون كل واحد منهما يفارق الآخر في بعض الصور مع ان المفروض في بعضهما ، كالانسان والأبيض
- ٣/ المساواة ، وهي : لا يفترقان البتة كالانسان والناطق
- ٤/ التباين ، وهي : لا مجتمعان البتة ، كالانسان والحجر .

علاقة السببية والمسببية :

وهناك علاقة أخرى بين الدعاء والعبادة ، وهي : (علاقة السببية والمسببية) ، فان العبادة سبب للدعاء كما أن الدعاء سبب للعبادة .
وذلك فان من عبد الله أو عبد غيره أو عبده معه لها آخر أو آلهة أخرى فانه يلتجئ الى معبوده عند احتياجه ^{الى} جلب نفع أو دفع ضرر ، سواء أكان المعبود لها حقاً أم لها باطلاً أم شريكاً معه .
وكذلك من دعا الله أو دعا غيره أو دعا معه لها آخر أو آلهة أخرى - سواء أكان يعتقد بأن المدعو يستجيب له بقدرته الذاتية أم بشفاعته ووساطته عند ذي القدرة الذاتية - فانه يعبد مدعوه ويتقرب اليه بقربة أو قربات ليكون زلفى عنده فيقبل دعاءه .

وقد فسر الامام الفخر الرازي (١) " الدعاء " في بعض الآيات الكريمة بمعنى " العبادة " وعلل أن العبادة سبب الدعاء ، ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ ان يدعون من دونه الا انا ﴾ (٢) قال : " ويدعون " بمعنى : يعبدون ، لأن من عبد شيئاً فانه يدعوه عند احتياجه اليه " (٣)
قد ذكرت في الفصل الأول أن تفسيره الدعاء بمعنى العبادة غير مسلم به ، وأما تحليله ان العبادة سبب للدعاء فهو مسلم به ، وكذلك ان الدعاء سبب للعبادة كما سبق بيانه .

الدعوات في الصلاة :

علمنا أن بين الدعاء والعبادة علاقتين : علاقة العموم والخصوص ، وعلاقة السببية والمسببية ، وهذه ناحية .
ومن ناحية أخرى ، اذا نظرنا الى العبادات الشرعية - سوى الدعاء - كال تلاوة والذكر والصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد والذبح ونحوها - فانه يمكن أن تدخل في معنى الدعاء ، وذلك - كما سبق ذكره - باعتبار تضمنها

(١) تقدمت ترجمته

(٢) النساء ٧ / ١١٧

(٣) مفاتيح الغيب ١١ / ٤٦

مهني الطلب عن استدعاء رضوان الله واستدفاع شخطه ، وفوق ذلك فان معظم هذه العبادات قد أودع الشارع الدعوات فيها .

ويحسن بنا ان نقف على بعض الأمثلة التي تتعلق بالصلاة التي هي من أهم العبادات بعد التوحيد ، لكي يتضح لنا أن العلاقة بين الدعاء والعبادة هي علاقة وطيدة بحيث لا يفصل واحد منهما عن الآخر . فالصلاة — كما قال العلماء : لغة — الدعاء ، وسميت هذه العبادة الشرعية باسم الدعاء لاشتمالها عليه .

والصلاة — كما عرفها الفقهاء : " أقوال وأفعال مفتحة بالتكبير مختمة بالتسليم .

فالأقوال عبارة عن التلاوات والدعوات والأذكار ، كما أن الأفعال عبارة عن القيام والركوع والاعتدال والسجود والجلوس .

وإذا نظرنا الى الصلاة وجدنا ان الشارع قد شرع لنا الدعوات في مواطن مختلفة من أفعالها .

١ — دعوات الاستفتاح :

كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يستفتح الصلاة بعد التكبير وقبل التلاوة بأذكار وأدعية متنوعة ، ولهذا فإنه يسن للمصلي أن يدعو فيها بدعاء الاستفتاح ، ولكن الامام مالك (رحمه الله) (١) في القول المشهور عنه — انه قال : " لا يستحب دعاء الافتتاح بعد تكبيرة الاحرام " (٢) محتجاً بحديث (المسمى صلاته) المشهور

(١) هو الامام المجتهد ابو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو ابن الحارث بن غيمان بن جثيل بن عمرو بن أصبح الأصبحي المدني امام دار الهجرة وأحد أئمة الأعلام الأربعة ، ولد سنة ٩٥ هـ وتوفي سنة ١٧٩ هـ .

(٢) نقله الامام ابو داود في سننه ٤٧٢ / ٢

وليس فيه ذكر دعاء الاستفتاح ، وبحديث أنس ^(١) رضي الله عنه (^(١)) أن النبي صلى الله عليه وسلم (وأبا بكر ^(٢)) وعمر ^(٣)) رضي الله عنهما (كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين ^(٤))
فقال
قال الامام النووي ^(١) : " باستحبابه جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ولا يعرف من خالف فيه الا مالكا (رحمه الله) ، فقال : لا يأتي بدعاء الاستفتاح ولا بشيء بين القراءة والتكبير اصلا . بل يقول : الله أكبر - (الحمد لله رب العالمين) الى آخر الفاتحة " ^(٥)

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) هو الصحابي الجليل ابوبكر الصديق عبد الله (سماه النبي صلى الله عليه وسلم - وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة) بن ابي قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن تميم بن مرة التيمي ولد بمكة في نحو المام الثالث السابق لمام الفيل وكان اول ^{تميم} من الرجال من غير قريبي الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكان اول الخلفاء ^{عليه السلام} الراشدين ، وتوفي سنة ١٣ هـ .

(٣) هو الصحابي الجليل الفاروق عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد المزي بن رباح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشي العدوي ، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، وكانت السفارة اليه في الجاهلية . وكان اسلامه عزرا ظهر به الاسلام ، وكان امير المؤمنين ثاني الخلفاء الراشدين وتوفي سنة ٢٣ هـ .

(٤) رواه الامام البخاري بسنده ، باب ما يقول بعد التكبير ٣٦٩/٢

(٥) المجموع ، دعاء الاستفتاح ٢٨٠/٣

والقول قول الجمهور - لأن حديث (المسيء صلاته) الذي احتج به الإمام مالك (رحمه الله) يكون من حيث تعليله (صلى الله عليه وسلم) الفرائض فقط ودعاء الاستفتاح ليس منها.

وأما حديث أنس (رضي الله عنه) فيكون المراد منه: أنهم كانوا يستفتحون التلاوة بالفاتحة قبل السورة، وليس المقصود أنهم لا يدعون بدعاء الاستفتاح. وهذا لأن الأحاديث الصحيحة الواردة في الاستفتاح كثيرة.

فمن دعوات الاستفتاح التي وردت في الأحاديث الصحيحة ما ورد عن أبي هريرة (١) (رضي الله عنه) قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كبر في الصلاة سكث هنية (٢) قبل أن يقرأ. فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أرايت سكوثك بين التكبير والقراءة - ما تقول؟

قال: أقول - " اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني بالثلج والماء والبرد " (٣)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) التصغير من (هنة) أصلها: (هنوة) فلما صغرت صارت (هنية) فاجتمعت واو وياء وسبقت أحدهما بالسكون فقلبت الواو ياء ثم ادغمت وهنية معناها: قليل من الزمن.

(٣) رواه الإمام البخاري بسنده. باب ما يقول بعد التكبير ٣٦٩/٢
ورواه الإمام مسلم بسنده. باب ما يقال بين تكبيرة الاحرام والقراءة ٤٣/٢
ورواه الإمام أبو داود بسنده. باب السكوة عند الافتتاح ٤٨٥/٢
ورواه الإمام النسائي بسنده. باب الدعاء بين التكبيرة والقراءة ١٢٩/٢
ورواه الإمام ابن ماجه باب افتتاح الصلاة ٢٦٤/١ - ٢٦٤

وقال الامام الشوكاني (١) : " وهذا الحديث اصح الاحاديث الواردة في التوجه ، وكل ما صح من التوجيهات فالتوجه به مجزئ ، ولا وجه للقول بأنه لا يجزئ الا واحد منها محين - كما بقوله بعض أهل العلم ، ولكنه ينفى العدول الى الأصح ، وان كان غيره من الصحيح مجزئاً (٢) ومنها : ما ورد عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (٣) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (أنه كان اذا قام الى الصلاة) وفي رواية اخرى لمسلم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - اذا استفتح الصلاة كبره (ثم

قال :) وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً (٤) وما أنا من المشركين .

ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين (٥) (وفي رواية اخرى لمسلم : وأنا أول المسلمين)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) تحفة الذاكرين ص ٩٩

(٣) هو الصحابي الجليل ابو الحسن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي ، ولد بمكة سنة ٢٣ ق . هـ وقيل غير ذلك صهر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي ابنته فاطمة (رضي الله عنهما) وكان اصغر ولد ابي طالب ، وكان اول من اسلم من الرجال من قريبي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يومئذ ابن عشرين سنين ، وقيل غير ذلك ، وكان رابع الخلفاء الراشدين . وثوفي وهو ابن سبع وخمسين وقيل غير ذلك .

(٤) في رواية الامام مسلم/ فيه (مسلماً) وهي مطابقة للآية الكريمة * اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين * (الانعام / ٧٩) . وفي بعض الروايات زيادة (مسلماً) بعد (حنيفاً) .

(٥) هكذا في رواية لمسلم عن علي ولكن في اكثر الروايات (وأنا أول المسلمين) ورواية الأكثر مطابقة للآيتين الكريمتين ١٦٢-١٦٣ من سورة الانعام .

اللهم انت الملك لا اله الا أنت . " وزاد في رواية النسائي : سبحانه
 ومحمدك " . أنت ربي - وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي :-
 فاغفر لي ذنبي جميعا - انه لا يغفر الذنوب الا أنت .
 واهدني لأحسن الأخلاق (وزاد في رواية النسائي : وأحسن
 الأعمال) - لا يهدي لأحسنها الا أنت .

واصرف عني سيئها - لا يصرف عني سيئها الا أنت .
 لبيك وسعديك (١) ، والخبر كله في يدك ، والشر ليس اليك (٢)
 (والسهدى من هديت) ، أنا بك واليك (٣) ، لا ملجأ ولا ملجأ منك
 الا اليك ، تباركت وتعاليت ، استغفر

- (١) (لبيك) قال الازهرى : معناه : انا مقيم على طاعتك اقامة بعد
 اقامة يقال : لب بالمكان لبا والى : البابا : أقام به .
 (وسعديك) قال الازهرى : الى - مساعدة لامرك بعد مساعدة ومتابعة
 بعد متابعة لدينك الذى ارتضيته بعد متابعة .
 (٢) (والشر ليس اليك) فيه خمسة اقوال للعلماء ، وهى :-
 ١ - لا يتقرب به اليك .
 ٢ - لا يضاف اليك على انفراده ، فلا يقال يا خالق القردة والخنازير ، وان
 كان يقال : يا خالق كل شيء . وحينئذ يدخل الشرفي العموم .
 ٣ - والشر لا يصعد اليك وانما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
 ٤ - والشر ليس شرا بالنسبة اليك فانك خلقتهم لحكمة بالغة ، وانما
 هو شر بالنسبة الى المخلوقين .
 ٥ - انه كقوله : فلان الى بنى فلان - اذا كان عداده فيهم أو صفوه
 اليهم (انظر المجموع للنووى ٢٧٦/٣)
 (٣) قال الازهرى : " معناه : اعصم بك والجا اليك " .

وأتوب اليك (١)

واما في ^{كانت} اكثر الروايات ، بل في رواية أخرى للإمام مسلم أيضا / بلفظ (وأنا أول المسلمين) ورواية الأكثر مطابقة للآيتين الكريمتين * قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين * (٢)

ولعل رواية على كانت من تصرف بعض الرواة ، وقد جاء ما يدل على ذلك في رواية الأكثر وهي مطابقة للآيتين الكريمتين .
قال الامام الشافعي (٣) (رحمه الله) : " وقال اكثرهم (وأنا أول المسلمين) (٥)

وقال ابن ابي رافع (٤) : " وشككت ان يكون احدهم قال : (وأنا من المسلمين) (٥)

واذا ثبت ذلك فعلى المصلي ان يقول : (وأنا أول المسلمين) ولا حرج عليه في ذلك ، لأن المقصود منه بيان المسارعة في الامتثال لما أمر به والاجتناب لما نهى عنه .

(١) رواه الامام مسلم بسنده ، باب صلاة النبي ودعاؤه ، بالليل ٤٢٧/٢ - ٤٢٩

ورواه الامام ابو داود بسنده ، باب ما يستفتح به الصلاة ٤٦٣/٢ - ٤٦٤

ورواه الامام النسائي بسنده ، نوع آخر من الذكر والدعاء ١٣٠/٢

ورواه الامام الشافعي بسنده في الأم ، باب افتتاح الصلاة ٩١/١ - ٩٢

(٢) الانعام / ١٦٢ - ١٦٣

(٣) هو الامام المجتهد ابو عبد الله محمد بن ادريس بن الحباس بن عثمان بن شافع ابن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد المناف بن قصي بن كلاب القرشي المطلبى الشافعي ، ولد بمدينة غرة سنة ١٥٠ هـ . وكان كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرنين . وكان اول من تكلم في اصول الفقه . وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ

(٤) هو عبيد الله بن ابي رافع كاتب على ، وروى عن ابيه وعلى وعدة وروى عنه بنوه والزهرى وغيرهم ، وكان ثقة كثير الحديث .

(٥) الأم ، باب افتتاح الصلاة ٩١/١

ونظيره ما حكاه الله تعالى عن نبيه موسى (عليه السلام) * فلما أفاق
قال سبحانه - ثبت اليك * وأنا أول المؤمنين * (١)

وقوله تعالى * قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين * (٢)

خلافا لما يزعم بعضهم: انه لا يجوز للمصلي ان يقول (وأنا
أول المسلمين) بل عليه ان يقول (وأنا من المسلمين) توهمانه ان المعنى :
وأنا أول شخص اعتنق الاسلام ، ومحتجا بحديث علي والأمر - كما هو
واضح - ليس كذلك .

٢ - الدعاء في الفاتحة :

اذا نظرنا الى الفاتحة التي هي من أهم اركان الصلاة والتي فرضت
فيها بآياتها السبع التي تشتمل وتعاد في كل ركعة من ركعات الصلاة
وجدنا ان قوامها الدعاء .

ولندع الامام مسلما (٣) والامام ابو داود (٤) يرويان لنا أهمية الدعاء
في الفاتحة واجابة الله فيه - في الحديث القدسي (٥) عن الصحابي الجليل

(١) الأعراف ١٤٣/

(٢) الزخرف ٨١ /

(٣) هو الامام الحافظ ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ
القشيري النيسابوري ، ولد بنيسابور سنة ٢٠٤ هـ وقد أُلح بالمعلم والعلماء
ورحل الى الاماكن ليسمع المشهورين ويلتقى بالنابغين من علماء عصره ، ولازم
الامام البخاري ، وله مصنفات كثيرة مفيدة وأشهرها (الجامع الصحيح) وهو
أحد الصحيحين الممول عليهما عند اهل الحديث . وتوفي بنيسابور ٢٥/٢/٢٦٦ هـ

(٤) هو الامام الحافظ ابو داود سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر ،
وقيل : سليمان بن بشر بن شداد ، وقيل غير ذلك - صاحب السنن ، ولد سنة

٢٠٢ هـ وكان من العلماء العاملين . وتوفي بللبصرة في ٦/١٠/٢٧٥ هـ .

(٥) تقدم تعريفه .

أبي هريرة (رضى الله عنه) (١)

عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : ﷺ من صلى صلاة لم يقرأ فيها
بأم القرآن فهي خداج - ثلاثا - غير تمام (٢) ﷺ
فقل لا أبي هريرة : انا نكون وراء الامام
فقال : اقرأ بها في نفسك ، فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) يقول :

ﷺ قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين (وزاد في
رواية لمسلم : فنصفها لي ونصفها لعبدى) ولعبدى ما سأل
فاذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين
قال الله تعالى : حمدني عبدى
واذا قال : الرحمن الرحيم
قال الله تعالى : اثني علي عبدى
واذا قال : مالك يوم الدين
قال : مجدني عبدى ، وقال مرة : فوض اليّ عبدى
فاذا قال : اياك نعبد واياك نستعين
قال : هذا بيني وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل
فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير
المغضوب عليهم • ولا الضالين
قال : هذا لعبدى ، ولعبدى ما سأل ﷺ (٣)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) قال ابو الطيب : " بيان خداج ، او بدل ، وقيل : انه تأكيد "

(٣) رواه الامام مسلم بسنده ، واللفظه ، باب وجوب قراءة الفاتحة ٢٦/٢ - ٢٧
ورواه الامام ابو داود بسنده ، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب

٣ - الدعاء في الركوع :

وقد دأب النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو في ركوعه معظما فيه الرب عز وجل بتسبيحه وتحميده والاستغفار منه .
وذلك ما ورد عن عائشة (رضى الله عنها) (١) قالت : " كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده : " سبحانك - اللهم - ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن " (٢)
وفي رواية غيرها (رضى الله عنها) قالت :
" ما صلى النبي (صلى الله عليه وسلم) صلاة - بعد ان نزلت عليه :
" اذا جاء نصر الله والفتح " (٣) الا أن يقول فيها : " سبحانك ربنا وبحمدك
اللهم اغفر لي " (٤)

(١) تقدمت ترجمتها

(٢) رواه الامام البخارى بسنده ، باب التسبيح ، والدعاء في السجود ٤٤٣/٢
وباب الركوع في الركوع ٤٢٤/٢

ورواه الامام مسلم بسنده ، باب ما يقال في الركوع والسجود ١٢١/٢
ورواه الامام ابو داود بسنده ، باب الدعاء في الركوع والسجود ١٣٠/٣
ورواه الامام النسائي بسنده ، نوع آخر من الدعاء في السجود ٢١٩/٢
ورواه الامام ابن ماجه بسنده ، باب التسبيح في الركوع والسجود ٢٨٧/١
ورواه الامام ابن حبان بسنده ، وصف التسبيح الذى يسبح به المرء ربه جل وعلا
في سجوده من صلاته ٢٩٩/٣

ورواه الامام البيهقي بسنده في السنن الكبرى ، باب الذكر في السجود ١٠٩/٢

(٣) النصر ١/ يعنى : سورة النصر

(٤) رواه الامام البخارى بسنده ، واللفظ له ، باب تفسير سورة اذا جاء نصر الله

٣٦٤/١٠

ورواه الامام مسلم بسنده ، باب ما يقال في الركوع والسجود ١٢٢/٢

فأما الرواية الأولى فلا تبين ما هو القرآن الذي يتأوله النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فان لفظ القرآن قد يطلق ويراد به المصحف كله ، ويطلق ويراد به السورة ويطلق ويراد به الآية ، ووردت الرواية الثانية مبينة لهما - بأن المراد بالقرآن في الرواية الأولى هو سورة النصر . ولكن ما يدعوه به النبي (صلى الله عليه وسلم) في هاتين الروایتين كان مؤولاً وفسراً ومستوفياً ما أمر به من سورة النصر في الآية الأخيرة فقط ، فيتضمن المراد بالقرآن في الرواية الأولى هو الآية الأخيرة من سورة النصر .

كما شرح الامام النووي وقال : " معنى يتأول القرآن يعمل ما أمر به في قوله عز وجل : ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً ﴾ (١) (٢) وأما الرواية الثانية فقد بينت أن الدعاء الذي يدعوه النبي (صلى الله عليه وسلم) كان في الصلاة ولكن لم يتبين في أي موطئ منها ، وانما بينت ذلك الرواية الأولى على ان النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يدعوه به في ركوعه وسجوده .

فالروایتان تبين احدهما الأخرى .

ومعنى ذلك انه يسن لنا أن ندعوه في الركوع - وخاصة بهذا الاستغفار والاستغفار نوع من الدعاء - وأن نكثر بالدعاء فيه - وهذا لقول عائشة (رضي الله عنها) : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده ٠٠٠) الحديث ، وأن ندأمه عليه - لقولها (رضي الله عنها) (ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة ٠٠٠ الا أن يقول فيها ٠٠٠) الحديث فلا نبالي قول طائفة من الفقهاء بكراهة الدعاء في الركوع مستدلاً بحديث المأمور فيه تعظيم الرب عز وجل .

(١) النصر / ٣

(٢) شرح مسلم ، باب ما يقال في الركوع والسجود ١٢٢ / ٢

وذلك ما ورد عن ابن عباس (رضي الله عنه) (١) قال : " كشف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الستارة " وفي رواية النسائي والبيهقي : الستار (٢) والناس صفوف خلف أبي بكر (رضي الله عنه) " وزاد في رواية النسائي والبيهقي : ورأسه معصوب (٣) في مرضه الذي مات فيه " . فقال : (أيها الناس " وزاد في رواية النسائي والبيهقي : اللهم قد بلغت - ثلاث مرات -) ، انه لم يسبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة براهها المسلم او ترى له (٤) .

الا واني نهيت أن اقرأ القرآن راكعا أو ساجدا ، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء - فقمن (٥) ، أن يستجاب لكم (٦)

(١) تقدمت ترجمته

الذي

(٢) الستارة (بكسر السين) والستر ، بمعنى واحد ، وهو يكون على باب البيت والدار

(٣) أي : مشدود بالحصابة من عمامة أو مندبل أو خرقة .

(٤) قال الامام ابو الطيب : " على صيغة المجيول : أي رآها غيره له " .

(٥) قال الامام النووي : " هو بفتح القاف وفتح الميم وكسرها - لفتان مشهورتان :

فمن فتح فهو عنده مصدر لا يشي ولا يجمع ومن كسر فهو وصف يشي ويجمع ،

وفيه لغة ثالثة (قمين) بزيادة الباء وفتح القاف وكسر الميم . ومعناه :

" حقيق وجدير " (انظر شرح مسلم ١١٨/٢)

(٦) رواه الامام مسلم بسنده . باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ١١٨/٢

ورواه الامام ابو داود بسنده . باب الدعاء في الركوع والسجود ١٢٩/٣

ورواه الامام النسائي بسنده ، باب الامر بالاجتهاد في الدعاء في السجود ١١٨/٢

ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب الاجتهاد في الدعاء في السجود ١١٠/٢

ولا نبالي قولهم بالكراهة لأن الأمر بالتعظيم في الركوع لا ينافي
 دعاءه (صلى الله عليه وسلم) فيه واكتاره ومداومته — كما أن الأمر بالدعاء في
 السجود لا ينافي التعظيم فيه .
 فحديث الأمر بالتعظيم غير مصرح بالنهي عن الدعاء فيه ولا بالنفي
 له ، ولو صرح بنفيه كان الحديث الصحيح المتظاهر بإثباته مقدما ، والاثبات
 مقدم على النفي .
 قال الامام ابن دقيق العيد (١) : " فانه يؤخذ من هذا الحديث (٢)
 الجواز ، ومن ذلك (٣) الأولية بتخصيص الركوع بالتعظيم .
 ويحتمل ان يكون السجود وقد أمر فيه بتكثير الدعاء لا شارة قوله :
 (فاجتهدوا) واحتمالها لكثرة ، والذي وقع في الركوع من قوله (اغفرو لي)
 ليس كثيرا ، فليس فيه معارضة ما أمر به في السجود " (٤)
 واعترضه الامام الفاكهاني (٥) وقال : " هذا تعسف وابطال لقول الفقهاء
 بالكراهة في الركوع ، ولا جائز ان يريد الجواز مع الكراهية ، لأنه منزه
 عن فعل المكروه . "

(١) هو الامام تقي الدين ابو الفتح محمد بن علي بن وهب مطيع القشيري المعروف
 بابن دقيق العيد ، القوصي المنشأ ، المالكي ثم الشافعي ، نزيل القاهرة
 ولد في ٦٥٢ / ٨ / ٢٥ هـ ، وكان حسن الاستنباط للاحكام والمعاني من
 القرآن والسنة وعالما في العلم النقلية والعقلية وتوفي ٧٠٢ / ٢ / ١١ هـ

(٢) اي حديث عائشة

(٣) اي حديث ابن عباس

(٤) احكام الاحكام ٤٦ / ٣ — ٤٧

(٥) هو الامام تاج الدين عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الاسكندري
 صاحب " رياض الاقيام في شرح عمدة الاحكام " . ولد سنة ٦٥٤ هـ وكان
 عالما في النحو والفقه ، وله مؤلفات ، وتوفي سنة ٧٣٤ هـ .

وإدعائه أن يكون في الركوع قليلا ممنوع - سيما مع قول عائشة (رضي الله عنها) : " كان يكثر أن يقول " الدال على المداومة " (١) وأجاب عنه الامام الصنعاني (٢) وقال : " ان الشارح ذكر ما دل عليه الحديث ، وليس فيه منافاة صريحة لما ذكره الفقهاء .
وأراد بمنع الكثرة : عدم الزيادة على قوله (اللهم اغفر لي) في الركوع الواحد - وهو قليل بالنسبة الى السجود المأمور فيه بالاجتهاد في الدعاء المشعربتكثيره ، ولم يرد انه كان يقول ذلك في بعض الصلوات دون بعض حتى يعترض بقول عائشة (كان يكثر) (٣)
وأضاف قائلا : " لك ان تمنع قول الفقهاء : ان الدعاء مكروه فسي الركوع - مسندا له بدعائه فيه (صلى الله عليه وسلم) .
فان اراد اجماع الفقهاء عليه فيهم مطالب بتصحيحه ، والدعوى فيه كثيرة خالية عن البرهان منقوضة في عدة موارد - بوجود - خلافاً لجليلة العلماء بحيث يترجع بها الجزم على عدم الوثوق بنقل الاجماع .
وقول الفاكهاني : لا جائز ان يراد الجواز مع الكراهية مباين لما قاله الشارح من افادة الحديث الا ولو بة .
فالظاهر : عدم المنع من الدعاء في الركوع كما ورد عنه (صلى الله عليه وسلم) (٣)

-
- (١) نقله الامام الصنعاني في المدة على احكام الاحكام ٤٦/٣ - ٤٧
(٢) هو الامام محمد بن اسماعيل بن صلاح بن محمد الامير الحسني الكحلاني ثم الصنعاني ، ولد بمدينة كحلان باليمن سنة ١٠٩٩ هـ وانتقل مع والده الى صنعاء سنة ١١١٠ هـ كان واقفاً مع الأدلة ونفر من التقليد وزيف ما لا دليل عليه من الاراء الفقهية ، وله مصنفات كثيرة ومن أشهرها سبل السلام وتوفي في ١١٨٢/٨/٣ هـ .
(٣) المدة على احكام الاحكام ٤٦/٣ - ٤٧

والأظهر - ان الدعاء في الركوع سنة - لثبوته دعائه - (صلى الله عليه وسلم) وتكثيره ومداومته ، وليس جوازا - كما قال الامامان ابن دقيق العيد والصنعاني ، لأن التكبير والمداومة يدلان على السنة لا على الجواز فقط .

٤ - الدعاء في الاعتدال :

وقد ثبت ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يدعو في اعتداله من الركوع بحمد الله تعالى وبسأله .
وذلك ما ورد عن ابن ابي اوفى (رضى الله عنه) (١) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) : **انه كان يقول : (وفي رواية ابي داود وابن ماجه : كان اذا رفع رأسه من الركوع يقول :**
" لك الحمد ملء (٢) السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد)" (٣)
اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد .
اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من
الوسخ " (وفي رواية : من الدرن) ، (وفي رواية : من الدنس) (٤)

-
- (١) هو الصحابي عبدالله بن ابي اوفى علقمة بن خالد بن الحارث بن ابي اسيد ابن رفاعه بن ثعلبة بن هوازن بن أسلم بن أهض بن حارثة الأسدي ، شهيد الخندق وبهجة الرضوان ، وتوفي بالكوفة سنة ٨٦ هـ وقيل ٨٧ هـ وقيل ٨٨ هـ وهو آخر من مات بها من الصحابة .
(٢) بكسر الميم ، ويجوز نصب آخره على الحال ويجوز رفعه .
(٣) الى هنا آخر ما ورد في رواية ابي داود وابن ماجه
فرواه الامام ابو داود بسنده ، باب ما يقول اذا رفع رأسه من الركوع ٨١/٣
ورواه الامام ابن ماجه بسنده ، باب ما يقول اذا رفع رأسه من الركوع ٢٨٣/١
(٤) رواه الامام مسلم بسنده . باب ما يقول اذا رفع رأسه من الركوع ١١٤/٢

والحديث الذى ورد في رواية الامام مسلم (١) لم يبين في أى موطن ولا في أى زمن كان يقول (صلى الله عليه وسلم) هذا الذكر وهذا الدعاء ، والذى ورد في رواية الامام ابي داود (١) ورواية الامام ابن ماجه (٢) يبين الموطن الذى يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو اذا رفع رأسه من الركوع اى : عند الاعتدال ، ولكن روايتهما هذه ليس فيها الدعاء ، بل فيها الذكر فقط ألا وهو : (لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شىء بعد) ، وأما الدعاء : اللهم طهرنى) الحديث فهو في رواية الامام مسلم فقط . ولهذا يتعين ان الدعاء المذكور يكون في الاعتدال ، لانفسه من زيادة الثقات ، فزيادة الثقات مقبولة ،

هـ - الدعوات في السجود :

وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو في سجوده بدعوات كثيرة متنوعة ، ويأمر أمته باكثار الدعاء واجتهاده فيه ، لأن اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، واذا دعا العبد ربه في سجوده واجتهده في الدعاء واكثر كان حقيقا ان يقبل ربه دعاء عبده ويعطيه ما سأل وقمنا ان يستجيب له .

كما ورد ذلك في حديث ابي هريرة (رضى الله عنه) (١) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (أقرب ما يكون العبد من ربه

(١) تقدمت ترجمتهم

(٢) هو الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الرضى بالولاء القزوينى مصنف كتاب السنن في الحديث ، ولد سنة ٢٠٩ هـ ورحل الى مكة والبصرة والكوفة وبغداد والشام ومصر والىرى ، وصنف السنن والتاريخ والتفسير ووتوفى سنة ٢٢٣ هـ

وهو ساجد - فاكثروا الدعاء ٤ (١)

وورد في حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) (٢) السابق ذكره (٣)

مرفوعا وفيه : ٥ ألا وإنى نسييت أن أقرأ القرآن **واكثروا** أو ساجدا
فأما الركوع فمظموما فيه الرب عز وجل ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء
فممن (٤) أن يستجاب لكم ٥ (٥)

قال الامام الصنعاني (٢) : " والحديث دليل على مشروعية الدعاء
حال السجود بأي دعاء كان - من طلب خيري الدنيا والاخرة والاستعاذة
من شرهما ، وأنه محل الاجابة " (٦)

وقد اتفق العلماء على تحريم قراءة القرآن حال الركوع والسجود
لأن الأصل في النهي - التحريم .
ولكنهم اختلفوا في تعظيم الرب عز وجل في الركوع واكثار الدعاء
واجتهاده في السجود .

- (١) رواه الامام مسلم بسنده ، باب ما يقال في الركوع والسجود ١٢٠/٢
ورواه الامام ابو داود بسنده ، باب الدعاء في الركوع والسجود ١٢٨/٣
ورواه الامام النسائي بسنده ، باب اقرب ما يكون العبد ٢٢٦/٢
ورواه الامام ابن حبان بسنده ، باب الرغبة في الدعاء في السجود ٢٩٨/٣
ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب الاجتهاد في الدعاء في السجود ١١٠/٢

(٢) تقدمت ترجمتهما

(٣) سبق ذكره في مبحث " الدعاء في الركوع "

(٤) اي : جدير وحقيق

(٥) تقدم تخريجه قريبا

(٦) سبل السلام ، باب صفة الصلاة ٢٣٦/١

فذهب / أحمد بن حنبل^١ (١) (رحمه الله) وطائفة من المحدثين الى
وجوب تعظيم الرب ووجوب الدعاء في السجود - للأمر بهما ، والأصل
في الأمر الوجوب .

وذهب الجمهور الى انه ندب ، لحديث (المصنف صلاته) فانه لم ي
يعلمه (صلى الله عليه وسلم) وذلك ولو كان واجبا لأمره به
والظاهر من هذين القولين ان الحديثين يدلان على تأكيد
الدعاء في السجود والحث الشديد على كثاره واجتهاده فيه ، سواء
أكان السجود في الصلوات الفريضة أم النافلة .

١ - فمن دعواته (صلى الله عليه وسلم) التي يدعو بها في سجوده
ما ورد عن ابي هريرة (رضى الله عنه) (٢) :

(ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده : " اللهم
اغفر لي ذنبي كله - فقه (٣) وجعله (٤) ، وأوله وآخره ، وعلا نيته وسره) (٥)

(١) هو الامام الحافظ المجتهد ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال
ابن اسد بن ادريس بن عبد الله بن حبان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن
قاسط بن مازن بن شيبان الشيباني ، المروزي الاصل - صاحب المسند ، ولد
ببغداد سنة ١٦٤ هـ . وكان من اصحاب الامام الشافعي وخواصه واخذ عنه
الحديث جماعة من الأئمة كالامام البخاري والامام مسلم وتوفي ببغداد في
١٢ / ٣ / ٢٤١ هـ

(٢) تقدمت ترجمته

(٣) بكسر الدال ، أى : دقيقه وصغيره

(٤) بكسر الجيم ، وقد تضم أى : جليله وكبيره

(٥) رواه الامام مسلم بسنده ، باب ما يقال في الركوع والسجود ١٢ / ٢

ورواه الامام ابوداود بسنده ، باب الدعاء في الركوع والسجود ١٣ / ٣

ورواه الامام ابن حبان ، الاباحة للمصلى ان يسأل الله جل وعلا مغفرة ذنوبه

في سجوده ٣ / ٣٠٠

ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب الاجتهاد في الدعاء في السجود ١١٠ / ٢

٢ - ومنها : ما ورد عن عائشة (١) (رضي الله عنها) قالت :

لقد أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفرائض ، فالتمسته ، فوَقعت يدي على بطن قدميه - وهو في المسجد وهما منصوبتان ، وهو يقول : * اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك * (٢)

والاستعاذة نوع من الدعاء .

٣ - ومنها : دعاء التفسير العملي لسورة النصر - كما سبق ذكره

وتخرجه في مبحث الدعاء في الركوع .

٦ - الدعاء بين السجدين :

وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو بين السجدين بدعاء

يشتمل على أمور متنوعة جامعة لخيري الدنيا والآخرة .

كما ورد عن ابن عباس (١) (رضي الله عنهما) قال : " كان النبي

(صلى الله عليه وسلم) يقول بين السجدين : * اللهم اغفر لي وارحمني ، واجبرني

" (وفي رواية أبي داود بلفظ وعافني) " واهدني " وليس في رواية ابن ماجه :

واهدني " (وزاد في روايتي ابن ماجه والحاكم بلفظ : وارفعني) " وارزقني . (٣)

(١) تقدمت ترجمتهما .

(٢) رواه الامام مسلم بسنده ، باب ما يقال في الركوع والسجود ١٢١/٢

ورواه الامام ابو داود بسنده ، باب الدعاء في الركوع والسجود ١٣٢/٣

ورواه الامام الترمذي بسنده وقال : هذا حديث حسن صحيح ٤٦٩/٩

ورواه الامام النسائي بسنده ، نوع آخر من باب الامر بالاجتهاد في الدعاء

٢٢٢/٢

ورواه الامام ابن حبان بسنده ، ما يستحب للمصلي ان يتعوذ برضاء الله

الخ ٣٠٠/٣

(٣) رواه الامام ابو داود بسنده ، باب الدعاء بين السجدين ٨٧/٣ ===

ان الالفاظ التي وردت في هذا الدعاء تكون في بعض الروايات زيادة لفظ على الروايات الأخرى ، وفي بعضها بدل لفظ عن الآخر ، وهذا - أن نحمل على ان بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر ، فنجمع تلك الالفاظ كلها في دعائنا الواحد .

قال الامام النووي (١) : " فلاحتياب والاختيار ان يجمع بين

الروايات ، ويأتي بجميع الفاظها وهي سبعة " (٢)

وقد يدعو (صلى الله عليه وسلم) بين السجدين بدعاء المغفرة فقط ،

كما ورد ذلك عن حذيفة (٣) (رضي الله عنه) :

في " أنه (صلى الله عليه وسلم) كان يقول بين السجدين : (رب اغفر لي .

== ورواه الامام الترمذي بسنده ، وسكت عنه باب ما يقول بين السجدين

١٦٢ / ٢ .

ورواه الامام ابن ماجه بسنده ، باب ما يقول بين السجدين ٢٩٠ / ١ .

ورواه الامام الحاكم بسنده : وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه

وأقره الامام الذهبي ، باب الدعاء بين السجدين ٢٧١ / ١ .

فقال الامام النووي : " رواه ابو داود والترمذي وغيرهما باسناد جيد " ،

(المجموع ٤١٢ / ٣)

وقال الامام المباركوري : " فحديثه هذا - ان لم يكن صحيحا فلا ينزل

عن درجة الحسن " ، (تحفة الأحمدي ١٦٣ / ٢)

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) المجموع ٤١٢ / ٣

(٣) هو الصحابي الجليل ابو عبد الله حذيفة بن اليمان حنين بن جابر (واليمان

لقب) وكان من كبار الصحابة ، وشهد أحدا ، وهو معروف في الصحابة بصاحب

سر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى يده فتح همدان والري والدينور

سنة ٢٢ هـ ، وتوفي سنة ٣٦ هـ .

رب اغفر لي (١) .

٧ - الدعوات بين التشهد الأخير والسلام :

وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو بين التشهد الأخير والسلام بدعوات كثيرة متنوعة ، ثم بأمر أمته أن يختاروا من الدعاء أعجبه اليهم فيدعون به .

وذلك ما ورد عن عبد الله (رضي الله عنه) (٢) قال : « كنا مع

النبي (صلى الله عليه وسلم) في الصلاة :

قلنا : « السلام على الله من عباده ، السلام على فلان وفلان »

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لا تقولوا - السلام على الله »

فان الله هو السلام ، ولكن قولوا : « التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام

عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين »

(فانكم اذا قلتم ذلك أصاب كل من في السماء أو بين السماء والأرض)

« أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » (ثم ليتخير من الدعاء

أعجبه اليه فيدعو) (وزاد في رواية أبي داود : : به) (ومن وجه آخر

للنسائي بلفظ : فليدع به) (٣)

فمن دعوات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين التشهد الأخير والسلام

ما ورد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) (٢) قال قال رسول الله (صلى الله عليه

وسلم) : « اذا تشهد احدكم فليستعذ بالله من أربع » وفي رواية : اذا فرغ

احدكم من التشهد الأخير فليستعذ بالله من أربع » يقول :

(١) رواه الامام النسائي بسنده ، باب الدعاء بين السجدين ٢٣١/٢

ورواه الامام ابن ماجه بسنده ، باب ما يقول بين السجدين ٨٩/١

(٢) تقدمت ترجمتهما

(٣) رواه الامام البخاري بسنده ، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد ٤٦٥/٢

ورواه الامام مسلم بسنده ، باب التشهد في الصلاة ٣٩/٣ - ٤٣

ورواه الامام ابو داود بسنده ، باب التشهد ٤٨/٣ - ٢٥١

ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب الدعاء في الصلاة ١٥٣/٢

* (اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال) (١)

وقد اهتم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتعليم الصحابة (رضوان الله عليهم) هذا الدعاء كتحليهم السورة في القرآن .
ولهذا أمر طاوس (٢) ابنه باعادة الصلاة التي لم يدع فيها بهذا الدعاء وسواء أكان هذا الامر من طاوس من باب الوجوب أم من باب التأديب - لرى مدى اهمية هذا الدعاء في الصلاة .

وذلك ما روى طاوس (٢) عن ابن عباس (رضى الله عنهما) (٣) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن ، يقول : قولوا : (اللهم : انا نعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)

قال الامام مسلم (٣) : " بلغنى ان طاوساً قال لابنه : أدعوت بها في صلاتك ، فقال : لا ، قال أعد صلاتك " (٤)

(١) رواه الامام مسلم بسنده ، باب استحباب التعمود من عذاب القبر الخ ٢٣٣/٢

(٢) هو أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان البهاني الحميري الجندى (بفتح الجيم والنون) مولى بحير بن ريسان من أبناء النفرس : وكان من سادات التابعين ومن عباد أهل اليمن ، وتوفي سنة ١٠٦ هـ

(٣) تقدمت ترجمتهما

(٤) رواه الامام مسلم بسنده ، باب استحباب التعمود من عذاب القبر الخ

٢٣٥/٢ - ٢٣٦

قال الحافظ ابن حجر (١) : " فهذا فيه تعيين هذه الاستحاضة

بعد الفراغ من التشهد فيكون سابقا على غيره من الأدعية ، وما ورد الاذن فيه ان المصلى يتخير من الدعاء ما شاء يكون بعد هذه الاستحاضة وقبل السلام (٢) .

ومن الدعوات بين التشهد الأخير والسلام ما ورد عن علي (١) (رضي الله عنه) - في حديث طويل - وفيه : ﴿ ثم يكون (صلى الله عليه وسلم) آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : " اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا اله الا أنت " ﴾ (٣)

٨ - الدعوات المطلقة في الصلاة :

وهناك دعوات كثيرة متنوعة وردت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مطلقة في الصلاة غير مقيدة في أى وقت فيها ولا معينة في أى موطن منها .

فمنها : ما ورد عن ابي بكر (رضي الله عنه) (٢)

﴿ أنه قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) : علمني دعاء ادعوه في صلاتي . قال : قل - " اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني - انك أنت الغفور الرحيم " ﴾ (٤)

(١) تقدمت تراجمهم

(٢) فتح الباري : باب الدعاء قبل السلام ٤٦٢ / ٢

(٣) رواه الامام مسلم بسنده ، باب صلاة النبي ودعاؤه ، بالليل ٤٢٩ / ٢

(٤) رواه الامام البخاري بسنده ، باب الدعاء قبل السلام ٤٦٤ / ٢

وهذا الحديث مطلق في الصلاة وليس فيه تعقيب الوقت ولا تعيين
الموطن الذي يأمر بالدعاء فيه .
وقد أشار الامام البخارى (١) الى بعض مواضعه وأورد في باب الدعاء
قبل السلام .

وقال الامام ابن دقيق العيد (٢) : " هذا الحديث يقتضى الأمر
بهذا الدعاء في الصلاة من غير تعيين محله ، ولو فعل فيها - من حيث لا يكره
الدعاء ، في أى الامكن كان - لجاز ، ولعل الأولى أن يكون في احد
موطنين ؛ اما السجود واما بعد التشهد ، فانهما الموضعان اللذان أمرنا
فيهما بالدعاء " (٣)

وهناك أنواع كثيرة من دعوات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التى
وردت مطلقة في الصلاة ومقيدة في موطن من مواطنها ، وقد سقت بعضها
هنا للتمثيل على أن العبادة كالصلاة فيها دعوات في كل فعل من أفعالها .
ومن هذا - يتضح لنا ان العلاقة بين الدعاء والعبادة هي علاقة
وطيدة أكيدة بحيث لا ينفصل واحد منهما عن الآخر ، فالدعاء عبادة من
العبادات ، والعبادات - سوى الدعاء - لا تخلو عن الأدعية ، وتلك العبادات التى
نفسها تدخل في معنى الدعاء باعتبار تضمنها معنى الطلب من استدعاء رضوان
الله واستدفاع سخطه ، وبأزاء ذلك فان الدعاء سبب للعبادة كما ان العبادة
سبب للدعاء .

(١) هو الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن برد بن
الجعفى بالولاء ، ولد ببخارى سنة ١٩٤ هـ ونشأ بها يتيما فحفظ
القرآن وحبب اليه سماع الحديث فحفظ عشرات الألوف من الأحاديث قبل
أن يناهز البلوغ ، ثم رحل في طلب الحديث الى أكثر ما لك الشرق ،
ولما نضج علمه شج في تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها وألف كتابه
" الجامع الصحيح " وتوفي سنة ٢٥٦ هـ .

(٢) تقدمت ترجمته

(٣) احكام الاحكام ٤٠/٣

الفصل الثالث

في بيان :-

- اثر الدعاء وفائدته .
- الشبهات حول اثر الدعاء وفائدته .
- الرد على تلك الشبهات .

الفصل الثالث

أثر الدعاء وفائدته وسوق ما اوردوا من شبهات والرد عليها

أثر الدعاء وفائدته

عرفنا - مما سبق في الفصل الثاني - ان الدعاء مندوب اليه في كل وقت من الاوقات ، وانه هو العبادة وهو من اكرم الاشياء على الله وهو وسيلة من الوسائل لنيل محبة الله ومَرْضاته ، وانه يرد القدر وينفع مما نزل ومما لم ينزل وينجى من الهلاك ، وانه مفتاح ابواب الاجابة والرحمة والجنة ، وانه سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض وغير ذلك ، ومع ذلك - فان هناك طائفة قالوا : " السكوت افضل من الدعاء " وهم ارادوا ان الدعاء ليس له اثر في المطلوب ولا فائدة فيه ، واوردوا شبهات في ذلك ، وجملتها ما اوردوا :-

١ - ان الدعاء ملقضى للرضا بالقدر ، والرضا بالقدر اجل مقامات

الصدقين واعلاها ، لانه مقام ابراهيمي .

٢ - وان الدعاء يشبه الامر والنهي . وهما من العبد في حق المولى

الكريم الرحيم سوء ادب . وذلك لانه تعالى فعال لما يريد ، والعبد

لا يدعو الا بما هو مصلحة له ، والجواد المطلق لا يهمله ، فأي فائدة في

الدعاء ؟ ولانه تعالى علام الغيوب * يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور (١)

ويعلم احوال عبادع ، وحينئذ فأي حاجة للعبد الى الدعاء ؟

٣ - ان المدعوبه - ان كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه - دعا

به العبد ام لم يدع - فلا اثر في الدعاء ، وان لم يكن قد قدر لم يـقـع

سواء دعا به العبد اولم يدع ، فلا فائدة فيه .

ولكن الجمهور قالوا : " الدعاء افضل من السكوت " وردوا على تلك

الشبهات .

وقد نقل هذا الاختلاف الامام ابو القاسم القشيري ^(١) وقال :

" واختلف الناس في ان الأفضل : الدعاء ام السكوت والرضا ؟

(١) فمنهم من قال : الدعاء في نفسه عبادة

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : الدعاء من العبادة ≠ (٢)

(١) هو الامام ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، صاحب الرسالة المشهورة ، وأصله من " استواي " ناحية بنيسابور ، ولد سنة ٣٧٧ هـ وتوفي ابوه وهو صغير ، وحضر الى نيسابور ليتعلم الحساب فاتفق حضوره مجلس أبي على الدقاق ووقع في قلبه وسلك طريق الارادة وله مؤلفات كثيرة ، ومنها لطائف الاشارات في التفسير ، توفي سنة ٤٦٥ هـ

(٢) وهذا الحديث بهذا اللفظ ضعيف الاسناد ، وقد رواه الامام الترمذي بسنده عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) - قال الامام الترمذي : " هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه الا من حديث ابن الهيثمة " (باب ما جاء في فضل الدعاء ٩ / ٣١٠ - ٣١١) وقال في موضع آخر : " ابن الهيثمة ضعيف عند اهل الحديث - ضعفه يحيى ابن سعيد القطان وغيره من قبل حفظه " (جامع الترمذي ، باب ما جاء في الرخصة في ذلك " اى في استقبال القبلة بفائط او ببول " (٦٤ / ١)

والحديث الثابت بلفظ الدعاء هو العبادة ≠ رواه الامام الترمذي بسنده وقال هذا حديث حسن صحيح ، ورواه الحاكم ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه واقره الذهبي وقال صحيح . انظر مبحث " الدعاء هو العبادة " .

فالانسان بما هو عبادة أولى من تركه ، ثم هو الحق سبحانه وتعالى
فان لم يستجب للعبد ولم يصل الى حظ نفسه فلقد قام بحق ربه ،
لأن الدعاء اظهار فاقة العبودية .

(٢) وطائفة ، قالوا : السكوت والخمول تحت جريان الحكم اثم ،
والرضا بما سبق من اختيار الحق أولى .

وقد قال (صلى الله عليه وسلم) - خبرا عن الله تعالى : (من شغله
ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ما أعطى السائلين) (١)

(٣) وقال قوم : يجب ان يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب
رضا بقلبه - ليأتى بالأمرين جميعا .

والأولى ان يقال : ان الأوقات مختلفة :
ففي بعض الاحوال - الدعاء افضل من السكوت وهو الأدب
وفي بعض الاحوال - السكوت افضل من الدعاء وهو الادب
وانما يعرف ذلك في الوقت - لأن علم الوقت انما يحصل في الوقت ،
فاذا وجد بقلبه اشارة الى الدعاء - فالدعاء له أولى .
واذا وجد اشارة الى السكوت - فالسكوت له أتم .

ويصح ان يقال : ينبغي للعبد ان لا يكون ساهيا عن شهود

ربه تعالى في حال دعائه ثم يجب عليه ان يراعي حاله :-
فان وجد من الدعاء زيادة بسط في وقته - فالدعاء له أولى وان عاد الى
قلبه في وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض فالأولى ترك الدعاء في هذا
الوقت .

وان لم يجد في قلبه زيادة بسط ولا حصول زجر = فالدعاء وتركه
ههنا سبيل .

فان كان الغالب عليه في هذا الوقت - العلم ، فالدعاء أولى - لكونه عبادة
وان كان الغالب عليه في هذا الوقت - المعرفة والحال والسكوت ، فالسكوت أولى .

(١) سيأتي الكلام عليه في صلب الموضوع .

ويصح أن يقال

ما كان للمسلمين فيمضيب ، اول الحق سبحانه وتعالى فيه حق — فالدعاء أولى
وما كان لنفسك فيه حظ — فالسكوت أتم (١)
والذى يظهر — ان الدعاء افضل من السكوت مطلقا ، كما ذهب اليه جمهور
العلماء — لأن الدعاء نفسه عبادة من العبادات الشرعية ، والاتيان بالعبادة افضل
من تركها .

وقد رجح الامام النووي (٢) أفضلية الدعاء مطلقا ، وقال : " ودليل
الفقهاء طواهر القرآن والسنة في الأمر بالدعاء وفعله ، والاخبار عن الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) بفعله " (٣)
وقال الامام مرتضى الزبيدي (٤) : " والصواب — أن الدعاء أولى
مطلقا وعليه الجمهور ، فانه نفسه عبادة ، والاتيان بالعبادة أولى من تركها " (٥)

(١) الرسالة القشيرية (باختصار) باب الدعاء ص ١٤١ — ١٤٢

(٢) تقدمت ترجمته

(٣) شرح مسلم ، باب الدعوات والتعوذ ٥٥٩/٥

(٤) هو الامام ابو الفيز محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي —
الملقب بمرتضى ، صاحب " تاج المروس في شرح القاموس " و " اتحاف
السادة المتقين في شرح احباء علم الدين " ولد سنة ١١٤٥ هـ ، أصله
من واسط (في العراق) ومولده في بلجرام (بالهند) ومنشأه
في زبيد (باليمن) رحل الى الحجاز واقام بمصر وكان عالما باللفظة
والحديث والرجال والانساب وله مؤلفات كثيرة وتوفي سنة ١٢٠٥ هـ

(٥) اتحاف السادة المتقين ١١٦/٥

شبهات والرد عليها

١ - الشبهة الأولى :-

ان الدعاء مناقض للرضا بالقدر والرضا بالقدر أجل مقامات الصديقين وأعلاها - لأنه مقام ابراهيمي .

والذى يظهر ان الدعاء غير مناقض للرضا بالقدر ، فان الدعاء قبل ان يقع ، والرضا بالقدر بعد ان يقع ، والدعاء مع الرضا أفضل من السكوت .
قال الامام الخزالي (١) : " بيان - ان الدعاء غير مناقض للرضا ، ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا ، وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - لا يناقضه ايضاً . . .

فأما الدعاء فقد تعبدنا به ، وكثرة دعوات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسائر الانبياء (عليهم السلام) ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أعلى المقامات من الرضا ، وقد أثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله * يدعوننا رغبا ورهبا * (٢)
وأما نكار المعاصي وكراهيتها وعدم الرضا فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا به . . . (٣)

وان دعواهم : بأن اجل مقامات الصديقين وأعلاها الرضا بالقدر لأنه مقام ابراهيمي - غير مسلم به :-

(١) هو الامام ابو حامد محمد بن محمد / بن احمد الخزالي الطوسي ، الملقب بحجة الاسلام صاحب " احياء علوم الدين " المشهور ، ولد بالطبرستان (قبة طوس - خراسان) ، رحل الى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر وعاد الى بلده نسبه الى صناعة الغزل (عند من يقول بتشديد الزاي) أو الى غزاة (من قرى طوس) (لمن قال بالتخفيف) وله نحو مئتي مصنف في شتى العلوم ، وتوفي سنة ٥٠٥ هـ .

(٢) الانبياء ٩٠ / (٣) احياء علوم الدين ، كتاب المحبة الخ ٦٦٣/٩ - ٦٦٤

وذلك لأن الرضا بالقدر — بدون الدعاء — ليس أجل مقاماتهم وأعلامها ،

وانما من أجلها وأعلامها هو الرضا بالقدر مع الدعاء .

وأما قولهم : أنه مقام إبراهيم — فانهم أشاروا الى حديث : أن إبراهيم

(عليه الصلاة والسلام) لما رموا به في المنجنيق الى النار ، فاستقبله جبريل .

فقال : يا إبراهيم ، ألك حاجة ؟

قال : أما اليك فلا

قال جبريل : فسل ربك

فقال إبراهيم : " حسبي من سوء الى علمه بخالي " (١)

والذي يظهر — أن الحديث المذكور ذكره الامام البغوي (٢)

بصفة التمرض مشيرا لضحفه فقال : " روى عن ابي بن كعب (٣) : أن إبراهيم

عليه الصلاة والسلام في الحديث (٤) .

(١) الكلام عليه بعده مباشرة

(٢) هو الامام الحافظ ابو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي —

الملقب بمحيي السنة ، صاحب مصابيح السنة ، ولد سنة ٤٣٦ هـ وكان

محدثا مفسرا فقيها ، ونسبته الى " بغا " من قرى خراسان ، وله

مؤلفات كثيرة مفيدة ، وتوفي بسر والروز سنة ٥١٠ هـ .

(٣) هو الصحابي الجليل ابو المنذر او ابو الطفيل ابي بن كعب بن قيس بن

عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري الخزرجي

المعروف ، كان حبرا من احبار اليهود ، وشهد العقبة الثانية وبايع

النبي (صلى الله عليه وسلم) فيها ، ثم شهد بدر ، وكان احدا

فقهاء الصحابة وأقراهم لكتاب الله وأحد كتاب الوحي لرسول الله (صلى

الله عليه وسلم) وتوفي في خلافة عمر (رضى الله عنه) .

(٤) معالم التنزيل تفسير سورة الانبياء ٣٠١/٤

وأورده الامام ابن عراق الكناني (١) وقال : " قال ابن تيمية (٢) :
موضوع " (٣) .
وأما استدلالهم بحديث : لمن شغله ذكرى عن مسألتي اعطيته أفضل
ما أعطى السائلين فهو حديث ضعيف الاسناد .
وقد رواه الامام الترمذى (٤) بسنده — عن ابي سعيد الخدرى (رضى
الله عنه) (٥) " قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

- (١) هو الامام نور الدين على بن محمد بن على بن عبد الرحمن بن عراق الكناني صاحب " تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة " ولد في دمشق سنة ٩٠٧ هـ ورحل الى الحجاز فتولى الامامة بالمدينة المنورة ، وتوفي فيها سنة ٩٦٣ هـ .
- (٢) تقدمت ترجمته
- (٣) تنزيه الشريعة كتاب الانبياء والقدماء الفصل الثالث ٢٥٠/١
- (٤) هو الامام الحافظ ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى البوغي السلقى الترمذى — صاحب " الجامع الكبير في الحديث " ولد بترمذ (على نهر جيحون) سنة ٢٠٩ هـ وكان من أئمة علماء الحديث وحفاظه ، وتعلم للبخارى وشاركه في بعض شيوخه . وقام برحلة الى العراق وخراسان والحجاز وله مؤلفات في الحديث والتاريخ والعلل . وتوفي بترمذ سنة ٢٧٩ هـ .
- (٥) هو الصحابي الجليل ابو سعيد سيمد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الانصارى الخدرى ، وكان من الحفاظ المكثرين العلماء الفضلاء المقلاء وعرض يوم أحد وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وتوفي سنة ٧٤ هـ .

في (يقول الرب تبارك : من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتي اعطيته افضل ما اعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) .
 وقال : " هذا حديث حسن غريب " (١)
 ورواه الامام الدارمي (٢) بسنده ، بلفظ : من شغله قراءة القرآن عن مسألتي وذكرى اعطيته افضل ثواب السائلين ٠٠٠ (٣)
 فقال الحافظ ابن حجر (٤) — بعد ذكر هذا الحديث : " ورجاله ثقات الا عطية العوفي (٥) ، ففيه ضعف " (٦)
 والظاهر ان في سند هذا الحديث محمد بن الحسن الهمداني (٧) وهو

-
- (١) جامع الترمذى ٢٤٤/٨ — ٢٤٥
 (٢) هو الامام الحافظ ابو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمي السمرقندي الدارمي (بكسر الراء — نسبة الى دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مائة بن تميم احد بطونه) ولد سنة ١٨١ هـ وكان عبدا وزاهدا ، وظهر علم الحديث والاثار بسمرقند وتوفي سنة ٢٥٥ هـ
 (٣) سنن الدارمي ، باب فضل كلام الله على سائر الكلام ٤٤١/٢
 (٤) تقدمت ترجمته .
 (٥) هو ابو الحسن عطية بن سعد بن جنادة (بضم الجيم بعدها نون خفيفة) العوفي الجدلى القيسى الكوفي وكان يعد من شيعة اهل الكوفة وتوفي سنة ١١١ هـ ، وقيل ٢٧ هـ
 (٦) فتح البارى ، باب فضل القرآن على سائر الكلام ٤٤٢/١٠
 (٧) هو ابو الحسن محمد بن الحسن بن ابي يزيد الهمداني ثم الممشارى — الكوفي نزيل " واسط " من الطبقة التاسعة .

ايضا ضعيف ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر اقوال العلماء في تضعيفه وقال : " وقال
الذهبي : حسن الترمذى حديثه فلم يحسن " (١)

ومعنى ذلك ان في سند الحديث المذكور رجلين ضعيفين ، وهما :

عطية العوفي ، ومحمد بن الحسن الهمداني .

والحديث لولا ^{أن} فيه ضعفا لكان دليلا على ان الاشتغال — بالتلاوة —

عن الذكر وعن الدعاء — يكون لصاحبه هذا العطاء الكريم وهذا الفضل

العظيم ، وليس فيه دليل على ان السكوت افضل من الدعاء ولا دليل على ان

الدعاء ليس له اثر في المطلوب ولا فائدة فيه .

٢ — والشبهة الثانية : —

ان الدعاء يشبه الامر والنهي ، وهما من العبد في حق المولى الكريم

سوء أدب ، وذلك لانه تعالى فقال لما يريد ، والعبد لا يدعو الا بما هو

مصلحة له ، والجواد المطلق لا يهتم ، فأى فائدة في الدعاء ؟ ولانه تعالى

علم الغيوب ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ (٢) ويعلم أحوال

عباده ، وحينئذ فأى حاجة للعبد الى الدعاء ؟

والذى يظهر ان الدعاء من العبد في حق المولى الكريم حسن أدب

لان الامر والنهي في الدعاء كانا على جهة الاستكانة والتذلل والتضرع ، وهذا

مقام تعبدى ، واذا كانا على جهة الاستعلاء فهما سوء أدب ، ولكن الدعاء

لا يأتي الا على جهة الاستكانة فهو حسن أدب .

والعبد في الحقيقة — جاهل بما هو مصلحة له وقد يدعو ويطلب

تحقيق مصلحة يراها هو من وجهة نظره ولكنها في الواقع مصلحة له أو ليس بمصلحة

له ، وبحسب سبق الدعاء يعطى الله ما ليس بمصلحة مصلحة له عاجلا

أو آجلا أو يعطى مصلحة أخرى خبر من المصلحة التي يدعوها عاجلا أو آجلا .

(١) تهذيب التهذيب ، ترجمة محمد بن الحسن الهمداني ١٢١/٩

(٢) غافر / ١٩

فالمصلحة العاجلة كاعطاء خبر نفس المطلوب او بدله خبر منه او دفع شر نفس
المطلوب او بدله أشر منه •

والمصلحة الآجلة كاعطاء خبر ودفع شر في وقت آخر • أو اعطاء الثواب العظيم
أو تكفير الذنوب في الآخرة •

”وسياتي الكلام عنه في مبحث تنوع الاجابة“

وذلك ما ورد عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) (١) ، ان رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) قال : لا ما على الاُرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة
الا آتاه اياها • أو صرف عنه من السوء مثلها — ما لم يدع بمأثم (٢) أو قطيعة
رحم •

فقال رجل من القوم : اذا نكث

قال : الله اكثر (٣)

وورد عن ابي سعيد (رضي الله عنه) (٤)

ان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : لا ما من مسلم يدعو الله بدعوة — ليس
فيها مأثم ولا قطيعة رحم — الا اعطاه احدى ثلاث :

(١) هو الصحابي الجليل ابو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الانصاري الخزرجي
المدني — احد النقباء بدرى مشهور وشهيد المشاهد كلها ، ثم وجهه
عمر الى الشام قاضيا ومعلما ، وتوفي سنة ٣٤ هـ بالرملة
وقبل بالبيت المقدس •

(٢) اي : الامر الذي يأثم به الانسان او هو الاثم نفسه •

(٣) رواه الامام الترمذي بسنده وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا
الوجه • باب في انتظار الفرج ٢٤/١٠

(٤) تقدمت ترجمته •

— اما ان يستجيب له دعوته

— او يصرف عنه من سوء مثلها

— او يدخر له من الأجر مثلها

قالوا : يا رسول الله ، اذا اكثر

قال : الله اكثر (١)

وأبضا — لبس المقصود من الدعاء — الاعلام • وانما للمقصود منه — قبل

كل شيء — امثال امر الله تعالى به واظهار عبودية الداعي وفقهه

واضطاراه وربوبية المدعو سبحانه وغناه وقوته •

٣ — والشبهة الثالثة : —

ان المدعوبه — ان كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه — دعا به

العبد اولم يدع ، فلا اثر في الدعاء ، وان لم يكن قد قدر لم يقع ، سواء

دعاه العبد اولم يدع ، فلا فائدة فيه •

والذى يظهر ان الحصر في المقدمتين المذكورتين ممنوع ، فانه لو كان

الحصر فيهما فقط لوجب تعطيل جميع الاسباب ، مع انه تعالى قد قدر الاسباب

والمسببات ، وربط المسببات بالاسباب ، فحصول المسببات عند حصول الاسباب •

ونقول : ان الله قد قدر الشيع والرى بسبب الأكل والشرب وقد دخل

الجنة بالعمل الصالح ، وقد دخل النار بالعمل الطالح •

ولا نقول — مثلا : ان كان الشيع قد قدر لنا فلا بد من وقوعه اكلنا

اولم نأكل ، وان لم بقدر فلم يقع اكلنا اولم نأكل •

ومع ذلك فانه ليس من شرط الاعتراف بالقدر — ألا نأخذ بالاسباب ، لأن

الاسباب نفسها من القدر أيضا ، وانما من شرط الاعتراف بالقدر أن نأخذ

بالاسباب •

(١) رواه الامام الحاكم بسنده ، وقال هذا حديث صحيح الاسناد وأقره الامام

الذهبي وقال : صحيح باب الدعاء ٤٩٣/١

وعلى هذا - فلا بد أن هناك المقدمة الثالثة ، ألا وهي : (أن المدعو به - أن كان قد قدر بسبب لم يكن بد من وقوعه به - ولم يقع بدونه)

والدعاء من الأسباب ، والأسباب من القدر ، فالدعاء - إذن - من قدر الله تعالى ،

وقد صرح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن الرقية والدواء والتقية من قدر الله .

وذلك ما ورد في حديث أبي خزيمة عن أبيه (١) قال : سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

قلت : يا رسول الله ، أرايت رقي تسترقبها (٢) ، ودواء نتدأ به وثقة (٣) ، تثقبها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال : (هي من قدر الله) (٤)

(١) أبو خزيمة هذا أحد بني الحارث بن سعد (وليس أبو خزيمة رفاعاً بن عرابة من بني عذرة بن سعد) وأبوه الصحابي : يَحْمَرُ السَّعْدِيُّ - سعد هذيم - ثم من بني الحارث بن سعد ، والحارث أخو عذرة بن سعد .

(٢) رقي ، جمع رقية ، وهي : ما يقرأ لطلب الشفاء ، والاسترقاء : طلب الرقية

(٣) وهي : اسم ما يلتجئ به الناس من خوف الأعداء كالترس .

(٤) رواه الإمام الترمذي بسنده وقال : هذا حديث حسن ، باب ما جاء في الرقي والأدوية ٢٣٢ / ٦ - ٢٣٣

ورواه الإمام ابن ماجه بسنده ، باب ما أنزل الله داء (كتاب الطب) ١١٣٧ / ٢

ورواه الإمام الحاكم بسنده عن حكيم بن حزام مرفوعاً نحوه ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ثم لم يخرجاه

وأقره الإمام الذهبي وقال : على شرطهما ، باب الرقي والأدوية الخ ٣٢ / ١

وقد مر معنا في مبحث فضل الدعاء ان الدعاء يرد القدر وينفع مما نزل
ومما لم ينزل ويحتلج هو البلاء الى يوم القيامة ، ومعنى ذلك ان الدعاء ايضا
من قدر الله ، فان من القدر جلب النفع ودفع ضرر الدعاء وانه سبب من
الاسباب لجلب نفع او دفع ضرر .

وقد قال الامام الخزالي (١) : " فان قلت : فما فائدة الدعاء —

— والقضاء لا مرد له ؟

فاعلم — ان من القضاء رد البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لرد البلاء
واستجلاب الرحمة ، كما ان الترس سبب لرد السهم ، والماء سبب لخروج النبات
من الأرض فكما ان الترس يدفع السهم فيدافعان وكذلك الدعاء والبلاء
يتعالجان ، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى — ان لا يحمل السلاح ،
وقد قال تعالى ﴿ خذوا حذرکم ﴾ (٢) — وان لا يسقى الارض — عند بث البذر ،
فيقال : ان سبق القضاء بالنبات نبت البذر ، وان لم يسبق لم ينبت ، بل
ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الاول الذي هو كليج البصر او هو اقرب ،
وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب على التدرج :

والتقدير هو القدر ، والذي قدر الخير قدره بسبب ، والذي قدر الشر
قدر لدفعه سببا ، فلا تناقض بين هذه الأمور — عند من انفتحت بصيرته " (٣)

الدعاء من الاسباب : —

وقد اعترض بعض الناس على ان الدعاء سبب من الاسباب ، وهذا

الاعتراض قد افرطت فيه طائفة وفرطت أخرى .

(١) تقدمت ترجمته

(٢) النساء / ٧١ واية ١٠٢

(٣) احياء علوم الدين ، باب الدعاء ١١٥/٥

فقلت الأولى : وإذا كان الدعاء سببا من الاسباب ، فمعناه : انه بنفس

الدعاء ينال المطلوب ، وانه موجب لحصوله وانه مؤثر حقيقى مستقل في ذاته .

وقالت الاخرى : ان الدعاء ليس سببا من الاسباب ، وانما هو علامة

مجردة نصبها الله تعالى اشارة على قضاء الحاجة ، وكان ارتباطه بالمطلوب ليس من باب ارتباط السبب بالمسبب ولكن من باب ارتباط الدليل بالمدلول .

فتمنى وفق الدعاء للمبد - كان ذلك دليلا وعلامة له على

ان حاجته قد قدرت وقضيت .

اذا - فلا يكون بين الدعاء وبين ما يترتب عليه الا مجرد الاقتران

العادى لا التأثير السببى .

وهذا - كما اذا رايت غيما اسود باردا في زمن الشتاء ، فان ذلك

دليل وعلامة على انه مطر .

وقالوا : وهكذا حكم العمل الصالح مع دخول الجنة ، والعمل

الطالح مع دخول النار ، وهو دليل بحت وامة محضة لوقوع الثواب والعقاب .

والذى يظهر ان الذى سبب افراطهم وتفريطهم هو انهم لم يفهموا

معنى السبب فهما صحيحا .

فاما الطائفة الاولى : فهم محجوبون عن رؤية منته تعالى وفضله ،

وتفرد به بالربوبية والتدبير ، وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وانهم

لا حول ولا قوة للمبد . بل ولا للعالم اجمع الا لله وحده وانه لا تتحرك ذرة

الا باذنه ومشيئته - حتى افعالهم وحركاتهم وسكناتهم ، وربما غاب عنهم

شهود كون ذلك من الله وبه تعالى لا منهم ولا بهم ، وانه هو الذى حركهم للدعاء

وقذفه في قلوبهم واجراه على السنتهم .

واذا كنا نسلم بوجود رابطة بين السبب والمسبب ، فهذه الرابطة

لم تنشأ بنفسها ، وإنما الله تعالى هو الذى ربط بينه وبين السبب بمحض ارادته تعالى وقدرته فقط ، فظهر من استمرار هذا الارتباط بينهما بمظهر السببية ، ولم تكن ثمة اى رابطة حتمية حقيقية في واقع الامر .
ومعنى ذلك ان هذا السبب ليس مؤثرا حقيقيا مستقلا في ذاته ، وان ذلك الارتباط بينه وبين السبب ليس ارتباط التأثير الحقيقي وإنما ارتباط التأثير السببي الذى ربط به الله ، وكان المؤثر الحقيقي هو الله وحده لا شريك له .

وما مثل الاسباب الا كمثل فروع الشجرة فالاسباب تتناقص أمانا كلما أمننا التأمل وسبرنا اغوار الاسباب نفسها - كما تتناقص أمانا فروع الشجرة كلما دنونا بنظرنا نحو جذعها - الى ان تتجمع الاسباب المختلفة كلها في سبب رئيسى واحد الا وهو الله سبحانه وتعالى .

ولقد اقتضت المشيئة الالهية وجود تلك المسببات باسبابها المقدرة

لها ، وأن تأثير الاسباب فيها ليس تأثيرا حتميا حقيقيا مستقلا وإنما هو بمشيئة الله تعالى وقدرته ، والاسباب في الاصل - امور لا علاقة لها بالمسببات أو لكن ^{سميها} ^{تأثير} الله جعلها اسبابا لها ، وهو الذى رتب على السبب حصول المسبب :-

- ولو شاء لا يوجد به غير ذلك السبب
- واذا شاء منع سببية السبب وقطع عنه اقتضاء أثره
- واذا شاء أقام له مانعا يمنعه عن اقتضاء أثره مع بقاء قوته فيه
- واذا شاء رتب عليه ضد مقتضاه وموجبه
- فلا سبب طوع مشيئة الله تعالى وقدرته ، وتحت تصرفه وتدبيره ، بقلبها كيف شاء ، وليست الاسباب نفسها هي المؤثرة في الرب او في ملكوته تعالى .
- بل الله سبحانه وتعالى هو المؤثر الحقيقي الوحيد في ملكوته .

- فهو الذى جعل الاكل أو الشرب سببا للشبع أو الرى

- وهو الذى جعل العمل الصالح أو الطالح سببا لدخول الجنة أو النار

- وهو الذى جعل دعاء عبده سببا لما يريدہ تعالى من القدر

- وهو وهو وهو

فبسبب الاسباب كلها هو الله وحده لا شريك له ، فهي جميعها اسباب صورية
لا قيمة ذاتية لها .

واما الطائفة الثانية : فهم يجعلون السبب مجرد المقارنة بين الامور
والارتباط بينهما هو الارتباط المادى لا الارتباط . التأثير السببى . كالاقتراح
بين الاكل والشبع في ذهاب الجوع وبين الشرب والرى في ذهاب العطش ، ولو
شاء الله تعالى لفرق بين هذه الامور وقطع الصلة والمقارنة مما بينها وترك كل
واحدة منها يسير في طريق كان يظهر مستقلا عن الآخر .
وهم ينفون الحس والمشاهدة في تأثير الامور الكونية او في التحليلات
العلمية لظواهر الاشياء .

فالمسألة - اذا - ليست مسألة مقارنة مجردة . وانما هنالك
تأثير كامن في السبب المقارن الذى اودعه الله سبحانه وتعالى ، ويسلبه
عنه عندما يشاء ، وهذا التأثير ليس تأثيرا منبثقا من ذاته وانما هو مودع فيه
من قبل الله تعالى .

واذا اراد الله ان يعطل السبب عن تأثيره ازال عنه هذه القوة المؤثرة
المودعة فيه .

فقد شاءت ارادة الله تعالى ان لا يشبع الا بعد اكل الطعام وأودع
الله في الطعام قوة مؤثرة في الاشباع ، ولو شاء الله ان يعطل الاكل عن
تأثير الاشباع ازال عن الطعام تلك القوة المؤثرة فيه وهكذا ..

والدعاء سبب لحصول المطلوب كسائر الاسباب المقدرة والمشروعة .
- فاذا اراد الله ان يقضى لمعبده قضاء بسبب الدعاء - وكان عبده يدعوه
ويتضرع اليه - كان يجعل دعاءه وتضرعه سببا للذى قضاء له .

- وكذلك اذا اراد ان يشبع عبد الوهرويه بسبب الاكل أو الشرب
وكان العبد ياكل أو يشرب - كان يجعل اكله أو شربه سببا للشبع
أو الري .

ومعنى ذلك ان الدعاء ليس علامة مجردة نصيبها الله أمارة
على قضاء الحاجة ، وانما هو سبب من الأسباب الذى ربط الله بينه وبين
المسبب على طريق التأثير السببى الذى أودعه الله فيه .
وكان المؤمن الحقيقى ومسبب الأسباب هو الله وحده لا شريك له .
وان المدعوه - ان كان قد قدر بسبب لم يكن بد من وقوعه به ،
ولم يقع بدونه .

الفصل الرابع

في بيان :-

- اجابة الدعاء .
- تنوع الاجابة .
- الحكمة في تنوع الاجابة .

الفصل الرابع

اجابة الدعاء وتنوعها وما في ذلك من حكمة بالغة

اجابة الدعاء

ان الدعاء أمر والاجابة وعد ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عبده
بالدعاء وقطع على نفسه وعدا بالاجابة •

قال تعالى ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (١)

وقال سبحانه ﴿ واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة
الدااع اذا دعان - فليستجيبوا لى وليبوء منوا بى ، لعلمهم يرشدون ﴾ (٢)
ومن هاتين الايتين الكريمتين نعرف ان الله أمرنا بالدعاء ووعدنا
بالاجابة ، وقد قبل كيف يكون ذلك ونحن نرى كثيرا من الناس يدعون ولا يحسون
باجابة ؟

وهذه الشبهة تظهر عن خطأين أساسيين : خطأ حين لا يعرف
حقيقة الدعاء ، وخطأ حين لا يعلم حقيقة الاجابة •
واذا عرفنا ذلك عرفنا الجواب على تلك الشبهة •

(١) ان الدعاء - كما سبق ذكره - ليس مجرد كلمات جافسة
ينطق بها راج أومضطر ، وليس ترنيمات صوتية يرددوها راغب أوراغب ،
وانما هو فوق ذلك عبادة من العبادات الشرعية ، فالعبادة لها شروط
وآداب • وهذه العبادة - يعنى الدعاء - ككل العبادات الشرعية
ان خلت من الشروط والآداب كانت آلية لا غناء فيها ، وان تمت ففى غير

(١) غافر / ٦٠

(٢) البقرة / ١٨٦

أطارها كانت كلاً شيء ، وكذلك العكس - فان اكتملت الشروط والآداب كانت عبادة من المبادات الشرعية ، وان تمت في أطارها كانت الإجابة معها .
فما هي الشروط والآداب للدعاء ؟

أما الآداب له فسنتكلم في باب مستقل من هذا البحث وهو الباب الثاني منه .

وأما الشروط فنتكلم عنها في هذا الفصل ، لأن الشروط للدعاء هي الشروط لإجابته .

والآيتان الكريمتان السابقتان تبينان لنا الشرطين الأساسيين لإجابة الدعاء . وهما : ان يخلص لله في الدعاء ، وان يكون الداعي من عباد الله .

(١) : الإخلاص :

وقد أشارت الآية الكريمة الى ان الإخلاص لله في الدعاء شرط أساسي لإجابته - بقوله تعالى : ﴿ ادعوني ﴾ ، أي : اخلصوا لى في الدعاء . وصرحت الآية الكريمة الثانية بذلك - بدخول أداة الشرط : ﴿ اذا دعان ﴾ ، أي : اذا اخلص لي في الدعاء ، ومعناه : انه تعالى يجيب دعوة الداعي بشرط الإخلاص له في الدعاء .

ولهذا أمر الله عباده بالإخلاص في الدعوات وقال ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ (١)

وحقيقة (الإخلاص) - كما قال الامام الراغب الأصفهاني (٢) :

” التبرى عن كل ما دون الله تعالى ” (٣)

والإخلاص - كما قال الامام الشوكاني (٢) : ” هو الذى تدور عليه دوائر

الإجابة . وقد قال عز وجل ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ (١) ، فمن دعا ربه

غير مخلص فهو حقيق بالاجاب إلا أن يتفضل الله عليه ، والله ذو الفضل العظيم ” (٣)

(١) غافر / ١٤ (٢) تقدمت ترجمتهما (٣) تحفة الذاكرين ص ٣٥

ومعنى ذلك ان الاخلاص لله في الدعاء شرط أساسي لاجابته .
وقد نقل الامام الفخر الرازي (١) أقوال العلماء في استجابة الدعاء ،
ثم قال : " وعندي وجه آخر - وهو انه قال * ادعوني استجب لكم *
فكل من دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه وأقاربه
وأصدقائه وجده واجتهاده - فهو - في الحقيقة - ما دعا الله الا
باللسان ، أما بالقلب فانه معمول في تحصيل ذلك المطلوب على غير
الله ، فهذا الانسان ما دعا ربه في وقت ، وأما اذا دعا في وقت لا ينقي
في القلب التفتات الى غير ذلك ، فالظاهر انه تحصل الاستجابة ، اذا
عرفت هذا ففيه بشارة كاملة " (٢)

وكيف يجيب الله دعاء من لم يخلص لله في دعائه ، وطلب مع
الله غيره او من دونه ؟ سواء كان يعتقد ان مدعوه يستطيع ان
يجيب له بقدرته الذاتية أم بواسطة عند ذي القدرة الذاتية ، وكيف
يجيب ... ؟ لأن كل ما يدعى من دون الله في الأرض او السماء - فسي
الحقيقة - هو مخلوق عاجز لا قدرة له ومحتاج لا قيام له بذاته
وضيف لا يقوى على حماية نفسه - بله غيره - من كشف ضرر
أو دفع سوء .

قال تعالى : * يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين
تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب
شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله
حق قدره ، ان الله لقوى عزيز * (٣)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) مفاتيح الغيب ٨١/٢٧

(٣) الحج / ٢٢ - ٢٣

وقال سبحانه * له دعوة الحق والذين يدعون من دونه
لا يستجيبون لهم بشيء الا كباط كفيه الى الماء ليبلغ فاه ، وما هو
ببالفه ، وما دعاء الكافرين الا في ضلال * (١)

وقال عز وجل * قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر/ ولا تحو^{عنكم}يلا * (٢)

وقال * والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير (٣)
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم
القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير * (٤)

وقال : * ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان
فعلت فانك اذا من الظالمين ، وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له
الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده وهو
الغفور الرحيم * (٥)

وقال * أم اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو
كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ، قل لله الشفاعة جميعا * (٦)
والآيات القرآنية في ذلك كثيرة .

(١) الرعد / ١٦

(٢) الاسراء / ٥٦

(٣) اى : لفافة النواة

(٤) فاطر / ١٤ - ١٥

(٥) يونس : ١٠٧ - ١٠٨

(٦) الزمر / ٤٤ - ٤٥

(٢) ان يكون الداعي من عباد الله :

وأما ان يكون الداعي من عباد الله فقد قال تعالى مخاطباً رسوله
(صلى الله عليه وسلم) بدخول اداة الشرط : * واذا سألك عبادى عنى
فانى قريب * ، وعبر القرآن الكريم بـ * عبادى * المنتسبين اليه سبحانه
وتعالى ، وهذه الاضافة اضافة تشريف وتكريم ، فلا بد ان يكون السائل من
عباد الله القائمين بالعبادات التي تمكثهم من الانتساب الى الله سبحانه
وتعالى ونيل شرف عبادته ، ولا يكون من عباد الاصنام والأوثان ولا عباد الاشجار
والأحجار ولا عباد الاوهام والأهواء ولا عباد الجن والانس وغير ذلك من
المستكبرين عن عبادة الله ، ولذلك قال تعالى فى الآية الكريمة الأخرى
* ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين *

وقوله تعالى : * فانى قريب * كما قال الامام الزمخشري (١) :

" تمثيل لحاله فى سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجابه حاجة من سألـه
بحال من قرب مكانه ، فاداً دعى أسرعت تلبيته " (٢)

ومن اللطائف فى هذه الآية الكريمة * واذا سألك عبادى عنى فانى
قريب * ان سؤال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن بعض الأمور
قد وقع فى القرآن الكريم بنسخ عشرة مرة . وكان كل جواب عن تلك الأسئلة
مقترناً بكلمة * قل * .

كما فى قوله تعالى * يسألونك عن الأهلة ، قل هي مواقيت للناس
والحج * (٣)

وقوله سبحانه * يسألونك عن الخمر والميسر قل فىهما اثم كبير ومنافع
للناس ، واثمهما اكبر من نفعيهما * (٤)

وقوله عز وجل * يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ... * (٥)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) الكشف ٢٢٨ / ١

(٣) البقرة ١٨٩ /

(٤) البقرة ٢١٩ /

(٥) الانفال ١ /

ولكن الآية الكريمة ﴿ وَاِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾ خالفت تلك الايات الكريمة . وهذا لأن الله لم يأمر رسوله ان يقول للناس ذلك بل قال سبحانه مباشرة ﴿ فاني قريب ﴾ ولم يقل : فقل اني قريب . وما هو السرفي ذلك ؟

والذى يظهر ان السائلين في هذه الآية الكريمة وردت صريحة هم عباد الله بقوله تعالى ﴿ عِبَادِي ﴾ ، وأما السائلون في الايات الاخرى فهم قد يكونون من المشركين أو اهل الكتاب أو الناس . ولذلك فلم يجعل الله واسطة بينه وبين عباده ، كأنه قال لرسوله : لا تبلغ عبادي عنى كما تبلغ الناس في أسئلتهم ، ولكن دعنى انا أجيب عبادى مباشرة ﴿ اني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ﴾ ومعنى ذلك ان يكون الداعي من عباد الله شرط أساسى آخر لا جابة الدعاء .

وقد أرشد الله عباده الى أمرين عظيمين فأمرهم ان يمثلوا بهما وقال ﴿ ... فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ .

الاستجابة لله :

فلاستجابة لله تعالى لا تكون الا بطاعته تعالى ، وأما من يعصيه ولا بطاعته فأنى يستجاب له ؟

وقد بين الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عدة اجابة أدعية أنبيائه (عليهم الصلاة والسلام) وأعظمها سألوهم - هي انهم - اتصفوا بثلاث صفات ، ومنها : المسارعة في فعل الطاعات . قال تعالى ﴿ انهم كانوا يسارعون في الخيرات . ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين ﴾ (١)

قال الامام الشوكاني (١) : * وجملة * انهم كانوا يسارعون في الخيرات *
للتعليل لما قبلها من احسانه سبحانه الى انبيائه (عليهم الصلاة والسلام) ،
فالضمير المذكور راجع اليهم ، وقيل : هو راجع الى زكريا وامراته
وبحي * (٢)

وقوله تعالى * انهم كانوا يسارعون في الخيرات * كما قال الامام ابن كثير :
* اي في عمل القربات وفعل الطاعات * (٤)

وقد ورد - في الحديث القدسي - (٥) عن أبي هريرة (رضي
الله عنه) (١) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : يَا اِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ
أَحَبَّ إِلَيَّ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَمَا زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبُّهُ ،
فَكُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ،
وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا - وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي
لَأُعْذِنَهُ - (٦)

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) فتح القدير ٤٢٥/٣

(٣) هو الامام عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضؤ بن د ر ع
القرشي البصري ثم الدمشقي ، صاحب " تفسير القرآن العظيم " ولد
في قرية من اعمال بصرى الشام سنة ٧٠١ هـ ، وانتقل مع أبيه الى دمشق
سنة ٧٠٦ هـ ، ورحل في طلب العلم ، وكان حافظا مفسرا مؤرخا
فقيها ، وله مؤلفات ، وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤ هـ

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٩٣/٣

(٥) تقدم تعريفه

(٦) رواه الامام البخارى بسنده ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ١٢٦/١٤ - ١٣٠

إذا - فلا بد للداعي أن يكون من عباد الله سبحانه وتعالى وذلك بالاستجابة له من المسارعة في الخيرات والتقرب اليه بالفرائض والنوافل .
ومن الطاعات المرجوة لاجابة الدعاء - كما ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صريحاً - الافراج عن معسر .
وذلك ما ورد عن ابن عمر (رضى الله عنهما) (١) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من أراد أن تستجاب دعوته وان تكشف كربته - فليفرج عن معسر » (٢)

الايمان بالله :

وأما الايمان الذى أمر الله أن يمثله الداعي في قوله تعالى :
* فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي * فهو ليس مجرد الاقرار بوجوده تعالى وبأنه الخالق ، فان المشركين يقرون بذلك وهم - كما صرح بهم الله سبحانه - لا يؤمنون .

قال تعالى * ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ، وسخر الشمس والقمر - ليقولن : الله ، فأنسى يؤفكون . الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شىء عليم . ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن : الله ، قل : الحمد لله بل أكثرهم لا يحقلون * (٣)

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) رواه الامام احمد في مسنده ٣٣٧/٦

واخرجه الامام الهيثمى في مجمع الزوائد ونسبه لأحمد وأبى يعلى ،

وقال : رجال احمد ثقات ١٣٣/٤

(٣) المنكوت / ٦١ - ٦٢

وقال سبحانه * ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض — ليقولن :

الله ، قل أفرايتم ما تدعون من دون الله ، أن أرادني الله بضر — هل هن كاشفات ضره ، أو أرادني برحمة — هل هن ممسكات رحمته ، قل : حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون * (١)

وقال عز وجل * ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من

شهد بالحق وهم يعلمون * ولئن سألتهم من خلقهم — ليقولن : الله ، فأنسى يؤفكون * وقيله — يا رب — أن هؤلاء قوم لا يؤمنون * (٢)

وقوله تعالى * وقيله — يا رب — أن هؤلاء قوم لا يؤمنون * كما

قال الامام ابن كثير (٣) : " اى : قال محمد (صلى الله عليه وسلم) قبله اى : شكا الى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه ، فقال : يا رب ، أن هؤلاء قوم لا يؤمنون * " (٤)

والايمان ليس مطلق الاقرار في لحظات الضيق والكربة فقط ، بأن

الله وحده هو المجيب ، لأن هذا الاقرار ضرورى ولم يصدر عن الايمان فان

هذه اللحظات ترجع قلوب الناس الى الفطرة وتزيل ما ينازعها من غشاوة

الغفلة والكبر وتكشف ما يسترها من غطاء الشرك والكفر ، وهذا — لأن

الناس في هذه اللحظات ينظرون حوالبيهم من القوى المزعومة في الأرض والسماء

ويعرفون أنها لا تتجدد معهم مع أن هذه الكرب احدثت بهم من كل مكان فقرؤا الى

الملاجأ وفعروا الى الملاذ ودعوا الله ، ثم اذا كشف الله كربهم اذا هم يعودون

الى سابق ما كانوا عليه من غفلة وكبر وفسق وفجور وشرك وكفر .

(١) الزمر / ٣٨

(٢) الزخرف / ٨١ — ٨٣

(٣) تقدمته ترجمته

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٣٦/٤

قال تعالى ﴿ قل أرايتكم - ان اتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة ،
اغير الله تدعون ان كنتم صادقين ، بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه - ان شاء -
وتنسئون ما تشركون ﴾ (١)

وخبر مثال لهذا النوع من الناس هو مثالهم عندما يكونون في السفينة
فعندما تسرى وتجري بدفع ريح طيبة تبعث الفرح والفخر في النفوس
فينسون النعمة من الله ويعرضون ويعدون عنه تعالى ولا يدعونه ولا يعبده
واذا عوث الرياح العاصفة وأظلمت السماء واهتزت السفينة في ظلمات الأمواج
التي أهدت بهم من كل مكان وتبينوا اليها بهم المحتومة ولاحت لهم الخاتمة
فهرأوا الى الملجأ وفزعوا الى الملاذ ودعوا الله وحده مخلصين له الدين
متضرعين ومخفيين ، اذ لا ملجأ منها الا اليه تعالى وعاهدوه قائلين :
﴿ لئن انجبتنا من هذه لتكونن من الشاكرين ﴾ وحقق الله رجاءهم وأعطى
ما سألوه فأنجاهم ، وما أن وطأوا أقدامهم الأرض وأحسوا الأمان حتى
عادت سيرتهم الأولى ورجعوا الى ما كانوا عليه من الشرك والكفر ولم يوفوا
بالعهد ولم يقوموا بالشكر ، بل بغوا في الأرض بغير الحق وأفسدوا
وجاروا وكفروا .

قال الله تعالى ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر ، حتى اذا كنتم في
الفلك ، وجريين بهم بريح طيبة ، وفرحوا بها - جاءتهم ريح عاصف
وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين
له الدين لئن انجبتنا من هذه لتكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم اذا هم
يسفون في الأرض بغير الحق . . . ﴾ (٢)

(١) الانعام / ٤٠ - ٤١

(٢) يونس / ٢٢ - ٢٣

وقال سبحانه * فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما لجاهم الى البر اذا هم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم وليتبعوا فسوف يعلمون * (١)

وقال * قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر - تدعونه تضرعا وخفية : لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون * (٢)

وقال * واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا * (٣)

والايمان ليس مطلق الاقرار في لحظات الضيق والكربة فحسب ، لأن المشركين اقرؤا بذلك مضطرين وهم لا يؤمنون . وانما الايمان هو - الاقرار بوجوده تعالى من أساس الشعور الواعي بوحده تعالى وقهره لكل من في الوجود وما في الوجود ، فكلهم عبده وخلقهم وفي قبضة قدرته وسلطانه . وانما هو الاقرار بتفرد تعالى في اجابة دعوة الداعي اذا دعاه وهذا الاقرار صدر عن اليقين ومن أساس الشعور الذاتي بأنه تعالى وحده يملك الضر والنفع ويملك المنع والمنع والموت والحياة ، وأنه بيده ملكوت كل شئ ، وله الخلق والأمر وأنه اذا اراد شيئا فانما يقول له * كن * فيكون .

ولذلك فلا يكون الدعاء الا الاخلاص لله وحده - في جميع الأحوال حال الرخاء والكربة وحال المنحة والمحنة .
والايمان - كما قال علماء التوحيد - هو : التصديق بالجنان ،
والاقرار باللسان والعمل بالأركان " (٤)

(١) المنكبوت / ٦٥-٦٦

(٢) الانعام / ٦٣-٦٤

(٣) الاسراء / ٦٧

(٤) الجنان : القلب ، الأركان : الأعضاء

وانا عرفنا معنى الايمان الذى أمر الله ان يمثل به الداعى
فهمنا ان الايمان هو روح الدعاء العظيم وركنه الركين وأساسه المتين .
ومن تعمى عن الايمان وكفرا أو آمن بمن دونه تعالى . اولم يؤمن اطلاقا ،
فمن يدعو ؟ وأنى يستجاب له ؟

فهؤلاء الكفار أو المشركون ان دعوا فهم لا يدعون الله وحده وانما
يدعون صنما لا يضر ولا ينفع . أو حجرا لا يسمع ولا يشفع ، أو قبرا لا ينفع
ولا يمنح ، أو وهما لا يملك من أمره شيئا - فضلا عن ان يتصرف في أمور
الآخرين ، سواء أكانوا يعتقدون ان تلك الأشياء ونحوها تستطيع
اجابة أدعيتهم بقدرتها الذاتية أم بوساطتها أو شفاعتها عند ذى القدرة
الذاتية . وكل ذلك لا تستحق الاجابة من الله سبحانه وتعالى . وكيف
يجيب الله دعاء من يكفر به ؟ . . . فانه ضال من حيث الأساس وضال
من حيث الطريق ، فالأساس كقولن تكون نتيجته الا الكفر والخسران والضلال
البيد .

قال تعالى ﴿ من كفر فعليه كفره . . . ﴾ (١)

وقال سبحانه ﴿ والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله ، اولئك هم
الخاسرون ﴾ (٢)

وقال عز وجل ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ (٣)

ودعاء غير الله ضلال من حيث الطريق ، ومن أضل ممن يدعو من
دون الله ؟ وانه ظلم وشرك وكفر .

قال تعالى ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى
يوم القيامة وهم من دعائهم غافلون ﴾ (٤)

(٢) العنكبوت / ٤٤

(١) الروم / ٤٤

(٤) الاحقاف / ٥

(٣) النساء / ١٣٦

وقال سبحانه ﴿ ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان

فعلت فانك اذا من الظالمين ﴾ (١)

وقال عز وجل ﴿ والذين تدعون من دونه — ما يملكون من قطمير ،

ان تدعوهم لا يسموا دعاء كم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ (٢)

وقال جل ثناؤه ﴿ ومن يدع مع الله الها آخر — لا برهان له به فانما

حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكافرون ﴾ (٣)

وقد سجل القرآن الكريم مثال دعاء الكافرين ونتيجته ، وقال تعالى :

﴿ له دعوة الحق ﴾ (٤) ، والذين يدعون من دونه — لا يستجيبون لهم بشيء

الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه ، وما هو ببالف — وما دعاء الكافرين الا في ضلال ﴾ (٥)

قال الامام ابن كثير (٦) : " ومعنى هذا الكلام : الذى ييسط يده

الى الماء اما قابضا واما متناولا له من بعد — كما انه لا ينتفع بالماء الذى لم

يصل الى فيه الذى جعله محلا للشرب فذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون

مع الله الها غيره لا ينتفعون بهم ابدا في الدنيا ولا في الآخرة " (٧)

وقال الامام الفخر الرازى (٦) : " لانهم ان دعوا الله لم يجيبهم وان

دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم " (٨)

وما سبق — نعرف : ان الاجابة الدعاء شرطين أساسيين

وهما :

(٢) فاطر / ١٤-١٥

(١) يونس / ١٠٧

(٤) اى لله وحده الذى يستحق ان يدعى

(٣) المؤمن / ٧

(٦) تقدمت ترجمتهما

(٥) الرعد / ١٤

(٨) مفاتيح الغيب ٢٩ / ١٩

(٧) تفسير القرآن العظيم ٥٠٢ / ٢

١ - الاخلاص لله في الدعاء ، ولتحقيق هذا الشرط فلا بد للداعي ان يكون مؤمنا موحدا لا كافرا ولا مشركا .

٢ - وان يكون الداعي من عباد الله ، ولتحقيق هذا الشرط فلا بد للداعي ان يكون مستجيبا لله بامثال أوامره بفعل الطاعات وعمل القربات من الفرائض والنوافل .

وهذا في ضوء قوله تعالى ﴿ وقال ربكم : ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (١)
وفي ضوء قوله سبحانه ﴿ واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤذوا بني بعلمهم يرشدون ﴾ (٢)
وهاتان الايتان الكريمتان تفسر احدهما الاخرى ،
وهناك شروط أخرى وردت في الاحاديث الشريفة مفصلة لما أجمله القرآن الكريم ، وهي :-

١ - ألا يكون الدعاء في أغراض شريرة :

فمن شروط اجابة الدعاء التي وردت في الاحاديث الشريفة : ألا يكون الدعاء في اغراض شريرة كالدعاء باسم أوقاطيعة رحم ، وذلك ما ورد عن أبي هريرة (٣) (رضي الله عنه) قال : ان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : لا يزال يستجاب للعبد - ما لم يدع باسم أوقاطيعة رحم - ما لم يستعجل قيل : يا رسول الله ، ما الاستعجال ؟ قال : يقول : (قد دعوت ، قد دعوت) (٤) فلم أر يستجيب فيه استحسر (٥)

(١) غافر / ٦٠

(٢) البقرة / ١٨٦

(٣) تقدمت ترجمته

(٤) تكرار (دعوت) للاستمرار اي : دعوت مرارا كثيرا

(٥) يقال : حسر واستحسر ، اذا أعيا وانقطع عن الشيء ، والمراد هنا : انه ينقطع عن الدعاء .

عند ذلك وبدع الدعاء (١)

وورد عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) (٢) ان رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) قال : ما على الارض مسلم يدعو الله تعالى
بدعوة الا آتاه اياها ، او صرف عنه من السوء مثلها - ما لم يدع بمأثم او قطيعة
رحم ،

فقال رجل من القوم : اذا نكثرت .

قال : الله اكثر (٣)

وعن أبي سعيد (رضي الله عنه) (٢) ، ان النبي (صلى الله
عليه وسلم) قال : ما من مسلم يدعو الله بدعوة - ليس فيها مأثم ولا قطيعة
رحم - الا أعطاه احدى ثلاث :

- اما ان يستجيب له دعوته

- او يصرف عنه من السوء مثلها

- او يدخر له من الاجر مثلها

قالوا : يا رسول الله ، اذا نكثرت

قال : الله اكثر (٤)

ومن هذه الاحاديث نرى ان اجابة الدعاء مقيدة ومشروطة بالآ بدعواتهم

ولا قطيعة رحم .

(١) رواه الامام مسلم بسنده ، باب بيان انه يستجاب للداعي ما لم يعجل ٥٨٠/٥

ورواه الامام ابن حبان بسنده ، البيان بأن الله جل وعلا انما يستجيب دعاء
من رفع اليه بديه اذا لم يدع بمعصية الخ ٦٧١/٢

(٢) تقدمت ترجمتهما

(٣) تقدم تخريجه

رواه الترمذي وقال : حسن غريب صحيح ٢٤/١٠

(٤) تقدم تخريجه

رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي ٤٩٣/١

ومن أجل ذلك فلا يدعوا الداعي بما يسبب له معصية أو لغیره أذى وهو ما يسمى بالاثم ، ولا بإزالة حق من حقوق المسلمين وهو ما يعبر عنه بقطيعة رحم ، ومعنى ذلك أن يكون الدعاء في أغراض خيرة - ومقاصد حسنة ولا يكون في أغراض شريرة ولا مقاصد سيئة كالدعاء بآثم وقطيعة رحم ، وهذا شرط من شروط الإجابة .

٢ = ألا يتمجل الإجابة :

ومن شروط إجابة الدعاء : ألا يتمجل الإجابة ، وقد رأينا في حديث أبي هريرة (رضى الله عنه) السالف ذكره مرفوعا : لا يزال يستجاب للعبد - ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستمجل . . . (١) وفي هذا الحديث قيدان لإجابة الدعاء وهما :

١ - ألا يدعوا باثم أو قطيعة رحم

٢ - وألا يتمجل

ومعنى ذلك أن عدم الاستمجال شرط من شروط إجابة الدعاء وقد ورد عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أيضا ، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : لا يتمجل ما لم يعجل يقول : دعوت فلم يستجب لي . . (٢)

وفي هذين الحديثين الشريفين قيد الشارع - إجابة الدعاء - بعدم الاستمجال أو عدم العجلة ، وكيف يكون تقييد الإجابة بذلك ، وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه دعا الله واستعجله الإجابة ، وقال : اللهم اسقنا . . . عاجلا . . . (٣)

(١) تقدم تخرجه - رواه مسلم وابن حبان وصححه

(٢) رواه الإمام البخاري بسنده ، باب يستجاب للمبد ما لم يعجل ٣٩٠/١٣

ورواه الإمام مسلم بسنده ، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل ٥٧٩/٥

ورواه الإمام الترمذي بسنده وقال : هذا حديث حسن صحيح ، باب ما جاء في من يتمجل في دعائه ٣٣٠/٩

ورواه الإمام أبو داود بسنده ، باب الدعاء ٣٥٦/٤

ورواه الإمام مالك بسنده ، باب ما جاء في الدعاء ٣٥/٢

كما ورد ذلك في حديث جابر بن عبد الله (١) (رضي الله عنه) قال :

”أتت النبي (صلى الله عليه وسلم) بواكي (٢)

فقال : (اللهم اسقنا غيثا مغيثا (٣) مريثا (٤) مريعا (٥) نافعا غير

ضار - عاجلا غير آجل)

قال : فأطبقت عليهم ! لسحاب (٦)

وفي حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) قال :

”جاء أعرابي الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله ،

لقد جئتك من عند قوم ما يتزود لهم راع ولا يحظر لهم فحل

فصعد المنبر ، فحمد الله ، ثم قال :

(اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريثا طبقا (٧) مريعا غدقا (٨) - عاجلا غير

رائث (٩))

ثم نزل . فما يأتيه احد من وجه من الوجوه الا قالوا : قد أحبيناه (١٠)

(١) هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري السلمي (من

بني سلمة) شهيد العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير ولم يشهد الا ولي ،

وشهد تسع عشرة غزوة مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يشهد بدرا ،

وتوفي سنة ٧٤ هـ

(٢) جمع باكية ، أي جاءت نفوس باكية او نساء باكيات متوسلة الى النبي

(صلى الله عليه وسلم) من انقطاع المطر عنهم .

(٣) من الاغاثة بمعنى الاغاثة

(٤) بفتح الميم والمد ويجوز ادغامه ، أي : هنيئا محمود العاقبة لا ضرر فيه .

(٥) قال الامام ابو الطيب في عون المعبود : ” يروى على وجهين : بالياء والباء ،

فمن رواه بالياء جعله من المراعاة وهو الخصب ... ومن رواه مريعا كان معناه

: منيتا للربيع ” ٣١/٤

(٦) رواه الامام ابو داود بسنده ، باب رفع اليدين في الاستسقاء ٣١/٤

(٧) أي : مائلا للارض مغطيا لها ويقال : غيث طبق ، أي : عام واسع

(٨) بفتح الدال ، المطر الكبار القطر

(٩) أي : غير بطيء متأخر

(١٠) رواه الامام ابن ماجه بسنده ، باب ما جاء في الدعاء في الاستسقاء ٤٠٤/١

وقال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي : في الزوائد : اسناده صحيح ورجاله

ثقات .

والظاهر ان المجلة التي لا يجاب الدعاء بسببها لبست مجرد الدعاء بتعجيل
الاجابة ، كقول الداعي : " اللهم اعطني .. عاجلا غير آجل " او " اللهم
اصرفه عني عاجلا غير راث " وانما هي ذلك القول : (قد دعوت
قد دعوت - فلم أر يستجيب) او (دعوت فلم يستجب لي) فينقطع عند ذلك
عن الدعاء ويتركه كما صح بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وخاصة
عند الاستفسار عن الاستعجال : ما هو ؟

ولماذا قيد الشارع اجابة الدعاء بعدم المجلة ؟
والذي يظهر ان المجلة المقصودة في الحديث الشريف لا تكون الا لمن
يظهر البأس عن حصول الحاجة او لمن يستبطى حصولها - فينقطع عن
الدعاء ويتركه .

فأما من يظهر البأس فقد نهى الله المؤمن عن ذلك ، فانه ليس
من صفاتهم وانما هو من صفات الكافرين ، فلا يدخل قلب المؤمن أبدا .
قال تعالى : ﴿ ولا تبئسوا من روح الله ، انه لا يبئس من روح الله
الا القوم الكافرون ﴾ (١)

وأما من يستبطى حصول حاجته فقد أخبر رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) - كما سبق ذكره - ان الدعاء ليس مجرد المسألة وانما هو فوق ذلك
عبادة من العبادات الشرعية و ان الاجابة من الله تستنوع - كما سيأتي بيانها ،
ولذلك فالمؤمن لا يستبطى حصول حاجته .

٣ - ألا يلبس الحرام :

ومن شروط اجابة الدعاء التي وردت في الأحاديث الشريفة : ألا يلبس
الحرام .

كما ورد عن أبي هريرة (رضى الله عنه) (٢) قال :

(١) يوسف / ٨٧

(٢) تقدمت ترجمته

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ يا أيها الناس ، ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ، ان الله أمر المؤمن بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، اني بما تعملون عليم ﴾ (١)
وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ (٢)
ثم ذكر : الرجل يطيل السفر - أشعث أغبر (٣) - يمد يده الى السماء : يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟ ﴿ (٥)

فأشار (صلى الله عليه وسلم) بقوله (ومطعمه حرام) الى حال كبره ، وبقوله (وغذى بالحرام) الى حال صغره ، وقال (وغذى بالحرام) بمد قوله (ومطعمه حرام) تنبيهاً على استواء حاله في وصول الحرام ^{في} باطنه . وفي هذا الحديث الشريف دليل على ان الدعاء لا يستجاب وذلك لكون الداعي من صغره الى كبره مصرا على ملازمة الحرام في الطعام والشراب واللباس . ومن اللطائف في هذا الحديث الشريف - انه (صلى الله عليه وسلم) ذكر حالة من أرجى احوال اجابة الدعاء - ألا وهي حالة السفر ، وذكر بعض صفاتها وآدابها المرجوة للاجابة ، وهي : طول السفر ، والأشعث والأغبر ، ومد اليدين الى السماء ، والاخلاص لله وحده في الدعاء بقوله : يا رب ، يا رب : ومع ذلك فان دعاء ذلك الرجل لا يستجاب ، فلم ؟

(١) المؤمنون ١٧

(٢) البقرة ١٧٢

(٣) أشعث : مفرق الشعر من عدم المشط ، وأغبر : مغير الرأس من عدم الفسل

(٤) بضم الفين وتخفيف الذال المعجمة المكسورة أى : ربي بالحرام

(٥) رواه الامام مسلم بسنده ، كتاب الزكاة ١/٣ - ٥٢

ورواه الامام الترمذي بسنده وقال : هذا حديث حسن غريب باب تفسير

لأن مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، وإذا كانت ملابسة الحرام لذلك الرجل المرجو لاجابة دعائه مانعة للاجابة فبفحوى الخطاب ان غيره من الذى ليست له الاحوال والصفات والاداب المرجوة للاجابة - اولى بعدم الاجابة .

ومعنى ذلك ألا يلبس الحرام في المطعم والمشرب والملبس والغذاء
شرط من شروط اجابة الدعاء .

تنوع الاجابة

وقد يقول القائل : كيف تكون اجابة الدعاء مشروطة بتلك الشروط ، ونحن نرى بعض الداعين من المصاة المسلمين والمذنبين . او من الكافرين أو المشركين يدعون فقد نرى الاجابة ؟ وبالعكس نحن نرى بعضهم من المؤمنين المستجبين يدعون الله مستكملين الشروط والاداب ثم لا نرى الاجابة لهم ؟

وهذه الشبهة تظهر من خطأهم في تصور حقيقة الاجابة ، وهم لا يعرفون كيفية الاجابة من الله تعالى ولا يفرقون بين الاجابة وبين قضاء الحاجة ، فالاجابة شيء وقضاء الحاجة شيء آخر ، والاجابة من الله لا تختص بقضاء الحاجة فقط ، وانما هي تتنوع - كما يأتي بحثه - فليها شروط وليها آداب ، واما قضاء الحاجة فلا يشترط بأى شرط وانما هو تحت ارادته تعالى ومشيئته .

قال تعالى ﴿ قل أرأيتم ان اتاكم عذاب الله او اتكم الساعة اغير الله تدعون - ان كنتم صادقين . بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه - ان شاء وتنسون ما تشركون ﴾ (١)

ولذلك فان المشركين أو الكافرين قد يقضى الله حوائجهم ويكشف ما يدعون اليه - ان شاء ، وهذا - ليس من باب الاجابة ولكنه من باب الاستدراج والاملاء .

قال تعالى * والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ،
وأملئ لهم ان كيدى متين * (١)

وقال سبحانه * ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لا أنفسهم ،
انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين * (٢)

والاستدرج — كما قال الامام الشوكاني (٣) : " هو الاخذ بالتدريج
مثلة بعد مثلة ، والدرج : كف الشيء ، يقال : أدرجته ودرجته ، ومنه
ادراج الميت في اكفانه ، وقيل : هو من الدرجة .

فالاستدرج : ان يخطو درجة بعد درجة الى المقصود ، ومنه :
درج الصبي : اذا قارب بين خطاه ، وادراج الكتاب : طواه شيئاً بعد شيء ،
ودرج القوم : مات بعضهم في اثر بعضهم .

والمعنى : سنستدرجهم قليلاً قليلاً الى ما يهلكهم ، وذلك بادرار
التهم عليهم وانسائهم شكرها — فينهمكون في الخواصة ويستكبرون طرق
الهداية لاغترارهم بذلك ، وانه لم يحصل لهم الا بما لهم عند الله من المنزلة
والزلفة .

قوله * وأملئ لهم * معطوف على سنستدرجهم ، اي : اطيل لهم
المدة واملئهم واؤخر عنهم العقوبة " (٤)

وأما العصاة المسلمون او المذنبون فقد يجيب الله ادعيتهم تفضلاً منه
تعالى ، والله ذو الفضل العظيم ، وقد يقضى حوائجهم ويكشف ما يدعون
اليه من باب الاستدرج والاملاء .

اما المؤمنون المستجيبون الذين يدعون الله مستكملين الشروط والاداب
فان الله ليجيب ادعيتهم و لانه تعالى وعدهم بالاجابة وانه لا يخلف الميعاد .

(١) الاعراف / ١٨٢-١٨٣

(٢) آل عمران / ١٧٨

(٣) تقدمت ترجمته

(٤) فتح القدير ٢/ ٢٧١

وكيف تكون الاجابة ؟ وقد نرى ان حوائجهم لم تقض واسئلتهم لم تعط .

والجواب على ذلك : ان الدعاء - كما سبق بيانه - له اعتباران :

- اعتباره من حيث هو عبادة من المبادات

- واعتباره من حيث هو المسألة

فالاجابة من الله تعالى تابعة لهذين الاعتبارين :

- فاجابة الدعاء من حيث هو عبادة تكون بمعنى الاثابة عليه

- واجابته من حيث هو المسألة - وان / في اطاره تكون متنوعة وهي قد

تكون بشمجيلها في الدنيا ، وقد تكون بادخارها الى الآخرة .

١) فأما التمجيل في الدنيا :

- فهي اما بتحصيل عين المطلوب في الوقت المطلوب وهذا هو المتبادر في

اذهان اكثر الناس .

- واما بتحصيل غير المطلوب في الوقت المطلوب ، كدفع شربله او اعطاء خير

آخر خير من مطلوبه

- واما بتحصيل عين المطلوب في الوقت الغير المطلوب - لحكمة تقتضى تأخير

- واما بتحصيل غير المطلوب في الوقت الغير المطلوب - لحكمة تقتضى ذلك

كان يعلم سبحانه وتعالى ان المطلوب شرله في حينه وخبرله بعد حين

من الدهر ، او انه خيرله في حاضره ولكنه اكثر خيرا واعظم تحقيقا لمصلحته

في مستقبله او غير ذلك .

٢) وأما الاداء في الآخرة :

- فهي اما بتكفير الذنوب بقدر ما دعا

- واما باعطاء الثواب العظيم الذى كان الداعي احوج اليه في الآخرة اكثر من

احتياجه الى مطلوبه في الدنيا .

وذلك ما ورد عن عبادة بن الصامت ^(١) (رضي الله عنه) ، ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ما على الأرض مسلم يدعو الله

تعالى بدعوة الآتاه أباها ، أو صرف عنه من السوء مثلها — ما لم يدع بها أم أو
قطيعة رحم *

فقال رجل من القوم : إذا نكثت ، قال : الله أكثر (١)

ورود عن أبي سعيد (٢) (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه

وسلم) قال : ((ما من مسلم يدعو الله بدعوة — ليس فيها مآثم ولا قطيعة

رحم * إلا أعطاه إحدى ثلاث :

— أما أن يستجيب له دعوته

— أو يصرف عنه من السوء مثلها

— أو يدخر له من الأجر مثلها

قالوا : يا رسول الله إذا نكثت * قال : الله أكثر (٣)

حكمة تنوع الأجابة

إن الإنسان — في الحقيقة — جاهل بما ينفعه وما يضره ، فقد يدعو

ويطلب تحقيق مصلحة يراها من وجهة نظره ، خيرا له كل الخير ولكنها — في

الواقع — شر له ، وقد يدعو ويطلب الابتعاد عن شر يراه هو من وجهة نظره

شرا له كل الشر ولكنها — في الواقع — خير له *

قال تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا

شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (٤)

(٥) وقال سبحانه : ﴿ فمضى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾

(١) تقدم تخريجه قريبا * رواه الترمذي وقال : حسن غريب صحيح ٢٤/١٠

(٢) تقدمت ترجمته

(٣) تقدم تخريجه قريبا رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي ٤٩٣/١

(٤) البقرة / ٢١٦

(٥) النساء / ١٩

وهذا الانسان — مهما كان حذرا — لا يعلم ابدا ما يكسبه ضمير المستقبل وما يستر عنه عالم الغيب * لا يعلم حتى ما يحدث له في حاضره من اسراره فلا يدري من امره كل شيء * ، ولا يأمن على نفسه ، بل انه بجهد ما هو صالح له وما هو اكثر خيرا وتحقيقا لمصلحته ، ولا يعرف ان الضرر قد يأتيه من ما منه ، فهو لا يعلم ابدا ان دعاءه ومطلوبه هو محصل الخير له ، وما اكثر ما يرغب الانسان في شيء ويحرص عليه حتى اذا اتاه وعاش به وتكشفت له حقيقته ونتائجه سأل الله ان يصرفه عنه * .

قال تعالى * ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا * (١)
قال الامام الفخر الرازي (٢) : " يحتمل ان يكون المراد — ان الانسان قد يبالغ في الدعاء طلبا لشيء يعتقد ان خيره فيه ، مع ان ذلك الشيء يكون ملبس شره وشره ، وهو يبالغ في طلبه لجعله بحال ذلك الشيء وانما يقدم على مثل هذا العمل لكونه عجولا مغترا بظواهر الامور غير متفحص عن حقائقها واسرارها " (٣)

ومن أجل ان الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده واسع الرحمة لهم ، كان — بازادته ومشيئته — لا يعطي الداعي مطلوبه كلما سأل ، بل يتدخل في اجابته بما هو يصلح او يصلح لعباده حسب علمه تعالى ، والله هو السميع العليم * .

قال سبحانه * ولو يعجل الله للناس الشراستعجلهم بالخير لقضى اليهم أجلهم * . . . * (٤)

ولذلك فان دعاء العبد ربه بما يعلم — سبحانه وتعالى — انه خير له في الدنيا والاخرة اجاب الله دعاءه واعطاه ما سأل وقضى حاجته في وقت طلبه * .

(١) الاسراء / ١١

(٢) تقدمت ترجمته

(٣) مفاتيح الغيب ١٦٢ / ٢٠

(٤) يونس / ١٠

وإذا علم سبحانه أنه شر له في الدنيا والآخرة أو في أحداها أو أنه ليس هو خيرا ، أجاب الله - من فضله وكرمه - دعاءه • ولكن على وجهه الذي ينفعه من إعطاء خير بدله أو خيرا آخر خير من مطلوبه أو دفع شر بدله - إذا كان هناك شر نزل عليه •

وقد يؤخر الله - سبحانه - ما سأله عبده لوقته المقدر - من فترة زمنية قصرت أو طالت - ليس عن نقص في خزائنه ولا عن بخل وتقتير ولا عن فقر وافتقار ، كما يفترى اليهود (عليهم لعائن الله) - حاشاه •

قال تعالى ﴿ وقالت اليهود : يد الله مغلولة غفلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ • (١)

وانما ذلك التأخير لحكم جليلة بالنية تقتضي ذلك ، كأن يعلم سبحانه أن ذلك المطلوب ليس خيرا له في حاضره ولكنه خير له في مستقبله - وأنه خير له في حينه ولكنه أكثر خيرا وأعظم تحقيقا لمصلحته بعد حين من الدهر أو غير ذلك •

وقد يتأخر سبحانه أجابة الدعاء في الآخرة - رحمة بذنوب سبق أو لطفًا بقدر مسبق ، فيكفر عنه من الذنوب بقدر ما دعا أو يعطي من الثواب العظيم أضعاف مضاعفة ، والله بضاعف لمن يشاء ، وهذا لأنه سبحانه يعلم أن الداعي يحتاج إلى تكفير الذنوب أو الثواب العظيم في الآخرة أكثر من احتياجه إلى مطلوبه في الدنيا •

وعلى هذا - فليكن الداعي راضيا بما يحدث له وليكثر من الدعاء بالليل والنهار وفي كل حين وليأخذ هذه الفرصة الذهبية من الدعاء وليتيقن بأن الله قد أجابه ، ووضح أجابته بالموضع الذي هو خير له في الدنيا والآخرة جميعا ، فما كان الله ليضيع دعاء من يدعو أو ليضاره بما دعاه • بل هو أكثر أجابة من دعائكم الكثير ، كما ورد على أنسنة الصحابة (رضي الله عنهم) : إذا نكث ، وأجابهم لهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) : الله أكثر •

ولذلك قال عمر بن الخطاب (١) (رضي الله عنه) : " انسى
لا أحمل هم الاجابة ، وانما احمل هم الدعاء ، فاذا ألهمت الدعاء
فالاجابة معه " (٢)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) نقله الامام الطحاوي في الحقيقة الطحاوية ص ٥٢١
ونقله الشيخ سليمان في تفسير المزير الحميد ص ٢١٩

الفصل المختار

..في بيده..

- ارجى الحالات للإجابة .
- ارجى الأوقات للإجابة .
- ارجى الوسائل للإجابة .
- ارجى المواضع للإجابة .

الفصل الخامس

أرجى الأمور لاجابة الدعاء من الحالات والأوقات

والوسائل ونحوها

أرجى الأمور لاجابة الدعاء

عرفنا - مما سبق - ان الدعاء امر ولاجابة وعد ، وان الدعاء ليس مجرد المسألة وإنما هو - فوق ذلك - عبادة من العبادات ، ان الاجابة باعتبار ان الدعاء هو العبادة تكون بالاثابة عليه ، واعتباره هو المسألة - وان تم في اطاره - تكون متنوعة . وقد سبق الكلام في الفصل الرابع .
وهناك امور وردت عن الشارع انها ارجى للاجابة من غيرها فمنها :
الحالات ومنها : الاوقات ، ومنها : الوسائل .

اولا - ارجى حالات الاجابة

وقد تقدم ان الله امر عباده بالدعاء ووعدهم بالاجابة ، وان الدعاء مشروع ومندوب اليه في كل حالة من الحالات وان الاجابة من الله مع كل دعاء في اى حالة من الحالات .

وهناك حالات ارجى للاجابة من غيرها .

(١) حالة السجود :

فمن الحالات التي وردت عن الشارع انها ارجى للاجابة من غيرها : حالة السجود ، كما قال الامام الغزالي (١) : " حالة السجود تجب أجدر بالاجابة " (٢)

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) احياء علوم الدين ، الباب الثاني في آداب الدعاء ٣٣/٥

وذلك ما ورد عن ابي هريرة (١) (رضي الله عنه) ان رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) قال : ((اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
فاكثروا الدعاء)) (٢)

وكيف لا يكون السجود محل اقرب ما يكون العبد من ربه ، لأن العبد
الساجد يكون — في سجوده — على غاية التذلل والتضرع والاستكانة والاعتراف
بحبودية نفسه والوهية خالقه وزبوبيته ، وذلك بوضع اشرف اعضاءه وهو الوجه
على الارض موضع قدميه ، وان السجود سر العبودية وهو يقع من المخلوقات
كلها علو يراها وسفليها .

قال تعالى * ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم
بالغدو والاصال * (٣)

وقال سبحانه * ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة
والملائكة — وهم لا يستكبرون * (٤)

وقال عز وجل * ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن
في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير
حق عليه العذاب ، ومن يهن الله فما له من مكرم — ان الله
يفعل ما يشاء * (٥)

ولهذا — فمن دعا ربه في سجوده واكثر في الدعاء واجتهد
كان أجدر ان يستجيب الله دعاءه وأحق ان يقبله ويمطيه
ما سأله .

(١) تقدمت ترجمته

(٢) تقدم تخريجه — رواه مسلم وابوداود والنسائي واحمد والبيهقي وصححه ابن حبان

(٣) الرعد / ١٥

(٤) النحل / ٤٩

(٥) الحج / ١٨

وورد عن ابن عباس (١) (رضى الله عنهما) قال : ((كشف رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) الستارة (وفي رواية : السترة) والناس صفوف خلف
أبي بكر (١) (رضى الله عنه) (وزاد في رواية : ورأسه محصوب (٢) في مرضه
الذى مات فيه) فقال :

أيها الناس (وزاد في رواية : اللهم / بلغني - ثلاث مرات) ((انه لم يبق
من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له (٣)

لألا واني نهيت ان اقرأ القرآن راكعا او ساجدا ، فأما الركوع
فحفظوا فيه الرب عز وجل ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن ان يستجاب
لكم)) (٤)

وفي هذا الحديث الشريف دليل صريح على ان الدعاء في حالة السجود
أرجى للإجابة لقوله ((وأما السجود - فاجتهدوا في الدعاء - فقمن ان يستجاب
لكم)) وفي الحديث الشريف قبله دليل آخر على ذلك لقوله ((اقرب ما يكون
العبد من ربه وهو ساجد)) .

وان الامر بالاكتثار من الدعاء والاجتهاد في تحصيله حالة السجود
لدليل ثالث على ان حالة السجود أرجى للإجابة ، لأن الرسول (صلى الله
عليه وسلم) لا يأمر امته بالاكتثار والاجتهاد بشيء الا ^{اذ كان} ذلك الشيء أنفع
لهم . وان الاكتثار والاجتهاد يشملان على الاكتثار وتكرار الطلب الواحد بمرات
عديدة واجتهاد اعادة السؤال لحاجة واحدة ، ويشملان على اكتثار الطلبات
المتنوعة واجتهاد السؤال لحوائج كثيرة ، وهذا في السجدة الواحدة وفي
السجدة المتعددة .

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) أى : مشدود بالمصابة من عامة او منديل او خرقة

(٣) أى : رآها غيره له

(٤) تقدم تخرجه - رواه مسلم وابوداود والنسائي والبيهقي

قال الامام الصنعاني (١) : " والحديث دليل على مشروعية الدعاء
حال السجود بأى دعاء كان - من طلب خبرى الدنيا والاخرة ، والاستعاذة
من شرهما ، وانه محل الاجابة " (٢)
ولذلك فعلينا ان نختتم حالة السجود بالاكتثار من الدعاء والاجتهاد
في تحصيله ، وخاصة الدعوات الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ذلك
وقد ذكرت جملة منها في مبحث الدعوات في السجود من الفصل الثاني .

(٢) - حالة الاضطراب :

وحالة الاضطراب ارجى حالات الاجابة ، والاضطراب : افتعال من الضرورة ،
والضرورة - كما قال الامام الزمخشري (١) : " الحالة المحوجة الى
اللجأ " (٣)

قال تعالى * أمن يجب المضطرا اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم
خلفاء الارض ، أله مع الله - قليلا ما تذكرون * (٤)
وقد استفهم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريم " من "
ويكون جوابه باسمه الخاص او بوصفه المحين ، والمعنى : من هو الذى
لا يجب المضطرا اذا دعاه الا هو ، ولا يكشف السوء سواه ؟ فيكون الجواب :
الله ، أو الاله الذى لا اله الا هو ، وقد نبه سبحانه على ذلك بقوله
تعالى * أله مع الله * .

والاستفهام - هنا - للتعظيم ، لأن المراد به تمظيمه سبحانه
فان الامر في اجابة الدعاء حالة الاضطراب مرجعه اليه وحده ، والا لمرفي كشف
السوء منوط بمشيتته وارادته فقط .

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) سبل السلام ، باب صفة الصلاة ٢٣٦/١

(٣) الكشاف ، تفسير سورة النمل ٣٧٦/٣

(٤) النمل ٦٢

والمضطّر — في الآية الكريمة — اسم مفعول من الاضطّار ، وهو كما فسرّه
الامام الزمخشري (١) : " الذي أحوجّه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل
الدهر الى اللجأ والتضرع الى الله " (٢)

وقال الامام الألوّسى (١) : " هو الذي أحوجّه شدة من الشدائد
وألجأته الى اللجأ والضراعة " (٣)

وقال الامام الشوكاني (١) : " هو المكروب الذي لا حول له
ولا قوة " (٤)

ومعنى ذلك ان المضطّر هو : كل من ضاق به الأمر الذي فقدت
منه الأسباب العادية وعجزت عنه الطاقة البشرية ، وهو يشمل
المريض الذي يرجو المافية ، والفقير الذي يأمل الفنى والمظلوم الذي
يطلب النصر ، والمسافر الذي يسأل السلامة ، والمذنب الذي يطلب
المغفرة ، والخائف الذي يسأل الأمان ، والمحبوس الذي يطلب الخلاص
والمكروب الذي يسأل النجاة وغير ذلك .

وقد اختلف العلماء في التحريف بالالف واللام في قوله تعالى :

﴿ المضطّر ﴾ .

فقال الامام الزمخشري (١) : " وأما المضطّر فمتناول للجنس
مطلقا — يصلح لكله ولبعضه : فلا طريق للجزم على أحدهما
الا بدليل ، وقد قام الدليل على البمض — وهو الذي اجابته مصلحة ، فيبطل
التناول على الحمم " (٥)

(١) تقدمت تراجمهم

(٢) الكشف ٣٧٦/٣

(٣) ربح المعاني ٦/٢٠

(٤) فتح القدير ١٤٦/٤

(٥) الكشف ٣٧٧/٣

وقال الامام الفخر الرازي (١) : " ان المفرد المعروف لا يفيد العموم ،
وانما يفيد الماهية فقط ، والحكم المثبت للماهية يكفي في صدقه ثبوته
في فرد واحد من افراد الماهية " (٢)

وقال الامام الطوسي (١) : " التعريف للعهد — لأن سياق الكلام
في المشركين ، يدل عليه الخطاب بقوله تعالى ﴿ ويجعلهم خلفاء ﴾ والمراد :
التنبيه على انهم قد اضطرابهم في نوازل الدهر وخطوب الزمان كانوا يلجأون
الى الله دون الشركاء والاصنام ، ويدل على التنبيه قوله تعالى : ﴿ أأله
مع الله — قليلا ما تذكرن ﴾ (٣)

وقال الامام الالوسي (١) : " ولعل الاولى الحمل على الجنس والتقييد
بالمشيئة ، وهو سبحانه لا يشأ الا ما تقتضيه الحكمة " (٤)

وقال الامام الشوكاني (١) : " والسلام في المضطر للجنس لا للاستغراق
فقد لا يجاب دعاء بعض المضطرين لمانع يمنع من ذلك بسبب يحدثه العبد
بحول بينه وبين اجابة دعائه " (٥)

والأظهر ان الالف واللام في قوله تعالى ﴿ المضطر ﴾ للاستغراق
وتكون لاستغراق جميع افراد الحقيقة ولاستغراق جميع خصائصها .

وقد قال الامام الزمخشري (١) : " فان قلت : قد عم المضطر بن
بقوله ﴿ يجيب المضطر اذا دعاه ﴾ وكمن مضطر بدعوه فلا يجاب ؟ " (٦)
وأجاب : " الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة
ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة " (٦)

(١) تقدمت تراجمهم

(٢) مفاتيح الشب ٢٠٨/٢٤

(٣) نقله الامام الالوسي في روح المعاني ٦/٢٠

(٤) روح المعاني ٧/٢٠

(٥) فتح القدير ١٤٦/٤

(٦) الكشف ٣٧٦/٣

والذى يظهر لمن اجابة المضطر مشروطة بالاخلاص لا بالمصلحة ،
وذلك لقوله تعالى ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ﴾ اي : اذا اخلص له في
الدعاء . وقول الزمخشري : " لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة " -
غير مسلم ، فان الاخلاص لله في الدعاء الذى هو شرط اساسى في اجابته
ورد صريحا في الاسلوب القرآنى الكريم وهو قوله تعالى ﴿ اذا دعاه ﴾ وقوله
" الاجابة موقوفة على ان يكون المدعوه مصلحة " مبنى على عقيدته
الاجابة التي اوجبت على الله تعالى رعاية المصالح ، وليس على النص
القرآنى .

وأما تقبيد الامام الألوسى الاجابة بالمشيئة فقد سبق بانه ان
التقبيد بالمشيئة يكون في قضاء الحاجة ، وليس في الاجابة - لأن سياق
الآية الكريمة التي وردت بذلك في المشركين والله لا يجيبهم ولكنه قد
بقي حوائجهم اذا شاء وانه تعالى يقول ﴿ فيكشف ما تدعون اليه - ان
شاء ﴾ (١) ولا يقول (فيجيب ما تدعون اليه - ان شاء) .

فالكشف وحصول الحاجة امر متفق للمؤمنين والمشركين ، فحصولها
للمؤمنين من باب الاجابة ، وحصولها للمشركين من باب الاستدراج والاملاء .
ومن اللطائف في هذه الآية الكريمة ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ﴾
انه تعالى خص ذكر حالة الاضطرار بالاجابة مع انه تعالى يجيب دعوة الداعي
في كل حالة من الحالات ، فان حالة الاضطرار الحاصلة للداعي الذى اخلص له
تعالى في الدعاء - تحمله على الاستمرار في ذلك ، ومن دعا ربه مخلصا له
حالة الاضطرار واستمر بمرورها على ذلك فهو حقيق ان يجيب الله دعاه .
وقد بين الله هذا النوع من المضطرين ، وقال : ﴿ ألم تر أن الفلك
تجرى في البحر بنعمة الله - لبريكم من آياته ، ان في ذلك لآيات

لكل صبار شكور ، وإذا غشبيهم موج كالظلل (١) دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر ، فمضهم مقتصد ، وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور * (٣)

والمقتصد - كما قال الامام الشوكاني (٤) : " اي - موف بما عاهد عليه الله في البحر من اخلاص الدين له - باق على ذلك بعد ان نجاه الله من هول البحر واخرجه الى البر سالما " (٥)

ومعنى ذلك ان حالة الاضطراب من أرجى حالات الاجابة .
قال الامام سهل بن عبدالله (٦) : " اقرب الدعاء الى الاجابة دعاء الحال ، ودعاء الحال ان يكون صاحبه مضطرا لا بد له مما يدعـو
لاجله " (٧)

(١) اي : الجبال

(٢) اي : خذار

(٣) لقمان / ٣٢

(٤) تقدمت ترجمته

(٥) فتح القدير : تفسير سورة لقمان ٢٤٥/٤

(٦) هو الامام ابو محمد سهل بن عبدالله بن يونس التستري (بضم التاء الاولى واسكان السين بعدها تاء ثانية مفتوحة ثم راء - نسبة الى تستر : بلدة من كور الاهواز من خوزستان) أحد أئمة الصوفية ، ولد سنة ٢٠٠ هـ وسكن البصرة زمنا وعاد ان مدة ، وكان يتكلم في علوم الاخلاص ورضيات وعيوب الافعال وله مؤلفات ، ومنهها : رقائق المحبين ، وتوفي سنة ٢٨٣ هـ .

(٧) فقله الامام ابو القاسم القشيري في (الرسالة القشيرية ، باب الدعاء ص ١٤١

الدعاء يظهر
(٣) - حالة الغيب :

الدعاء يظهر

ومن ارجى حالات الاجابة - حالة الغيب وهي حالة لا يكون المدعو

له امام للداعي .

وذلك ما ورد عن ابي الدرداء (١) (رضي الله عنه) انه

سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : ((من دعا (وفي رواية : ما من

عبد مسلم يدعو) لاخيه يظهر الغيب - قال الملك الموكل به : آمين ولك

بمثل)) (٢)

وعن صفوان (٣) - وهو ابن عبد الله بن صفوان قال : ((قدمت الشام

فاتيت ابا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء (٤) .

فقلت : اتريد الحج - المام ، فقلت : نعم

قالت : فادع الله لنا بخير ، فان^{سول} الله (صلى الله عليه وسلم) كان

(١) هو الصحابي الجليل عويمر بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن

كعب بن الخزرج الانصاري ، أسلم يوم بدر وشهد أحدا وأبلى فيها

وكان تاجرا قبل البعثة فزاول بعد ذلك التجارة والعبادة ثم آثر

العبادة وتوفي سنة ٣٢ هـ .

(٢) رواه الامام مسلم بسنده ، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهور الغيب ٥٧٧/٥

ورواه الامام ابوداود بسنده ، باب الدعاء بظهور الغيب ٣٩٣/٤

(٣) هو التابعي صفوان بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي

المكي القرشي ، وكان زوج الدرداء بنت ابي الدرداء وكان قليل الحديث

وهو ثقة .

(٤) هي أم الدرداء الصغرى التابعة هجيمة بنت جبي الاصابية الدمشقية وهي

زوج ابي الدرداء وكانت من المائدات وتوفيت بعد سنة ٨١ هـ وأما أم الدرداء

الكبرى فهي صحابية اسمها خيرة بنت ابي حذرة .

يقول : " دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب - مستجابة ، عند رأسه ملك موكل - كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل " (١)

قال : فخرجت الى السوق فلقبت أبا الدرداء فقال لي : مثل ذلك - برويه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) (((٢) ومن هذا الحديث الشريف والحديث الذي قبله عرفنا ان اجابة الدعاء وتأمين الملائكة بأتبان حالة الدعاء بظهر الغيب ، ومعنى ذلك ان حالة الدعاء بظهر الغيب من ارجى حالات الاجابة ، وخاصة حالة الغيب في السفر لأداء فريضة الحج - كما هو صريح في حديث صفوان المذكور . وكذلك حالة الغيب في السفر لأداء العمرة .

كما ورد ذلك عن عمر بن الخطاب (٣) (رضي الله عنه) قال : ((" استأذنت النبي (صلى الله عليه وسلم) في العمرة ، فأذن لى وقال : لا تنسنا يا أخى من دعائك (وفي رواية لأبي داود : أشركنا يا أخى في دعائك) وفي رواية الترمذى : أى أخى (٤) أشركنا في دعائك ولا تنسنا (٥)))

(١) بكسر الميم واسكان الثاء ، وقال القاضى : ورويناه بفتحها ايضا
(٢) رواه الامام مسلم بسنده باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب ٥٥٧/٥ - ٥٧٨
ورواه الامام ابن ماجه بسنده ، باب فضل الدعاء الحاج ١٦٦/٢ - ١٦٧
(٣) تقدمت ترجمته

(٤) بصيغة التصغير ، وهو تصغير تल्प وتعلطف لا تحقير
(٥) رواه الامام الترمذى بسنده وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ابواب الدعوات ٧/١٠
ورواه الامام ابن ماجه باب فضل دعاء الحاج ١٦٦/٢

ولذلك فينبغي لنا ان نختتم فرصة الاجابة وثامين الملائكة بالدعاء للإخ المسلم بظهير الغيب .

قال الامام النووي (١) : " كان بعض السلف اذا اراد ان يدعو لنفسه يدعو لآخيه المسلم بتلك الدعوة لانها تستجاب ويحصل له مثلها " (٢)
ويحصل لنا الدعاء بظهير الغيب بأن ندعو لفرد واحد من اخواننا المسلمين - كما هو الظاهر من قوله (صلى الله عليه وسلم) : ((لا أخيه)) والنون في قوله ((اشركنا)) أو ((لا تنسنا)) للعظمة . اوبان ندعو لجماعة منهم اولجملتهم لاحتمال ان يكون النون للمتكلم مع الغير . والمراد منه : " نحن وأتباعنا " .

وقد جاء ذلك في الدعوات القرآنية .

قال تعالى * والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم * (٣)

وقال سبحانه : * واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات * (٤)

وقال عز وجل اخبارا عن دعاء ابراهيم (عليه السلام) : * ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب * (٥)

وقال جل ثناؤه اخبارا عن دعاء نوح (عليه السلام) : * رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين وللمؤمنات * (٦)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) شرح مسلم باب فضل الدعاء للمسلمين بظهير الغيب ٥٧٧/٥

(٣) الحشر / ١٠

(٤) محمد / ١٩

(٥) ابراهيم / ٤١

(٦) نوح / ٢٨

حالة الظالم (٤) الحالة المظلومة :

حالة الظالم

ومن ارجى حالات الاجابة - الحالة المظلومة .

وقد نهانا الاسلام عن الظلم من جميع انواعه ، وحذرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من دعوة المظلوم ، فانه ليس بينها وبين الله حجاب يحجبها عن الاجابة .

وذلك لما ورد عن ابن عباس (١) (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ بن جبل (١) (رضي الله عنه) حين بعثه الى اليمن : ((..... وافق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب)) (٢)

وورد عن ابي هريرة (١) (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده (وفي رواية ابن ماجه : لولده)) (٣)

ومعنى ذلك ان دعوة المظلوم على من ظلمه مستجابة لا شك فيها فانه ليس بينها وبين الله حجاب ، واذا دعا المظلوم على الظالم ولم ير الاجابة فلا يفرح به . ان الله يهمله ويغفل عنه .

قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾ (٤)

(١) تقدمت تراجمهم

(٢) رواه الامام البخارى بسنده باب اخذ الصدقة من الاغنياء ١٠٢ / ٤

(٣) رواه الامام الترمذى بسنده وقال : هذا حديث حسن

باب ما ذكر في دعوة المسافر ٤٠٧ / ٩

ورواه الامام ابو داود بسنده باب الدعاء بظهير الغيب ٣٩٥ / ٤

ورواه الامام ابن ماجه بسنده باب دعوة الوالد الخ ١٢٧٠ / ٢

(٤) ابراهيم / ٤٢

بل الله يسهل الظالم ويؤجله لحل يرجع عن الظلم والذنوب
الى التوبة وارضاء المظلوم ، وهو سبحانه يملئ للظالم ويستدرجه حتى
لا يبقى له عذر ، وحتى اذا اخذه لم يفلته .
وفي التاريخ من سقوط عروش الظالمين ومن مصارعهم وما حل بهم
من نكبات ومفاجآت - عبرة لمن يريد المظنة والتفكير البعيد .
ولذلك فعلينا ألا نعلم احدا ، واذا كنا في الحالة المظلومية ، فلا
ننسى ايضا ان نغتنم هذه الفرصة بأن ندعو لنا وللمن يمهتنا وينصرنا او
يسلطنا ويهون علينا ، لأن هذه الحالة من ارجى حالات الاجابة .

(٥) - حالة السفر :

ومن ارجى حالات الاجابة - حالة السفر .
ومما يدل على ذلك حديث ابي هريرة (رضى الله عنه) السالف
ذكره مرفوعا : ((ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ،
ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده (وفي رواية : لولده))) (١)
وقد ذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في معرض البيان حالة
من ارجى حالات الاجابة ، وهي : حالة السفر ، وذكر بعض صفاتها وآدابها
المرجوة للاجابة وهي طول السفر ، والاشعث الاغبر ، ومد اليدين الى السماء ،
والاخلاص لله وحده في الدعاء ، وذكر ايضا بعض شروط الاجابة وهو ألا
يلابس الحرام في الطعام والشراب واللباس .
وذلك ما ورد عن ابي هريرة (رضى الله عنه) قال قال رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) : ((أيها الناس ، ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ،
ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين .

(١) تقدم تخريجه قريبا - رواه الترمذى وحسنه ، ورواه ابو داود وابن ماجه .

فقال : * يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وعلوا صالحا ، انى بماتعملون عليهم (١)

وقال : * يا أيها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم . . . (٢) *

ثم ذكر : الرجل يطيل السفر - أشعث أغبر (٣) يمد يديه الى

السماء : يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغذى بالحرام - فانى يستجاب لذلك ؟ (((٥)

ومعنى ذلك ان حالة السفر من أرجى حالات الاجابة ، وخاصة

اذا كان السفر لأداء الحج او العمرة - كما تقدم في مبحث حالة الغيب .

(٦) - الحالة الوالدية :

ومن أرجى حالات الاجابة ايضا - الحالة الوالدية .

وذلك لحديث ابي هريرة (رضى الله عنه) السالف ذكره مرفوعا :

((ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ودعوة

الوالد على ولده (وفي رواية ابن ماجه : لولده) (((٦)

وكيف ذكر الوالد فقط ولم يذكر الوالدة - مع ان ما تقاسيه الوالدة

من تعب الحمل والولادة والرضاع والتربية فوق ما يقاسيه الوالد من تحصيل مؤنته

وكسوته .

وقد قال الله تعالى * ووصينا الانسان بوالديه - حملته امه وهنا على وهن

وفصاله في عامين - ان اشكر لي ولوالديك ، الى المصير * (٧)

(١) المؤمنون ٥١

(٢) البقرة ١٧٢

(٣) أشعث : مفرق الشعر من عدم المشط ، وأغبر : مخبر الرأس من عدم الغسل .

(٤) اشارة الى حال هجره

(٥) تقدم تخريجه : رواه مسلم والترمذى

(٦) تقدم تخريجه قريبا .

(٧) لقمان ١٤

وهذه الابهة الكريمة اوقعت * حملته امه وهنا على وهن وفصاله في
عامين * بين المفسر * ان اشكر لي ولوالديك * وبين المفسر * ووصينا
الانسان بوالديه * وهذا - ان دل على شيء فانما يدل على التوكيد في
الوصية في حقها خصوصا في حق الوالدة - لما تكابد من مشاق الحمل والولادة
والرضاع والتربية * ولذلك فدعائها احق بالاجابة *
قال الامام على القاري (١) : " ولم يذكر الوالدة ، لأن حقها اكثر
فدعائها أولى بالاجابة " (٢)
ومعنى ذلك ان الحالة الوالدية من ارجى حالات الاجابة وبدخل
فيها الوالد والوالدة *

ثانيا - ارجى اوقات الاجابة

وقد تقدم ان الدعاء مشروع ومندوب اليه في كل وقت من الاوقات
وان اجابته لا تختص بوقت دون وقت ، ومع ذلك فان هناك اوقاتا
ارجى للاجابة من غيرها ، وقد ذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تلك
الاقوات لأن يترصدها الداعي لدعواته *

١ - ما بين الاذان والاقامة :

فمن ارجى اوقات الاجابة : ما بين الاذان والاقامة *
وذلك ما ورد عن انس بن مالك (١) (رضى الله عنه) قال :

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) مرقاة المفاتيح ، كتاب الدعوات ٦٤٣/٢

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة)) (١)

وفي رواية عنه • قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((الدعاء بين الأذان والاقامة يستجاب — فادعوا)) (٢)

ولفظ (الدعاء) الذي ورد في حديث انس المذكور شامل لكل دعاء ولائى حاجة ، وخاصة دعاء العافية •

وقد ورد في رواية للإمام الترمذى (٣) عن انس بن مالك (رضى الله عنه)

قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة •

قالوا : فماذا نقول يا رسول الله ؟ قال : سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة)) (٤)

والظاهر من قوله (صلى الله عليه وسلم) : ((بين الأذان والاقامة))

هو كل الساعات من الأذان الى الاقامة ، وخاصة بعد الانتهاء من متابعة الأذان •

(١) رواه الامام الترمذى بسنده ، وقال : حديث انس حديث حسن صحيح و

باب ما جاء في ان الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة ٦٢٥ / ١

ورواه الامام ابو داود بسنده ، باب في الدعاء بين الأذان والاقامة ٢٢٤ / ٢

ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب الدعاء بين الأذان والاقامة ٤١٠ / ١

(٢) رواه الامام ابن حبان بسنده • استحباب الاكثار من الدعاء بين الأذان والاقامة ١٥٣ / ٣

(٣) تقدمت ترجمته

(٤) رواه الامام الترمذى بسنده وقال : هذا حديث حسن ، باب اى الكلام أحب الى الله ٥٣ / ١٠

وذلك ما ورد عن ابن عمر (١) (رضي الله عنه) ، ((ان رجلا قال
يا رسول الله ، اني المؤمن ذنبن يَفْضُلُونَا . (٢)
فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : قل كما يقولون ، فاذا انتهيت
فسل تحطه)) (٣)
والذى يسد ومن هذا الحديث الشريف ان الدعاء مأمور بعد الانتهاء
من متابعة الاذان مباشرة ولكن ورد في الحديث الاخر ان رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) أمر بمتابعة الاذان ، ثم امر بالصلاة عليه ، ثم امر بسؤال
الوسيلة له .

وذلك ما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص (٤) (رضي الله عنهما) ،
انه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : ((اذا سمعتم المؤمن فقولوا
مثل ما يقول ، ثم صلوا على - فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه عشرا ،

(١) تقدمت ترجمته

(٢) قال الامام ابو الطيب في عون المعبود : " يفتح الياء وضم الضاد ،
اي : يحصل لهم فضل ومزية علينا في الثواب بسبب الاذان ،
والظاهر : انه خبر ، يحتمل : فما تأمرنا به من عمل نلحقهم بسببه "
٢٢٧/٢

(٣) رواه الامام ابوداود بسنده . باب ما يقول اذا سمع المؤمن ٢٢٧/٢

ورواه الامام ابن حبان بسنده . باب رجاء استجابة الدعاء الخ ١٥٢/٣

ورواه الامام البيهقي بسنده . باب الدعاء بين الاذان والاقامة ٤١٠/١

(٤) هو المحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد
ابن سهم القرشي السهمي ، ولد لعمرو : عبد الله - وهو ابن اثنى عشرة
سنة ، أسلم قبل أبيه ، وكان فاضلا حافظا عالما ، قرأ القرآن والكتب المتقدمة
واستأذن النبي (صلى الله عليه وسلم) في ان يكتب حديثه فأذن له ، توفي
سنة ٦٣ هـ وهو ابن ٧٢ سنة .

ثم سلوا الله إلى الوسيلة — فانها منزلة في الجنة ، لا تنبغى إلا لعباد
من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله إلى الوسيلة — حصلت
له الشفاعة)) (١)

ومن هذا الحديث وحديث ابن عمر السلف ذكره نحمل أن الأمر
بالدعاء المطلق هو بعد متابعة الأذان والصلاة على النبي (صلى الله
عليه وسلم) وسؤال الوسيلة له (صلى الله عليه وسلم) ، فما أحسن هذه
الكيفية ، وما أجل هذا الأدب ، لأن الدعاء وقع بعد الثناء على الله
والشهادة والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) وسؤال الوسيلة له .
ومعنى ذلك أن الدعاء بين الأذان والإقامة من أرقى الأوقات للإجابة
وخاصة أن وقع الدعاء بهذه الكيفية .

وأما سؤال الوسيلة فهو ما ورد عن جابر بن عبد الله (٢) (رضى
اللع عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((من قال
حين يسمع النداء : " اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت
محمدًا الوسيلة والفضيلة (٣) ، وابعثه مقامًا محمودًا) وفي رواية : المقام المحمود)
الذى وعدته (وزاد في رواية البيهقي : انك لا تخلف الميعاد ") —

(١) رواه الامام مسلم بسنده ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن ١٢/٢
ورواه الامام ابوداود بسنده ، باب ما يقول اذا سمع المؤذن ٢٢٥/٢
ورواه الامام النسائي بسنده ، باب الصلاة على النبي بعد الأذان ٢٥/٢
ورواه الامام ابن حبان بسنده ١٥٠٦٣

ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب ما يقول اذا فرغ من ذلك ٤١٠/٣
(٢) تقدمت ترجمته

(٣) وقد اشتهر على الألسنة زيادة (والدرجة الرفيعة) في هذا الموضع من هذا
الدعاء ، وقال الامام علي القاري : " وأما زيادة (والدرجة الرفيعة) المشتهرة
على الألسنة — فقال السخاوي : لم أره في شيء من الروايات " (مرآة المفاتيح
٤٢٥/١) .

الا حلت له الشفاعة يوم القيامة)) (١)

٢ - دبر الصلوات المكتوبة :

ومن أرجى اوقات الاجابة : دبر الصلوات المكتوبة .
وذلك ما ورد عن أبي امامة (٢) (رضي الله عنه) قال : ((قيل :
يا رسول الله ، أى الدعاء أسمع ؟
فقال : جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبة)) (٣)
وفي هذا الحديث الشريف دليل على ان الدعاء دبر الصلوات المكتوبة
أسمع ومعنى ذلك ان خلف الصلوات المكتوبة من أرجى اوقات الاجابة .
وقد عمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذلك وأرشد أمته
اليه واهتم به اصحابه (رضي الله عنهم) .

-
- (١) رواه الامام البخارى بسنده ، باب الدعاء عند النداء ٢٣٤/٢
ورواه الامام الترمذى بسنده ، وقال حديث جابر حديث صحيح حسن غريب
كتاب الصلاة ٦٢٢/١
ورواه الامام ابو داود بسنده ، باب ما جاء في الدعاء عند الاذان ٢٣١/٢
ورواه الامام النسائى بسنده ، باب الدعاء عند الاذان ٢٧/٢
ورواه الامام ابن ماجه بسنده ، باب ما يقال اذا أذن المؤذن ٢٣٩/١
ورواه الامام ابن حبان بسنده ، باب ايجاب الشفاعة الخ ١٤٨/٣
ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب ما يقول اذا فرغ من ذلك ٤١٠/٣
(٢) هو الصحابي الجليل ابو امامة صدى بن عجلان الباهلى وكان من المكثرين في
الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وسكن مصر ، ثم انتقل
منها الى حمص فسكنها ، وتوفي بها سنة ٨١ هـ .
(٣) رواه الامام الترمذى بسنده ، وقال : هذا حديث حسن ، ابواب
الدعاء ٤٧١/٩

وكان سعد بن أبي وقاص (١) (رضي الله عنه) يعلم بنيهِ -
هو لاء الكلمات كما يعلم المعلم الخلمان الكتابة ، ويقول : ((ان رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) كان يتعوذ منهم دبر الصلاة : اللهم اني اعوذ بك من
الجبن (وزاد في رواية الترمذى : وأعوذ بك من البخل) وأعوذ بك من أن أُرَد
الى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر)) (٢)
وورد عن معاذ بن جبل (٣) (رضي الله عنه) : ((ان رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) اخذ بيده وقال : يا معاذ - والله - انى لأحبك
فقال : اوصيك - يا معاذ - لا تدعن في دبر كل صلاة ، تقول : اللهم
أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)) (٤)

-
- (١) هو الصحابي الجليل ابو اسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن أهب بن
عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري - احد العشرة المشهورين
لهم بالجنة ، اسلم بعد ستة وهوا بن تسع عشرة سنة ، وشهد بدرًا والحديبية
وسائر المشاهد ، وهو اول من رمى بسهم في سبيل الله وتوفي بالمقبيق
(على عشرة اميال من المدينة) سنة ٥٥ هـ
(٢) رواه الامام البخارى بسنده ، باب ما يتعوذ من الجبن (كتاب الجهاد)
٣٧٦/٦
ورواه الامام الترمذى بسنده ، وقال : هذا حديث حسن صحيح من هذا
الوجه باب في دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) ١٣/١٠
ورواه الامام ابن حبان بسنده ، باب ما يتعوذ المرء الخ ٣٦٣/٣
(٣) هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن
كعب الانصاري الخزرجي - احد السبعين الذين شهدوا العقبة من
الانصار وشهد بدرًا والمشاهد كلها ، وبعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
قاضيا الى الجند من اليمن - يعلم الناس القرآن وشرائع الاسلام ويقضى
بينهم وتوفي بناحية الاردن سنة ١٨ هـ وهو بن ٣٨ هـ
(٤) رواه الامام ابوداود بسنده ، باب في الاستغفار ٣٨٤/٤

والاحاديث وردت في الادعية دبر الصلاة كثيرة .
 ولذلك فان الدعاء دبر الصلاة مشروع ومندوب اليه وانه من السنة
 النبوية ، وانه من أرجى اوقات الاجابة .
 ولكن - هناك - طائفة من العلماء زعموا : ان الدعاء دبر الصلاة
 لا يشرع ، وهم متمسكون بحديث عائشة (١) (رضى الله عنها) قالت : ((كان
 النبي (صلى الله عليه وسلم) اذا سلم لم يقعد الا مقدار ما يقول : اللهم
 انت السلام ومنك السلام ، تباركت ^{ذاكر} (وفي رواية : يا (ذا الجلال والاكرام)) (٢)
 وظاهر الحديث : ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يقعد بعد
 السلام من الصلاة الا بقدر ان يقول ما ذكره ، ومعنى ذلك : ان عامة الادعية
 المتعلقة بالصلاة تكون في الصلاة وليست بعدها .
 وقال الامام ابن القيم (٣) : " وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة
 مستقبل القبلة أو المأمومين فلم يكن ذلك من هديه (صلى الله عليه وسلم)
 أصلاً ، ولا روى عنه باسناد صحيح ولا حسن ، وأما تخصيص ذلك بصلاتي
 الفجر والمصر فلم يفعل ذلك هو ولا أحد من خلفائه ولا أرشد اليه أمته ،
 وإنما هو استحسان رآه من رآه عوضاً من السنة - بعدهما " .

=== ورواه الامام الحاكم بسنده ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين
 ولم يخرجاه وأقره الامام الذهبي وقال : على شرطيهما ، باب الدعاء بعد
 الصلاة ٢٧٣/١

ورواه الامام ابن حبان بسنده باب الاستحباب للمرء ان يستعين بالله الخ ٣٥٩/٣
 (١) تقدمت ترجمتهما
 (٢) رواه الامام مسلم بسنده ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ٢٣٦/٢
 ورواه الامام ابن حبان بسنده ، باب ما يقول المرء اذا سلم ٣٤٥/٣
 ورواه الامام ابن ماجه بسنده ، باب ما يقال بعد التسليم ٢٩٨/١
 ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب من استحباب ان يذكر الله الخ ١٨٣/٢

وقال : " وعامة الادعية المتعلقة بالصلاة انما فعلها - فيها - وامر بها - فيها - وهذا هو اللائق بحال المصلي ، فانه مقبل على ربه بناجيه ما دام في الصلاة ، فاذا سلم منها انقطعت تلك المناجاة وزال ذلك الموقف بين يديه والقرب منه ، فكيف يترك سوءه في حال مناجاته والقرب منه والاقبال عليه ، ثم يسأل اذا انصرف عنه ، ولا ريب ان عكس هذا الحال هو الاولى " (١)

والذي يظهر ان نفي القعود بعد السلام من الصلاة الا بقدر ان يقول ما ذكر - كما ورد في حديث عائشة السالف ذكره - ليس معناه نفى القعود مطلقا وانما نفي القعود على الهيئة قبل السلام . وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (قعد في مصلاه بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ، وثبت انه اقبل بوجهه على اصحابه (رضى الله عنهم) بعد سلامه من الصلاة وثبت انه انصرف عن يمينه وعن يساره .

وذلك ما ورد عن جابر بن سمرة (٢) (رضى الله عنه) قال : ((كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اذا صلى الفجر قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس)) (٣) .

(١) زاد المعاد ، بحث الدعاء بعد السلام من الصلاة ٦٦/١
(٢) هو الصحابي الجليل جابر بن سمرة السوائي (أمه خالدة بنت أبي وقاص اخت سعد بن أبي وقاص) نزل الكوفة وابتنى بها دارا فني بنى سواة ، وكان راويا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أحاديث كثيرة ، وتوفي سنة ٦٦ هـ .

(٣) رواه الامام مسلم بسنده باب فضل الجلوس في مصلاه ٣١٤/٢
ورواه الامام الترمذي بسنده ، وقال : هذا حديث حسن صحيح
باب ما ذكر مما يستحب من الجلوس في المسجد ١٩٣/٣
ورواه الامام النسائي بسنده باب قعود الامام في مصلاه بعد التسليم ٨٠/٣
ورواه الامام ابن حبان بسنده باب ما يستحب للمرأة ان يقعد بعد صلاة الغداة ٣٦٧/٣
ورواه الامام البيهقي بسنده باب الترغب في مكث المصلي في مصلاه ١٨٥/٢

وورد عن سمرة بن جندب (١) (رضي الله عنه) قال :
 ((كان النبي (صلى الله عليه وسلم) اذا صلى صلاة (٢) اقبل علينا
 بوجهه)) (٣)

وورد عن ابن مسعود (٤) (رضي الله عنه) قال :
 ((لا يجعل احدكم للشيطان شيئا من صلاته ، يرى ان حقا عليه ان لا
 ينصرف الا عن يمينه - لقد رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) كثيرا (وفي
 رواية مسلم : اكثر ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينصرف عن
 يساره)) (٥)

وعن أنس (٤) (رضي الله عنه) قال : ((أما أنا - فاكثرا ما رأيت
 رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينصرف عن يمينه)) (٦)

(١) هو الصحابي الجليل سمرة بن جندب بن هلال بن جريح بن مرة
 ابن حزن بن عمرو بن جابر بن ذى الرياستين ، كان من الحفاظ المكثرين
 وكان عظيم الامانة صدوق الحديث يحب الاسلام وأهله ، وتوفي
 بالبصرة سنة ٥٨ هـ

(٢) قال الحافظ ابن حجر : " فالمعنى : اذا صلى صلاة ففرغ منها اقبل علينا ،

لضرورة لا يتحول عن القبلة قبل فراغ الصلاة " (فتح الباری ٢/٤٧٨)

(٣) رواه الامام البخاري بسنده باب ما يستقبل الامام الناس اذا سلم ٢/٤٧٨

(٤) تقدمت تراجمهم .

(٥) رواه الامام البخاري بسنده باب الانفتال والانصراف عن اليمين والشمال

٢/٤٨٢

ورواه الامام مسلم بسنده باب جواز الانصراف من الصلاة عن اليمين والشمال

٢/٣٦٠

(٦) رواه الامام مسلم بسنده باب جواز الانصراف من الصلاة الخ ٢/٣٦٠

وما بين حديث ابن مسعود وحديث انس المذكورين ظاهره التناقض ،
وقد وجهه الامام النووي (٢) الجمع بينهما وقال : " ان النبي صلى الله عليه وسلم)
كان يفعل تارة هذا وتارة هذا ، فآخبر كل واحد بما اعتقد انه الاكثر فيما به
يعلم ، فدل على جوازهما ولا كراهة في واحد منهما ، وأما الكراهة
التي اقتضاها كلام ابن مسعود فليست بسبب أصل للانصراف عن اليمين او
الشمال وانما هي في حق من يرى ان ذلك لا بد منه فان من اعتقد
وجوب واحد من الأمرين مخطئ " (١)

ومعنى ذلك انه ثبت هذا الاقبال بالوجه وهذا الانصراف عن اليمين
او اليسار . وهذا القعود في المصلى حتى طلوع الشمس ، وهذا كله لا ينفي
عن القعود بعد السلام بقدر قراءة : " اللهم انت السلام ومنك السلام ، تباركت
يا ذا الجلال والاكرام " ، وذلك ان تحمل نفي القعود الذي ورد في
حديث عائشة السالف ذكره . على الهيئة قبل السلام ، وان تحمل اثبات
القعود على غير تلك الهيئة ، اذا - فلا ينفي الدعاء بعد السلام اذا كان
بعد الاقبال بالوجه على المؤمنين او بعد الانصراف عن اليمين
او اليسار او القعود على غير الهيئة قبل السلام .

ولذلك ان نحمل ما ورد من الادعية دبر الصلاة على انـه
بعد الاقبال بالوجه على المؤمنين او بعد الانصراف عن اليمين او اليسار
او بعد القعود على غير الهيئة قبل السلام .

قال الحافظ ابن حجر (٢) : " ان المراد بالنفي المذكور (٣) نفي

(١) شرح مسلم ٣٦١/٢

(٢) تقدمت ترجمتهما

(٣) اي : نفي القعود

استمراره جالسا على هيئته قبل السلام الا بقدر أن يقول ما ذكره .
وقال : " فقد ثبت - انه صلى ، أقبل على أصحابه ، فيحمل
ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على انه كان يقول بعد ان يقبل بوجهه
على أصحابه " (١)

وكيف انكر الامام ابن القيم - الدعاء بعد السلام من الصلاة ،
وقال : " فلم يكن ذلك من حديثه (صلى الله عليه وسلم) أصلا ،
ولا روى عنه باسناد صحيح ولا حسن " ؟ وكيف انكر وقد ثبت
في أحاديث كثيرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بدعوا
بأدعية دبر الصلاة ويروى أنه الى ذلك واهتم بها أصحابه (رضى
الله عنهم) ، كما ثبت في أحاديث أبي أمامة وسعد بن أبي وقاص
ومعاذ السالفة الذكر .

وفي هذا - حاول بعض الخنابلة بتأويل قوله (صلى الله
عليه وسلم) ((دبر الصلاة)) بمعنى " قرب آخرها " ، وهذا لأن
لفظ " الدبر " قد يطلق على معنى عقب الشيء ، وقد يطلق على
معنى قرب آخر الشيء ، وقد ثبت نفى القعود بعد السلام من الصلاة ،
ولذلك تتعين معنى ((دبر الصلاة)) قرب آخرها ، أى : ما قبل السلام ،
وقال الامام ابن القيم : " وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها
- فيها ، وأمر بها - فيها " .

أو خلفها
والذى يظهر ان معنى ((دبر الصلاة)) : عقبها / أو بعد

السلام منها .

وذلك لأن حديث ((ذهب اهل الدثور)) ورد بلفظ ((دبر كل
صلاة)) وفي رواية بلفظ ((خلف كل صلاة)) ومعنى ذلك ان ((دبر))
بمعنى ((خلف)) .

ورد عن أبي هريرة (١) (رضي الله عنه) : ((ان فقراء المهاجرين أتوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالوا : ذهب أهل الدثور (٢) بالغد وجعلت الحلى والنخيم القيم فقال : وما ذاك ؟
قالوا : يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون كما نتصدق ويعتقون ولا نحقق .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم .

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة (((٣)
((وفي رواية للبخاري بلفظ : تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين)) (٤)

قال الحافظ ابن حجر (١) : " فان قيل : المراد به (دبر الصلاة) : قرب آخرها وهو التشهد ، قلنا : قد ورد الأمر بالذكر دبر الصلاة والمراد به بعد السلام اجماعا ، فكذا هذا — حتى يثبت ما يخالفه " وقال : " وتحق بحدیث ((ذهب أهل الدثور)) فان فيه تسبحون دبر كل صلاة وهو بعد السلام جزما ، فكذلك ما شابهه " (٥)

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) جمع " دثر " بفتح ثم سكون وهو " المال الكثير "

(٣) رواه الامام البخاري بسنده باب الدعاء بعد الصلاة ٣٨١/١٣

ورواه الامام مسلم واللفظ له ٢٣٩/٢

(٤) رواه الامام البخاري بسنده باب الذكر بعد الصلاة ٤٧٠/٢

(٥) فتح الباري باب الدعاء بعد الصلاة ٣٨٢/١٣

وإذا ثبت دعاءه (صلى الله عليه وسلم) بعد الصلاة وتعين معنى المراد بدبر الصلاة هو خلف الصلاة أو بعدها اتضح خطأ من زعم عدم مشروعية الدعاء بعد الصلاة متمسكا بظاهر حديث عدم قعوده (صلى الله عليه وسلم) بعد التسليم إلا بقدر أن يقول ((اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام)) .

وأما نفي الإمام ابن القيم ^(١) - الدعاء بعد السلام من الصلاة فليس معنى ذلك أنه نفي الدعاء بعد السلام من الصلاة مطلقا وإنما نفاه بإيراده بعد السلام مباشرة ، بدون التقديم بالإنكار المشروعة ، كما صرح بذلك الإمام ابن القيم نفسه - عتب نفيه الدعاء بعد السلام من الصلاة ، وقال :

" إلا أن ههنا (نكتة لطيفة) ، وهو أن المصلي إذا فرغ من صلاته وذكر الله وهلله وسبحه وحمده وكبره بالإنكار المشروعة شقيب الصلاة استحبه له أن يصلي على النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك ، ويدعوبا شاء ، ويكون دعاءه عقيب هذه العبادة الثانية - لا لكونه دبر الصلاة ، فإن كل من ذكر الله وحمده وأثنى عليه وصلى على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) استجيب له الدعاء عقيب ذلك " ^(٢) .

وهناك صورة أخرى من نفي الإمام ابن القيم - الدعاء بعد السلام ، كما فهم من قوله : " وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة أو المأمومين " وهي إيراد الدعاء بعد السلام من استمرار استقبال القبلة بدون الانصراف عن اليمين أو اليسار ، وإيراد الدعاء مستقبل المأمومين لأن من آداب الدعاء استقبال القبلة ، وذلك بعد الانصراف عن اليمين أو اليسار .

(١) تقدمت ترجمته

(٢) زاد المحاد ، بحث الدعاء بعد السلام عن الصلاة ٦٦/١

قال الحافظ ابن حجر (١) : " وفيهم كثير ممن لقبناه من الحنابلة - ان مراد ابن القيم نفي الدعاء بعد الصلاة مطلقا ، وليس كذلك ، فان حاصل كلامه : انه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وإبراده بمسند السلام ، أما اذا انقل بوجهه او قدم الاذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الاتيان بالدعاء حينئذ " (٢)

ومعنى ذلك ان الدعاء دبر الصلاة من أرجى اوقات الاجابة ، وخاصة بعد تقديم الاذكار المشروعة وعلى الداعي دبر الصلاة ان يراعى الآداب التالية :

- ١ - القمود على الهيئة قبل السلام بقدر قراءة " اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والاكرام " .
- ٢ - ثم الانصراف عن اليمين او اليسار او ^{على} الاقبال المأمور ~~بـ~~ بالوجه .
- ٣ - ثم تقديم الاذكار المشروعة دبر الصلاة من التلاوة والذكر والتهليل والتسبيح والتحميد والتكبير وغير ذلك .
- ٤ - ثم استقبال القبلة عند ارادة الدعاء .

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) فتح الباري ، باب الدعاء بعد الصلاة ٣٨٢ / ١٣

٣ - ساعة من ساعات الليل :

ومن أرجى أوقات الاجابة : ساعة من ساعات الليل .

وذلك ما ورد عن جابر بن عبد الله ^(١) (رضي الله عنه) قال : سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : ((ان في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والاخرة الا اعطاه الله اياه ، وذلك كل ليلة)) ^(٢) .
وفي رواية عنه : ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ((ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا الا اعطاه اياه)) ^(٣) .
وفي هذا الحديث الشريف اثبات ساعة الاجابة في كل ليلة من الليالي ولكن العلماء اختلفوا في تعيينها حسب اختلاف الروايات في ذلك .

١ - رواية الثلث الاخير من الليل

وقد ورد عن ابي هريرة ^(١) (رضي الله عنه) ، ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ((ينزل ربنا تبارك وتعالى ^(٤) كل ليلة الى السماء

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) رواه الامام مسلم بسنده باب صلاة الليل ٤١٦/٢

(٣) رواه الامام مسلم بسنده باب صلاة الليل ٤٠٧/٢

(٤) قال احمد بن عبد الله المزني : " حديث النزول قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه صحيحة ، وورد في التنزيل ما صدقه وهو قوله تعالى ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى عن طريق الحركة والانتقال من حال الى حال ، بل هما صفتان من صفات الله تعالى - بلا تشبيه - جل الله تعالى عما تقول المعطلة - لصفاته والمشبهة بها - علوا كبيرا " (السنن الكبرى للبيهقي ٣/٣) .

الدنيا - حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : " من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له " (((١)

٢ - ورواية بعد مضي الثلث الاول من الليل :

ورود عن ابي هريرة (٢) (رضي الله عنه) ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ((ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل ، فيقول : " انا الملك ، انا الملك - من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ، من ذا الذي يسألني فأعطيه ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له " فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر)) (٣)

وعن ابي سعيد (٢) وابي هريرة (٢) (رضي الله عنهما) قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ان الله يمهل حتى اذا ذهب ثلث الليل الاول - نزل ربنا تبارك وتعالى الى السماء الدنيا ، فيقول : " هل من مستغفر ؟ هل من تائب ؟ هل من سائل ؟ هل من داع ؟ " - حتى يتفجر الصبح)) (٤)

(١) رواه الامام البخاري بسنده ، باب الصلاة والدعاء من آخر الليل ٢٧١/٣

وباب الدعاء نصف الليل ٣٧٢/١٣

ورواه الامام مسلم بسنده ، باب صلاة الليل ٤٠٢/٢

ورواه الامام الترمذي بسنده ، قال : هذا حديث حسن صحيح ابواب الدعوات ٤٢١/٩

ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب الترغيب في قيام آخر الليل ٢/٣

(٢) تقدمت ترجمتهما

(٣) رواه الامام مسلم بسنده ، باب صلاة الليل ٤٠٢/٢

ورواه الامام الترمذي بسنده ، وقال : حديث ابي هريرة حديث حسن صحيح

باب في نزول الرب تبارك وتعالى ٥٢٤/٣

(٤) رواه الامام مسلم بسنده ، باب صلاة الليل ٤٠٩/٢

ورواه الامام ابن حبان / بسنده باب خبر واحد او هم من لم يحكم صناعة الحديث ١٩٦/٢

٣ - رواية شطر الليل او ثلث الليل الآخر

وورد عن ابي هريرة (١) (رضي الله عنه) يقول : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((ينزل الله عز وجل الى السماء الدنيا لشطر الليل او ثلث الليل الآخر ، فيقول : " من يدعوني فأستجيب له ، أو يسألني فأعطيه)) (٢) ٤ - رواية بعد مضي شطر الليل او ثلثه

وورد عن ابي هريرة (رضي الله عنه) - عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ((اذا مضي شطر الليل) وفي رواية ابن ماجه بلفظ : نصفه) او ثلثاه - ينزل الله جل وعلا الى السماء الدنيا ، فيقول : " هل من سائل يعطى ، هل من داع يستجاب له ، هل من مستغفر يغفر له " - حتى ينفجر الصبح (((٣)

وهذه هي الروايات الثابتة في تعيين ساعة الاجابة من ساعات الليل ، وهي كما ترى منحصرة في ثلاثة اشياء : الثلث الاخير ، والثلثان الاوسط والاخير ، والنصف الاخير .

وقد اختلف العلماء في الجمع بين هذه الروايات . فقال القاضي عياض (٤) : " يحتمل ان يكون النزول بالمعنى المراد

(١) تقدمت ترجمته

(٢) رواه الامام مسلم بسنده ، باب صلاة الليل ٤٠٩/٢

ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب الترغيب في قيام الليل ٢/٣

(٣) رواه الامام مسلم بسنده ، باب صلاة الليل ٤٠٨/٢

ورواه الامام ابن حبان بسنده ، ذكر الاخبار عما يستحب للمرء من الدعاء ١٩٤/٢

ورواه الامام ابن ماجه / باب في اي ساعات الليل افضل ٤٣٤/١

(٤) هو الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن الحصبي السبتي ،

ولد سنة ٤٧٦ هـ ، وكان عالم المغرب وامام اهل الحديث في وقته ، وكان من

بعد الثلث الاول ، وقوله : ((من يدعوني)) بعد الثلث الاخير * (١)
 وقال الامام ابن حبان (٢) : " يحتمل ان يكون نزوله في بعض الليالي
 حتى يبقى ثلث الليل الاخر ، وفي بعضها حتى يذهب ثلث الليل الاول ،
 حتى لا يكون بين الخبرين تهافت ولا تضاد * (٣)
 وقال الامام النووي (٤) : " ويحتمل ان يكون النبي (صلى الله عليه
 وسلم) اعلم باحد الامرين في وقت فاخير به ، ثم اعلم بالآخر في وقت آخر
 فاعلم به ، وسمع ابو هريرة (رضى الله عنه) الخبرين فنقلهما جميعا ، وسمع
 ابو سعيد الخدري خبر (الثلث الاول) فقط فاخبر به مع ابي هريرة ، كما
 ذكره مسلم في الرواية الاخرة — وهذا ظاهر * (٥)

والذى يظهر ان هذه الروايات هي المبينة لساعة الاجابة من ساعات
 الليل التى هي من بعد مضي الثلث الاول الى طلوع الفجر ، وهذه اشارة
 الى اتساع ساعة الاجابة في الليل — سواء كانت من بعد مضي الثلث الاول ،
 او من بعد مضي النصف الاول ، او من بعد مضي الثلثين من الليل ، وكلها
 اشارة الى اتساع وقتها = بخلاف ساعة الاجابة يوم الجمعة (كما سيأتى

== اعلم الناس بكلام العرب وانسابهم وابامهم ، وفي قضاء سبته ثم قضاء
 غناطة ، وله مؤلفات ، فمنها : شرح صحيح مسلم ، والشفاء بتمريف
 حقوق المصطفى ، وترتيب كتاب المدارك وغيرها وتوفي سنة ٥٤٤ هـ .

(١) نقله الامام النووي في شرح مسلم ، باب صلاة الليل ٤٠٧/٢
 (٢) هو الامام ابو حاتم محمد بن حبان بن احمد بن حبان بن معاذ بن معبد
 التميمي البستي ، ولد في بستان (من بلاد سجستان) وتنقل في
 الاقطار فرحل الى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة . وكان عالما
 بالفقه واللغة والحديث والطب والنجوم وفنون العلوم والكلام والتاريخ
 وله مؤلفات ، منها : المسند الصحيح المعروف بصحيح ابن حبان ، وتوفي
 سنة ٣٥٤ هـ

(٣) الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان للامير علاء الدين الفارسي ١٩٦/٢

(٤) تقدمت ترجمته (٥) شرح مسلم باب صلاة الليل ٤٠٨/٢

بحسبها (ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : وهي ساعة خفيفة * وأشار
(صلى الله عليه وسلم) بيده يقللها .

واما اختلاف الروايات في تعيين ساعة الاجابة - كما قال الامام النووي -
فمحتمل ان يكون النبي (صلى الله عليه وسلم) اعلم باحد الامور في وقت فاخبر به
ثم اعلم بالآخر فاخبر به ، ثم اعلم بالثالث او الرابع فاخبر به ، ويحتمل - كما
قال الامام ابن حبان - ان يكون نزوله في بعض الليالي من بعد مضي الثلث
الاول من الليل ، وفي بعضها من بعد مضي النصف الاول وفي بعضها من بعد
مضي الثلثين من الليل ، وما يؤيد هذا الاحتمال - الرواية بـ " أو " وهي
للتردد بين الليالي المختلفة ، ففي ليلة ينزل الله لشطر الليل وفي أخرى
ينزل للثلث الآخر ، وهذا معنى قوله (صلى الله عليه وسلم) : ((ينزل الله
عز وجل الى السماء الدنيا لشطر الليل او لثلث الليل الآخر)) وقوله : ((اذا مضى
شطر الليل او ثلثاه - ينزل الله جل وعلا الى السماء الدنيا)) .

والاظهر ان تكون ساعة الاجابة من بعد مضي الثلث الاول من الليل
الى طلوع الفجر ، ويحتمل ان تكون بعد مضي نصف الليل أرجى من الساعة
بعد مضي الثلث الاول ، وان تكون في الثلث الآخر أرجى من نصف الليل
الآخر ، وان تكون ساعة السحر أرجى ساعات الليل كلها .
وما يؤيد هذا الاحتمال حديث ابي امامة (١) (رضى الله عنه) :

قال : ((قيل : يا رسول الله - اى الدعاء اسمع ؟

فقال : جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبة)) (٢)

وقد اتى الله بعض عباده وذكر صفاتهم ومنهم : الاستغفار بالسحر ، قلل

تعالى * .. والمستغفرين بالأسحار * (٣)

وقال سبحانه * .. والاسحار هم يستغفرون * (٤)

والسحر (بفتح تين) - كما قال الامام الفيومي (١) : " قبل الصبح ،

وبضمتين - لغة ، والجمع : أسحار " (٥)

(١) تقدمت ترجمتهما (٢) تقدم تخريجه : رواه الترمذى وحسنه ٤٧١/٩
(٣) آل عمران ١٧ (٤) الذاريات ١٨ (٥) المصباح المنير ١/٢٨٧

٤ - ساعة في يوم الجمعة

ومن ارجى اوقات الاجابة : ساعة في يوم الجمعة ،
وذلك ما ورد عن ابي هريرة (١) (رضي الله عنه) قال : ان رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) ذكر يوم الجمعة ، فقال : ((فيه ساعة لا يوافقها عبد
مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه اياه " وأشار بيده
يقللها)) (٢)

وفي رواية عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) انه قال : ((ان في
الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل فيها ذبرا الا اعطاه اياه ، قال : وهي
ساعة خفيفة)) (٣)

قال الحافظ ابن حجر (١) : " وقد اختلف اهل العلم من الصحابة -
والتابعين ومن بعدهم في هذه الساعة :
هل هي باقية او رفعت ؟

وعلى البقاء - هل هي في كل جمعة او في جمعة واحدة من كل سنة ؟
وعلى الاول - هل هي وقت من اليوم معين او مبهم ؟
وعلى التعيين - هل تستوعب الوقت او تبهم فيه ؟
وعلى الابهام - ما ابتداءه وما انتهاؤه ؟
وعلى كل ذلك - هل تستمر او تنتقل ؟
وعلى الانتقال - هل تستغرق اليوم او بعضه ؟* (٤)

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) رواه الامام البخارى بسنده ، باب الساعة التي في يوم الجمعة ٦٧/٣

ورواه الامام مسلم بسنده ، باب فضل الجمعة ٥٠٣/٢

ورواه الامام النسائي بسنده ، باب الساعة التي يستجاب فيها الخ ١١٥/٣

ورواه الامام ابن ماجه بسنده ، باب ما جاء في الساعة التي ترجى في الجمعة ٣٦٠/١

(٣) رواه الامام مسلم بسنده ، باب فضل الجمعة ٥٠٤/٢

(٤) فتح الباري ، باب الساعة التي في يوم الجمعة ٦٨/٣

ثم نقل الحافظ عن العلماء ثلاثة وأربعين قولاً مع أدلتهم فيه ، ثم قال : " فهذا جميع ما اتصل إلى من الأقوال في ساعة الجمعة مع ذكر أدلتها وبيان حالها في الصحة والضعف والرفع والوقف والاشارة إلى مأخذ بعضها ، وليست كلها متفافية من كل جهة * بل كثير منها يمكن ان يتحد مع غيره " وقال : ولا شك ان أرجح الأقوال المذكورة - حديث أبي موسى (١) وحديث عبد الله بن سلام (٢) ، وقال : " وما عداهما الا موافق لهما - أولاً أحدهما أضعف الاسناد ، أو موقوف استند قائله إلى اجتihad دون توقيف " (٣)

وقال الإمام ابن القيم (٤) : " وأرجح هذه الأقوال - قولان ، تضمنتهما الأحاديث الثابتة ، الأول : انها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة ، والقول الثاني : انها بعد العصر " .

(١) هو الصحابي الجليل أبو موسى عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر الأشعري - قدم مكة فحالف سعيد بن الحاص بن أمية اباً أصيحة ، ثم أسلم بمكة ثم انصرف إلى بلاد قومه فاقام بها ، ثم قدم مع الأشعرين نحو خمسين رجلاً في سفينة ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخيبر ، وكان من احسن الناس صوتاً بالقرآن ، وتوفي سنة ٤٢ هـ وهو ابن ثلاث وستين .

(٢) هو الصحابي الجليل أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي ثم الانصاري واسمه في الجاهلية : الحصين ، وهو أحد الاخبار ، أسلم اذ قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة . وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ

(٣) انظر فتح الباري ، باب الساعة التي في يوم الجمعة ٦٨/٣ - ٧٣

(٤) تقدمت ترجمته .

ثم قال : " وبقيّة الاقوال لا دليل عليها " (١)
وها أنذا أذكر ^{خبره} القولين :-

فالقول الأول :- أن ساعة الاجابة في يوم الجمعة هي من جلوس الامام
او الخطيب على المنبر الى انصرافه من الصلاة .

هذا الحديث ابي بردة (٢) بن ابي موسى الاشعري قال :

قال لي عبدالله بن عمر (٣) : " أسمعت اباك يحدث عن رسول الله

(صلى الله عليه وسلم) في شأن ساعة الجمعة

قال : قلت : نعم ، سمعته يقول : سمعت رسول الله (صلى

الله عليه وسلم) يقول : ((هي ما بين ان يجلس الامام الى ان تقضى الصلاة)) (٤)

قال الامام ابو داود (٣) : " يعنى — على المنبر " (٥)

والقول الثاني :- ان ساعة الاجابة في يوم الجمعة هي آخر ساعة بعد الحصر

وذلك ما ورد عن ابي هريرة (٣) (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى

الله عليه وسلم) : ((خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم

(١) انظر زاد المعاد ، باب استجابة الدعاء في ساعة من يوم الجمعة ١٠٤/١ - ١٠٦

(٢) هو التابعي ابو بردة عامر (أو الحارث) بن ابي موسى الاشعري — كوفي

ثقة ، كان كثير الحديث وتوفي سنة ١٠٤ هـ

(٣) تقدمت تراجمهم

(٤) رواه الامام مسلم بسنده ، باب فضل الجمعة ٥٠٤/٢

ورواه الامام ابو داود بسنده ، باب الاجابة اى ساعة في يوم الجمعة ٣٧٣/٣

ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب الساعة التي في يوم الجمعة ٢٥٠/٣

(٥) سنن ابي داود ، باب الاجابة اى ساعة هي يوم الجمعة ٣٧٣/٣

وفيه أهبط ، وفيه تهب عليه ، وفيه مات ، وفيه تقوم الساعة — وما من دابة الا وهي مسبخة (١) يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شققا (٢) من الساعة الا الجن والانس (وفيها ساعة لا يصاد فيها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله عز وجل حاجة الا اعطاه اياه) .

قال كعب (٣) : ذلك في كل سنة يوم

فقال : بل في كل جمعة

قال : فقرأ كعب التوراة ، فقال : صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

قال ابو هريرة : ثم لقبت عبدالله بن سلام ، فحدثته بمجلس مع كعب

فقال عبدالله بن سلام : قد علمت اية سامعة هي ؟

قال ابو هريرة : فقلت له — فاخبرني بها

فقال عبدالله بن سلام : هي اخر ساعة من يوم الجمعة (وزاد في رواية النسائي :

قبل أن تغيب الشمس) .

فقلت : كيف هي آخر ساعة من يوم الجمعة ، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه

وسلم) : ((لا يصاد فيها عبد مسلم وهو يصلي)) وتلك الساعة لا يصلي فيها ؟

فقال عبدالله بن سلام : ألم يقل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

((من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي))

(١) مسبخة (بالسین) بابدال صاد سینا ، ويروى : مسبخة بالصاد ، وهما

لفتان : اي — منتظرة لقيام الساعة

(٢) شققا : خونا

(٣) هو التابسي ابواسحاق كعب الاحبار بن ماتع بن ندى هجن الحميري ، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن ، وأسلم في زمن ابي بكر ، وقدم المدينة في دولة عمر ، فاخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من اخبار الأمم الغابرة ، واخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة وخرج الى الشام فسكن حمص وتوفي فيها سنة ٣٢ هـ وهو ابن ١٠٤ سنة .

قال : فقلت : بلى ، قال : هو ذاك (١)

وورد عن جابر بن عبد الله (٢) (رضى الله عنه) عن رسول الله (صلى

- ١٥٣ -

الله عليه وسلم) انه قال (يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة لا يوجد مسلم يسأل

الله شيئا الا اتيه الله عز وجل ليبيح له ما شاء من الأعمال الا ما عصى الله (٣)

وقد اختلف العلماء في الجمع والترجيح بين هذين القولين .
وورد عن أبي هريرة (رضى الله عنه) يقول : قال رسول الله

(١) فذهب فريق (صلى الله عليه وسلم) إلى ترجيح (جندب بن عبد الله) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

او لثلاث ظلال الا انهم لم يوافقوا (٤) " من غلبت عني اجأ مستجيب بك " ولما رجسأني بيا فأعطيه (٥)

ساعة الجمعة (٥) ورواية بعد مضي شطر الليل او ثلثه

وقال الامام النووي (٦) " والصحيح بطل الصواب ما رواه مسلم
وورد عن أبي هريرة (رضى الله عنه) - عن رسول الله (صلى الله

عليه وسلم) قال : (اذا مضى شطر الليل) وفي رواية ابن ماجه بلفظ :

(٧) رواه الامام ابو داود بسنده ، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة : ٣٦٩ / ٣ هل من
ورواه الامام النسائي بسنده ، باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة
سائل يعطي ، هل من داع يستجاب له ، هل من مستغفر يفرله " - حتى
١١٤ / ٣ - ١١٥

ينفجر الصبح الا (٣) ورواه الامام الترمذي بسنده - باختصار ، وقال : هذا حديث صحيح ، وفي الحديث

قصة وظهرت في الليلة التي تليها ليلة الجمعة التي ترجيح فيها قول الامام في ثلاث الليل ،

وهي كالمعنى في نسخة ، قال : هذا حديث صحيح ، على شرط الشيخين ، ولم
يخرجاه . واتفق الامام الذهبي وقال : على شرطهما باب ساعة الاجابة
والنصف الاخير . يوم الجمعة ٢٧٨ / ١

ورواه الامام البيهقي بسنده ، في باب الاجابة التي هي في يوم الجمعة ٢٥٠ / ٣

(٢) فقد نقض الجليل عياض (٤) : " يحتمل ان يكون النزول بالمعنى المراد

(٣) رواه الامام ابو داود بسنده ، باب الاجابة اي ساعة هي في يوم الجمعة ٣٧٢ / ٣

ورواه الامام الحاكم بسنده ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم

(١) بخروجت اعرفه الامام الذهبي ، وقال : على شرط مسلم ، باب ساعة الاجابة

(٢) وفي الامام المعظم بسنده لا باب صلاة الليل ٤٠٩ / ٢

(٥) ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب الترجيح التي هي في يوم الجمعة ٢٥٠ / ٣٢

(٤) ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب صلاة الليل ٤٠٨ / ٢

ورواه الامام ابن حبان بسنده ، ذكر الاخبار عما يستحب للمرء من الدعاء ١٩٤ / ٢

ورواه الامام ابن ماجه / باب في اي ساعات الليل افضل ٤٣٤ / ١

(٤) هو الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن البحصبي السبتي ،

ولد سنة ٤٧٦ هـ ، وكان عالم المغرب وامام اهل الحديث في وقته ، وكان من

من حديث أبي موسى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) - أنها ما بين أن يجلس
الامام الى أن تقضى الصلاة " (١)

وقال الامام القرطبي (٢) : " هونص في موضع الخلاف فلا يلتفت الى
غيره " (٣)

(٢) ونذهب فريق آخر الى ترجيح حديث عبد الله بن سلام

قال الامام الترمذى (٤) : " ورأى بعض اهل العلم منها صاحب
النبي (صلى الله عليه وسلم) وغيرهم : ان الساعة التي ترجى - بعد العصر
الى ان تغرب الشمس " (٥)

وقال الامام ابن ^{عبيد} الجبر (٦) : " انه أثبت شئ في هذا الباب " (٣)

(١) شرح مسلم باب فضل الجمعة ٥٠٥/٢

(٢) هو الامام ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج الانصارى الخزرجى
الاندلسى - صاحب كتاب " الجامع لاحكام القرآن " المعروف باسم تفسير
القرطبي وهو من اهل قرطبة ، وكان صالحا متعبدا ورعا طارحا للتكلف ،
رحل الى الشرق واستقر بمنية ابن خصب (في شمال أسبوط بمصر)
وتوفى فيها سنة ٦٧١ هـ .

(٣) نقلها الحافظ ابن حجر في فتح البارى ، باب الساعة التي في يوم الجمعة ٧٣/٣
(٤) تقدمت ترجمته

(٥) جامع الترمذى ، باب الساعة التي ترجى في يوم الجمعة ٦١٥/٢

(٦) هو الامام ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى
(بفتح النون والميم - نسبة الى قبيلة النمر بن قاسم) القرطبي ، ولد بقرطبة
سنة ٣٦٨ هـ ورحل رحلات طويلة وكان مؤرخا أدبيا بحاثة . وكان من
كبار حفاظ الحديث ، يقال له : حافظ المغرب ، وله مؤلفات كثيرة مفيدة ،
وتوفى سنة ٤٦٣ هـ

وقال الامام ابن القيم (١) : " وهذا هو قول اكثر السلف وعليه اكثر الاحاديث " (٢)

وقال في موضع آخر : " والقول الثاني — انها بعد العصر ، وهذا أرجح القولين " (٣) .

والذى يظهر ان حديث ابى موسى هو اصح الاحاديث في بطلان ساعة الاجابة في يوم الجمعة وهو مرفوع صريح ، وأما حديث عبد الله بن سلام وما ورد انها بعد العصر فهو أشهر الأقوال وأكثر الاحاديث في ذلك . وينبغى للداعي ان لا يغفل عن هذين الوقتين فانهما من أرجى اوقات الاجابة في يوم الجمعة .

ولذلك قال الامام احمد (١) : " اكثر الحديث في الساعة التي ترجى فيها اجابة الدعوة انها بعد العصر ، وترجى بعد زوال الشمس " (٤) وقال الامام ابن عبد البر (١) : " الذى ينبغى الاجتهاد في الدعاء في الوقتين المذكورين " (٥)

وقال الامام ابن القيم (١) : " وعندى ان ساعة الصلاة — ساعة يرجى فيها الاجابة ايضا ، فكلاهما ساعة اجابة ، وان كانت الساعة المخصصة هي آخر ساعة بعد العصر ، فهي ساعة معينة من اليوم لا تتقدم ولا تتأخر ، وأما ساعة الصلاة تقدمت وتأخرت لأن اجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم الى الله تأثيرا في الاجابة ، فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الاجابة . وعلى هذا

(١) تقدمت تراجمهم

(٢) زاد المعاد ، باب استجابة الدعاء في ساعة من يوم الجمعة ١٠٦/١

(٣) نفس المصدر ١٠٤/١

(٤) نقله الامام الترمذى في جامعه ، باب الساعة التي ترجى في يوم الجمعة ٦١٥/٢

(٥) نقله الحافظ ابن حجر في فتح البارى ، باب الساعة التي في يوم الجمعة ٧٤/٣

تتفق الاحاديث كلها ، ويكون النبي (صلى الله عليه وسلم) قد حض أمته

على الدعاء والابتهاال الى الله تعالى في هاتين الساعتين "

ثم قال : " فكذاك قوله في ساعة الجمعة هي ما بين ان يجلس

الامام الى ان تنتفى الصلاة . لا ينأى قوله في الحديث الآخر ((فالتمسوها

آخر ساعة بعد العصر)) (١)

وعلق على هذا الحافظ ابن حجر (٢) وقال : " وسبق الى نحو ذلك الامام

احمد ، وهو اولى في طريق الجمع " (٣)

ثالثا - أرجى وسائل الاجابة

وقبل الخوض بتفصيل فيما يتعلق بأرجى وسائل الاجابة =

أحب ان اوجه النظر اولا الى معنى " الوسيلة " لغة وشرعا

هذا - لأن بعض الناس يسيء الفهم لمراد " الوسيلة " التي جاء بها

القرآن الكريم والسنة الشريفة .

لغة و
معنى الوسيلة/شرعا :

ولنعرف معنى " الوسيلة " لغة ، فعلينا ان ننقل بعض

عبارات العلماء في ذلك .

(١) زاد المعاد باب استجابة الدعاء في ساعة من يوم الجمعة ١٠٦/١

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) فتح الباري باب الساعة التي في يوم الجمعة ٢٤/٣

قال الامام ابن فارس^(١) : " الوسيلة : الرغبة والطلب ،
يقال : وسل - اذا رغب ، والواصل : الراغب الى الله عز وجل " (٢)
وقال الامام الراغب الاصفهاني^(١) : " الوسيلة : التوصل الى الشئ
برغبة ، وهي أخص من الوسيلة لتنميتها لمحنى الرغبة " (٣)
وقال الامام ابن الاثير^(٤) : " هي في الاصل : ما يتوصل به الى
الشئ ، ويتقرب به ، وجمعها : وسائل " (٥)
وهذا هو معنى " الوسيلة " لفظة ، وأما معناها شرعا
فعلينا ان نرجع الى ما قاله السلف الصالح والمفسرون في تفسير لفظ
" الوسيلة " التي وردت في القرآن الكريم ، فلا وهي :-
١ - قوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا - اتقوا الله ، وابتغوا
اليه الوسيلة ، وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ (٦)

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) معجم مقاييس اللغة ١١٠/٦

(٣) المفردات في غريب القرآن ، باب الواو مع السين ص ٥٤٥

(٤) هو الامام مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن
عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري ، ثم الموصل
الشافعي المعروف بابن الاثير ، ولد في جزيرة ابن عمر
سنة ٥٤٤ هـ ، ثم انتقل الى الموصل وكان محدثا لغويا اصوليا ،
وله مصنفات ، ومنها : جامع الاصول في احاديث الرسول ، وتوفي
سنة ٦٠٦ هـ

(٥) النهاية في غريب الحديث والاثر ١٨٥/٥

(٦) المائدة / ٣٥

٢ - وقوله سبحانه * قل - ادعوا الذين زعمتم من دونه ، فلا
يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً * اولئك الذين يدعون - يبتغون
الى رسم الوسيلة ، ابيهم اقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، ان
عذاب ربك كان محذورا * (١)

ففي تفسير آية * وابتغوا اليه الوسيلة * التي وردت في سورة المائدة
قد قال الامام الطبري (٢) :

" وحققوا ايمانكم وتصدقوا بكم ونبىكم بالصالح من اعمالكم "

ثم روى الامام الطبراني بسنده اقوال السلف الصالح في ذلك ، وكلها
تدور على معنى : العمل الصالح والقربة الى الله . (٣)

ونقل ايضا الامام ابن كثير (٤) اقوال هؤلاء السلف الصالح ، ثم
قال : " وهو الذي قاله هؤلاء الائمة لا خلاف بين المفسرين فيه
..... " وقال : " والوسيلة : هي التي يتوصل بها الى تحصيل
المقصود " (٥)

(١) الاسراء / ٥٦ - ٥٧

(٢) هو الامام ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، ولد في
" آمل - طبرستان " سنة ٢٢٤ هـ . واستوطن بغداد ، وكان مجتهدا
في احكام الدين ، وهو من ثقات المؤرخين ومن ائمة المفسرين
وله مؤلفات ، ومنها اخبار الرسل والملوك وتوفي ببغداد
سنة ٣١٠ هـ

(٣) انظر جامع البيان في تفسير القرآن ١٤٦/٦ - ١٤٧

(٤) تقدمت ترجمته

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ٥٢/٢ - ٥٣

وفسرها الامام ابو السعود ^(١) وقال : " الوسيلة — هي : فعيلة بمعنى : ما يتوسل به ويتقرب الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي — من وسل الى كذا ، اى : تقرب اليه بشئ " ^(٢)

وقال الامام الشوكاني ^(٣) : " الوسيلة : فعيلة — من توسلت اليه : اذا تقرب اليه ، فالوسيلة : القرينة التي ينبغى ان تطالب ثم قال : " والظاهر — ان الوسيلة التي هي القرينة — تصدق على التقوى وعلى غيرها من خصال الخير التي يتقرب المباد بها الى ربهم " ^(٤)

وأما آية * يتفون الى ربهم الوسيلة * التي وردت في سورة الاسراء — فقد بين الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ^(٥) (رضى الله عنه) مناسبة نزولها التي توضح معناها ، فقال : ((نزلت في نفر من المصرب كانوا يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم الجنيون — والانس الذين كانوا يعبدونهم لا يسمعون (وزاد في رواية الطبرى : باسلا ميم))) ^(٥) .
الحافظ وقال ابن حجر ^(٦) : " اى — استمر الانس الذين كانوا

(١) هو الامام ابو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادى — صاحب كتاب : " ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم " المعروف بتفسير أبى السعود ولد بقرب القسطنطينية سنة ٨٩٨ هـ ودرس في بلاد متعددة وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم ابلى ، وكان مفسرا شاعرا وكان من علماء الترك المستعربين ، وتوفي بالقسطنطينية سنة ٩٨٢ هـ .

(٢) ارشاد العقل السليم ٤٨/٢

(٣) تقدمت تراجمهم

(٤) فتح القدير ٣٨/٢

(٥) رواه الامام مسلم بسنده ، كتاب التفسير ٨٨٠/٥

ورواه الامام الطبرى بسنده في تفسيره ٧٢/١٥

يعبدون الجن على عبادة الجن - والجن لا يرضون بذلك لكونهم اسلموا
وهم الذين صاروا يبتغون الى ربهم الوسيلة

وقال : " وهذا هو المعتمد في تفسير هذه الآية " (١)

وقال الامام الطبري (٢) : " وأولى الاقوال بتأويل هذه الآية -

قول عبدالله بن مسعود " (٣)

والظاهر من اقوال السلف الصالح والفسرين : ان الوسيلة هي تحقيق

الايمان بالعمل الصالح المقرب الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك
المعاصي .

وأما كلمة " الوسيلة " التي وردت في حديث دعاء الوسيلة بعد
الأذان فهي غير مراد في هذا المبحث - لأنها جاءت بمعناها الخاصة
وهي أعلى منزلة في الجنة - كما سبق بيانه في مبحث أرجى اوقات الاجابة
وهو الدعاء بين الأذان والاقامة .

١ - التوسل بالعمل الصالح :

ان الله سبحانه وتعالى أمرنا بدعائه كما أمرنا بابتغاء الوسيلة
اليه ، والوسيلة هي تحقيق الايمان بالعمل الصالح المقرب اليه من فعل
الطاعات ، وترك المعاصي .

قال تعالى * وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين * (٤)

وقال سبحانه * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وابتغوا اليه الوسيلة
وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون * (٥)

(١) انظر فتح الباري ، ابواب تفسير سورة بني اسرائيل ١٠ / ١٢ - ١٣

(٢) تقدمت ترجمته قريبا

(٣) جامع البيان ١٥ / ٧٣

(٤) المائدة / ٣٥

(٥) غافر / ٦٠

وقد حكى لنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قصة اصحاب الفار
الثلاثة الرائعة التي كانت في بطن الغيب — لا يعلمها الا الله وحده — وحكى
في سياق المدح لهم والثناء عليهم والتعظيم لما فعلوا — وذلك لتذكرنا
بأعمال الصالحة خالصة مثالية مقربة الى الله عز وجل لأناس صالحين
من اتباع الرسل السابقين الذين توسلوا بها في دعائهم ، وهذا لكي
نأخذ من أخبارهم الدروس الثمينة والمطبات البليغة ، ونقتدى بهم ونتأسى
بأعمالهم الصالحة ونتوسل بها عند الدعاء ، وخاصة عند أمس الحاجة ،
وتوسلاتهم هذه ان دلت على شيء فانما تدل على انها من التوسلات
المشروعة المفيدة المحققة للغرض ، وهي من أرحى وسائل الاجابة .
والقصة — كما رواها عبد الله بن عمر (١) (رضى الله عنهما) قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :

((انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت الى غار ،

فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الفار

فقالوا : انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله

بصالح اعمالكم (وفي رواية مسلم : فقال بعضهم لبعض : انظروا اعمالا عملتموها
صالحة لله ، فادعوا الله بها — لعل الله يفرجها عنكم)

(٢) فقال رجل منهم : اللهم كان لي ابوان شيخان كبيران ، وكنت لا اغني

قبلهما أهلا ولا مالا (٣) ، فنأى بي في طلب شيء يوما (وفي رواية
لمسلم : وانه نأى بي ذات يوم الشجر) فلم أرَ عليهما (٤) حتى

(١) تقدمت ترجمته

(٢) بفتح الهمزة وضم الباء اي : ما كنت اقدم عليهما احدا في شرب نصيبهما

عشاء من اللبن ، والخبوق : شرب العشاء ، والصبح : شرب اول النهار .

(٣) المراد بالاهل : ماله من زوجة وصبية والمراد بالمال : من رقيق وخدم .

(٤) المراح : موضع بيت الماشية والمراد : لم ارد الماشية من المرقى الى حظائرها .

ناما ، فحلبت لهما غبوقهما • فوجدتهما نائمين ، فكرهت ان اغبق قبلهما
اهلا او مالا ، فلبثت والقده على بدى انتظرا استيقاظهما (وفي رواية مسلم : فقامت
عند رؤسهما اكره ان اوقظهما من نومهما واكره ان اسقى الصبية قبلهما - والصبية
بتضاغون ^(١) بقدى ، فلم يزل ذلك مدأبى ودأبهم) ، حتى برق الفجر ،
فاستبقظا فشربا غبوقهما •

" اللهم - ان كنت (وفي رواية مسلم : فان كنت تعلم انى) فعلت
ذلك ابتغاء وجهك - ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة "
فانفرجت شيئا - لا يستطيعون الخروج

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) :

وقال الآخر : اللهم كانت لي بنت عم كانت احب الناس الى - فأردتها
عن نفسها (وفي رواية مسلم : كأشد ما يحب الرجال النساء ، وطالبت اليها نفسها)
فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة ^(٢) من السنين ، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة
دينار على ان تخلصى بينى وبين نفسها ، ففعلت ، حتى اذا قدرت عليها (وفي
رواية مسلم : فلما وقعت بين رجلين) • قالت : لا أحل لك أن تفنى (وفي
رواية مسلم : يا عبدالله - اتق الله ، ولا تفتح) الخاتم الا بحقه ^(٣) ، فتخرجت
من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها ، وهي احب الناس الى وتركت الذهب الذى
اعطيتها •

" اللهم - ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن
فيه •

فانفرجت الصخرة - غير انهم لا يستطيعون الخروج منها •

(١) أى : يصبحون ويستغيثون من الجوع ، والضياء : الصباح ببكاء •

(٢) أى : سنة قحط •

(٣) الخاتم كناية عن بكارثتها ، وقوله : بحقه ، أى : بنكاح لا بزنا ، وقوله :

تفنى أى : تكسر •

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) :

وقال الثالث : اللهم اني استأجرت أجراً ، فأعديتهم اجرهم

غير رجل واحد ترك الذي له وذهب (وفي رواية مسلم : اللهم اني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز ^(١) ، فلما قضى عمله ، قال : اعطني حقي ، فعرضت عليه فرقه ، فرغب عنه) فثمرت أجره ، حتى كثرت منه الأموال (وفي رواية مسلم : فلم ازل ازعه حتى جمعت منه بقبلاً ورعاء ها) فجاءني بعد حين ، فقال : يا عبد الله - أد^٢ الي^٣ أجرى فقلت له : كل ما ترى من أجرك - من الابل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله - لا تستهزئ بي ، فقلت : اني لا استهزئ بك ، فأخذته كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً .

" اللهم - فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه "

فانفجرت الصخرة - فخرجوا يمشون)) ^(٢)

قال الامام النووي ^(٣) : " استدل اصحابنا بهذا - على انه

يستحب للانسان ان يدعو في حال كربه ، وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل الى الله تعالى به ، لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم ، وذكره النبي (صلى الله عليه وسلم) في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم ^(٤) "

(١) الفرق (بفتح الراء) : اناء بسع ثلاثة أصع الأرز .

(٢) رواه الامام البخاري بسنده واللفظ له ، باب من استأجر أجيراً فترك أجره ٣٥٦/٥

ورواه الامام مسلم بسنده ، باب قصة اصحاب الغار الثلاثة ٥٨٣/٥ - ٥٨٤

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) شرح مسلم باب قصة اصحاب الغار الثلاثة ٥٨٣/٥

وقال الحافظ ابن حجر (١) : " وفي هذا الحديث استحباب الدعاء

في الكرب ، والتقرب إلى الله تعالى بذكر صالح العمل ، واستتجاز وعده بسوء الهمة " (٢)

وإذا كان التوسل بصالح الأعمال مستحباً ومستجاباً فمن باب أولى التوسل بالإيمان ، وذلك لأن الإيمان هو الأساس لكل الأعمال الصالحة ، ولهذا كثيراً ما ورد في الدعوات القرآنية التوسل به وبمقتضياته من السمع والطاعة والتوكل على الله واتباع الرسول وغيرها .

ومن ذلك قوله تعالى * الذين يقولون : ربنا اننا آثمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار * (٣)

وقوله عز وجل * ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا - ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفرنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * (٤)

وقوله سبحانه * فقالوا : على الله توكلنا - ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين * (٥)

وقوله جل ثناؤه : * ربنا آثمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين * (٦)

وقوله * وقالوا : سمعنا وأطعنا - غفرانك ربنا وإليك المصير * (٧)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) فتح الباري ، حديث الفار ٣١ / ٧

(٣) آل عمران / ١٦

(٤) آل عمران / ١٩٣

(٥) يونس / ٨٦

(٦) آل عمران / ٥٣

(٧) البقرة / ٢٨٥

٢ - التوسل بدعاء الرجل الصالح :

وما تقدم بيانه - علمنا ان التوسل في الدعاء بل لعمل الصالح الذي قام به الداعي بنفسه ابتغاء وجهه - توسل مشروع مفيد محقق للغرض ، وانه من ارجى وسائل الاجابة .

ولكن اذا اراد المسلم ان يدعو بها فيه مصلحة عامة او اذا وقع في ضيق شديد او في حاجة ماسة واحب ان يتوسل في دعائه بالعمل الصالح الذي قام به بنفسه ابتغاء وجهه - فبحث عن صالح اعماله بظن انه اخلص فيه - فلم يجده ، وخاصة اذا علم من نفسه التقصير في اداء الاعمال الصالحة من الفرائض والنوافل ، او التفريط بفعل الاعمال السبقة من المنكرات والنواهي - فينبغي له ان يذهب الى رجل حتى يعتقد فيه انه صالح وأتقى وأرجى الحالات منه فيطلب من ذلك الرجل ان يشترك معه في دعاء ما فيه مصلحة عامة ، او ان يدعو له ربه لكي يفرج عنه كربته او يقضى له حاجته . وهذا نوع آخر من التوسل المشروع المفيد المحقق للغرض ، وهو من ارجى وسائل الاجابة .

وقد وردت في ذلك وقائع نموذجية في السنة الشريفة ووقعت نماذج

اتباعية من فعل الصحابة الكرام (رضى الله عنهم) .

١ - فمنها : حديث الضريمر :

ورد عن عثمان بن حنيف (١) : ((ان رجلا ضرب بالبصر - أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : ادع الله ان يعافيني ، قال : ان شئت

(١) هو الصحابي الجليل عثمان بن حنيف بن واهب بن الحُكَيْم بن ثعلبة بن الحارث ابن مجدعة الانصاري - (اخو سهل بن حنيف) وكان له بصر وعقل ومعرفة وتجربة وقد ولاه عمر مساحة الارضين وجبايتها ، ثم ولاه على البصرة ، ثم سكن الكوفة وبقي الى زمان معاوية .

دعوت ، وان شئت أخرت ، ذلك فهو خير (وفي رواية للترمذى : وان شئت صبرت فهو خير لك) (١)

فقال : ادعه .

فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلى ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء :
 " اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ،
 (يا محمد - انى توجهت بك الى ربي في حاجتى لتقضى لى) ، اللهم
 فشقه فى - وشققنى فيه " (٢)
 قال : ففعل الرجل فبراً (٣)

(١) لعل النبي (صلى الله عليه وسلم) أشار ذلك الى " الحديث القدسي " ((انه تعالى يقول : اذا ابتليت عبدى بحبيته - أى عينه - فصبر ، عوضتهما الجنة)) (رواه الامام البخارى بسنده عن أنس ٤١١/٢)

(٢) أى : اللهم اقبل شفاعتي النبي (صلى الله عليه وسلم) بدعائى -
 فى أن ترد على بصرى ، واقبل شفاعتى من توسلى اليك بدعائى -
 مع دعائى فى أن ترد على بصرى .

(٣) رواه الامام الترمذى بسنده وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب
 ٢٣ - ٢٢ / ١٠

ورواه الامام ابن ماجه بسنده ، وقال : " قال ابواسحاق : هذا حديث
 صحيح " باب ما جاء فى صلاة الحاجة ٤٤١/١ - ٤٤٢
 ورواه الامام الحاكم بسنده ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد
 ولم يخرجاه .

وأقرره / الذهبى ، وقال : صحيح ، باب دعاء رد البصر
 ٥١٩/١

ورواه الامام احمد فى مسنده ، حديث عثمان بن حنيف (رضى
 الله عنه) ١٣٨/٤

وفي هذا الحديث الشريف دليل على ان التوسل بدعاء الرجل الصالح مستحب ومستجاب ، وانه من ارجى وسائل الاجابة ، وذلك لان اتيان الضرير الى النبي (صلى الله عليه وسلم) كان ليسأله ان يدعو له بالعافية وليتوسل بدعائه (صلى الله عليه وسلم) ، بدليل قوله بعد الاتيان : ((ادع الله ان يعافيني)) . وبدليل اسناده (صلى الله عليه وسلم) الدعاء الى نفسه في وعده بالدعاء - يقول : ((ان شئت دعوت)) . وايضا بدليل اختيار الضرير الدعاء واصراره على اصل قصده بالاتيان وهو قوله ((ادعه)) وان ذلك يقتضى ان النبي (صلى الله عليه وسلم) وفى بما وعد مع الضرير بالدعاء له ان شاء ، فقد شاء الضرير الدعاء وأصر عليه ، فدعا (صلى الله عليه وسلم) له ، لأنه (صلى الله عليه وسلم) خير من وفى بما وعد .

قال الامام الطيبى (١) : " أسند النبی (صلى الله عليه وسلم) الدعاء الى نفسه ، وكذا طلب الرجل ان يدعو هو (صلى الله عليه وسلم) ، ثم أمره (صلى الله عليه وسلم) ان يدعو هوأى : الرجل ، كأنه (صلى الله عليه وسلم) لم يرض منه اختياره الدعاء - لما قال : الصبر خير لك ، لكن في جملة شفعها له ووسيلة في استجابة الدعاء - ما يفهم انه (صلى الله عليه وسلم) شريك فيه " (٢)

٢ - ومنها : حديث الاستسقاء :

وأصرح من حديث الضرير السابق في ان التوسل بدعاء الرجل الصالح مستحب ومستجاب - حديث الاستسقاء الذى رواه شريك بن عبدالله بن ابي نمر (٣) ، انه سمع انس بن مالك (١) (رضى الله عنه) يذكر :

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) نقله الامام المباركورى في تحفة الاحوذى ١٠ / ٢٢

(٣) هو ابو عبدالله شريك بن عبدالله بن ابي نمر القرشى المدني وكان ثقة كثير الحديث .

: ((أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ^(١) ورسول الله صلى الله عليه وسلم) قائم يخطب - فاستقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائماً ، ثم قال :

” يا رسول الله هلكت الاموال (وفي رواية للبخارى : هلكت

المواشى) ^(٢) وانقطعت السبل ^(٣) - فادع الله يغيثنا ” .

قال : فرفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يديه ثم قال :

” اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ”

قال أنس : ولا - والله - ما نرى في السماء من سحب ولا قرعة ^(٤) ولا شيئاً

ولا بيننا وبين سلع ^(٥) من بيت ولا دار ^(٦)

(١) قال الحافظ ابن حجر : بكسر واو - وجاه ، ويجوز ضمها ، أى : مواجهته

(٢) الأموال هي المواشى ، خصوصاً الابل

والمراد بهيلاكهم : عدم وجود ما يعيشون به من الاقوات المفقودة بحبس المطر .

(٣) المراد بانقطاع السبل : ان الابل لم تسلكها - لخوف هلاكها اولضعفها

بسبب قلة الكلأ أو عدمه

(٤) بفتح القاف والزاي ، وجمعها : قزح ، لكسبة وقصب ، وهي : القطعة من السحاب .

(٥) بفتح السين المهملة وسكون اللام ، وهو جبل بقرب المدينة المنورة .

(٦) وأشار بذلك الى ان السحاب مفقود تماماً وهم مشاهدون الى السماء بدون

مستتر بأى شيء فلا يبيت ولا بدار ، ومع ذلك فلم يروا في السماء من سحب ولا قرعة .

قال : فطلعت من ورائه (١) سحابة مثل الترس (٢) ، فلما توسطت السماء

انتشرت ثم أمطرت .

قال : والله ، ما رأينا سببا (٣)

قال : ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة — ورسول الله (صلى

الله عليه وسلم) يخطب ، فاستقبله قائما : فقال :

" يا رسول الله — هلكت الأموال ، وانقطعت السبل (٤) فادع الله

بمسكها "

قال : فرفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يديه ثم قال :

" اللهم حول بنا ولا علينا ، اللهم على الآكام (٥) ، والظروب (٦) ،

والأودية ومنابت الشجر "

قال : فانقطعت ، وخرجنا نمشي في الشمس .

قال شريك : فسألت أنسا — أهو الرجل الأول ؟

قال : لا أدري (((٧)

(١) أي : من وراء " سلج " ، وكأنها نشأت من جهة البحر لأن وضع سلج

بقتضى ذلك .

(٢) قال الحافظ ابن حجر : أي — مستديرة ، ولم يرد أنها مثله في القدر

(٣) كناية عن استمرار الخيم . الماطر أسبوعا ، وعبر عنه بالسبت من باب تسمية

الكل باسم بعضه ، كما يقال : الجمعة

(٤) بسبب غير السبب الأول : فهلاك المواشى من عدم الروى أو عدم ما يكفيها من

كثرة الماء التي تسبب انقطاع المرى ، وانقطاع السبل من تعذر سلوكها من
كثرة الماء .

(٥) جمع — أكمه (بفتحات) وهي : التراب المتجمع

(٦) جمع — ظرب (بكسر الراء) : الجبال الصفار والروابي

(٧) رواه الامام البخارى بسنده ، باب الاستسقاء في المسجد الجامع ١٥٤/٣ —

وهذا الحديث صريح في ان التوسل بدعاء الرجل الصالح مستحب -

ومستجاب ، وانه من ارجى وسائل الاجابة .

وذلك لأن هذا الحديث يبين لنا ان رجلا دخل المسجد يوم الجمعة حيث كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخطب - وعرض ذلك الرجل على النبي (صلى الله عليه وسلم) شدة حالهم وجذب ارضهم وهلاك ما شبتهم وانقطاع طريقهم ، وطلب منه (صلى الله عليه وسلم) ان يدعو الله وحده لا شريك له لينقذهم مما هم فيه ، فاستجاب له النبي (صلى الله عليه وسلم) طلبه ودعا لهم ربه وأجاب الله دعاء نبيه من توسل رجل به ، ورحم تعالى عباده ونشر رحمته وانزل من سماء ماء فاحيا به بلدهم الميت .

ومثل ذلك ان رجلا اخر أوتفاس ذلك الرجل دخل المسجد يوم الجمعة التالية - ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخطب ، وشكا له وهلاك ما شبتهم وانقطاع طريقهم من كثرة الماء ، وطلب منه ان يدعو له ربه الواحد ليسك عنهم الامطار ، فاستجاب له طلبه ودعا لهم الله فأجاب سبحانه دعاء نبيه من توسل رجل به ، فانقطعت الامطار عنهم ، وهم يحبشون عيشة راضية .

٣ - ومنها : حديث استسقاء عمر بالعباس

ومن أشهر ما وقعت به نماذج اتباعية من فعل الصحابة الكرام (رضى الله عنهم) في التوسل بدعاء الرجل الصالح - ما يتوسل به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١) (رضى الله عنه) بدعاء عم النبي (صلى الله عليه وسلم) عباس بن عبد المطلب . (٢)

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) هو الصحابي الجليل ابو الفضل عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي المكي ، كان رئيسا في الجاهلية واليه العمارة والسقاية ، وأسلم

وكان عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) يقصدون النبي (صلى الله عليه وسلم) في زمن حياته ، و يطلبون منه ان يدعو لهم ، ويتوسلون الى الله تعالى بدعائه (صلى الله عليه وسلم) و اذا كان (صلى الله عليه وسلم) انتقل الى الرفيق الاعلى وهم يعلمون علم اليقين انه لم يجد من الممكن ان يدعو لهم (صلى الله عليه وسلم) ، ولذلك فانهم يقصدون الرجل الذي يروونه صالحا وثقيا وأرجى الحالات من بينهم و يطلبون منه ان يدعو لهم ويتوسلون اليه تعالى بدعاء ذلك الرجل الصالح .

وأما المؤ منين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في عهد امارته كان يقصد الى عم النبي (صلى الله عليه وسلم) عباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) و يطلب منه ان يدعو له ، وذلك لمقام العباس من النبي (صلى الله عليه وسلم) ولصلاحه وتقواه (رضي الله عنه) .
وذلك ما ورد عن أنس بن مالك (١) (رضي الله عنه) : ((ان عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال :

” اللهم انا نتوسل اليك بنبينا — فتسقينا

وانا نتوسل اليك بهم نبينا — فاسقنا ”

قال : فيسقون)) (٢)

=== قبيل فتح خيبر ، وكان أنصر الناس لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد ابي طالب ، وكان جوادا وصولا للرحم ذا رأى حسن ، وكان لا يمر بصر وعثمان وهما راكبان الا نزلا حتى يجوزا - اجلا لآله ، وتوفي سنة ٣٢ هـ وهو ابن ٨٨ سنة .

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) رواه الامام البخارى بسنده ، باب سؤال الناس الامام الاستسقاء ١٥٠/٣ وباب ذكر العباس من كتاب فضائل اصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ٢٨/٨

وهذا دعاء عمر وتوسله بدعاء العباس :

(وان العباس لما استسقى به عمر ، قال :

" اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ، ولم يكشف الا بتوبة ، وقد توجه

القوم بي اليك - لمكاني من نبيك ، وهذه تيايدينا اليك بالذنوب ،

ونواصينا اليك بالتوبة ... فاسقنا الغيث " .

قال : فأرخت السماء مثل الجبال حتى اخضبت الارض وعاش الناس (١)

وفي رواية عن أنس قال : (كانوا اذا قحطوا على عهد النبي

(صلى الله عليه وسلم) استسقوا فيستسقى لهم - فيسقون

فلما كان في اشارة عمر (٥٥٥٠) (٢) فذكر الحديث

وحديث استسقاء عمر بالعباس هذا صريح في ان عمر كان يتوسل

بدعاء العباس (رضى الله عنهم) . وذلك لصالح العباس وتقواه ومقامه من النبي

(صلى الله عليه وسلم) ، وهذا الدعاء كله لمصلحة عامة .

قال الحافظ ابن حجر (٣) : " ويستفاد من قصة العباس - استحباب

الاستشفاع باهل الخير والصالح واهل بيت النبوة " (٤)

ومعنى ذلك ان التوسل بدعاء الرجل الصالح مستحب ومستجاب

وهو من أرجى وسائل الاجابة .

(١) نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن انساب الزبير بن بكار ١٥٠/٣

وأخرجه الامام ابن عساكر في تهذيب التاريخ ٢٤٦/٧

(٢) نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن مستخرج الاسماعيلي باسناد

البخاري الى أنس باب سؤال الناس الامام الاستسقاء ١٥١/٣

(٣) تقدمت ترجمته

(٤) فتح الباري باب سؤال الناس الامام الاستسقاء ١٥١/٣

رابعاً : أرجى مواطن الاجابة

وقد حصر الاسلام الدعاء من القبول المكانة المتميزة ، ولم يشترط المواطن الخاص في الدعاء . فان الأرض برها وبحرها وجوها محراب كبير للداعي فحيثما توجه يستطيع ان يدعو ربه — لأن ربه قريب منه ومجيب له اينما كان .

قال تعالى * واذا سألك عبادي عني فاني قريب — أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليوءمنوا بي لهم يرشدون * (١)
ولذلك رأينا رسل الله (عليهم الصلاة والسلام) يدعون الله وهم في المواطن المختلفة :-

رأينا نبي الله نوحا (عليه السلام) يدعو ربه وهو على الفلك فوق
الامواج وأجاب الله دعاءه .

قال تعالى * فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك ، فقل : الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين . قل : رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين * (٢)

وقال سبحانه * ونوحا اذ نادى من قبل — فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم . ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ، انهم كانوا قوم سوء فاعرقناهم اجمعين * (٣)

ورأينا نبي الله ذا النون يونس (عليه السلام) يدعو ربه وهو في
بطن الحوت في قاع البحر وأجاب الله دعاءه .

قال تعالى * وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه ، فنادى في الظلمات (٤) : أن لا اله الا انت — سبحانه — اني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ، ونجينا من الغم ، وكذلك ننجي المؤمنين * (٥)

(٢) المؤمن ٢٨ / ٢٩

(١) البقرة ١٨٦

(٣) الانبياء ٧٦ — ٧٨

(٤) اي : ظلمة بطن الحوت وظلمة قاع البحر وظلمة جوف الليل

(٥) الانبياء ٨٨ — ٨٩

ورأينا نبي الله يوسف (عليه السلام) يدعو ربه وهو في السجن أو في

بابه وأجاب الله دعاءه .

قال تعالى * قال : رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف

عني كبد من أضب البهرن واكن من الجاهلين . فاستجاب له ربه فصرف عنه

كبد من . انه هو السميع العليم * (١)

ورأينا رسل الله (عليهم الصلاة والسلام) يدعون الله وهم في مماركهم

ضد الباطل ، وأجاب الله ادعتهم .

ومع ذلك فقد ذهبت طائفة من العلماء الى ذكر بعض المواطن على أنها

أرجى للإجابة من غيرها ، مثل في المساجد الثلاثة ، وعند الملتزم ، وعند

زمن ، وخلف المقام ونحوها .

قال الامام الجزري (٢) : " اماكن الاجابة هي : المواضع المباركة " (٣)

ووجه ذلك — كما قال الامام الشوكاني (٤) : " انه يكون في هذه

المواضع المباركة مزيد اختصاص ، فقد يكون مالها من الشرف والبركة مقتضيا

لعود بركتها على الداعي فيها ، وفضل الله واسع وعطاؤه ه جم " (٥)

والذي يظهر انه ليس هناك دليل ثابت صريح في تعيين مواطن

الاجابة ، وأما ما روى عن ابن عباس (٤) (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى

الله عليه وسلم) قال : ((ما بين الركن والمقام ملتزم ما يدعوه صاحب عاهة الا برا)) (٦)

فهو حديث ضعيف جدا .

(١) يوسف / ٣٣-٣٤

(٢) هو الامام محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري ، ولد بدمشق سنة ٧٥١ هـ ورحل الى مصر وشيخراز والحرمين ، ومهر في كثير من العلوم خصوصا علم القرآن وروى على الملوك الكبار ، وله مصنفات كثيرة ومنها : التوضيح في شرح المصابيح ، وتوفي بشيخراز سنة ٨٣٣ هـ

(٣) عدة الحصن الحصين ص ٤٤ (٤) تقدمت ترجمتهما (٥) تحفة الذاكرين ص ٤٤

(٦) اورده الامام الميهشي في مجمع الزوائد (٢ / ٤٦٦) وعزاه الى الطبراني في

الكبير ثم قال : وفيه عباد بن كثير الثقي وهو متروك .

وقال الامام الشوكاني في تحفة الذاكرين ص ٤٥ : ان الحديث ضعيف بالمرة .

الكتاب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم :-

○ آداب الدعاء القلبية .

○ آداب الدعاء من حيث كلفيته .

○ آداب الدعاء من حيث الفاظه وصيغته .

○ آداب الدعاء المقرونة بالصلاة .

الباب الثاني

آداب الدعاء

ومما سلف ذكره — ان الدعاء هو العبادة ، والعبادة لها شروط
ولها آداب ، وقد ذكرت شروط الدعاء في فصل اجابة الدعاء ، واما آدابه
فأذكر — ان شاء الله — في هذا الباب .

والآداب : جمع أصيب ، وهى : طرق تعامل المعبود مع ربه ،
والمراد بآداب الدعاء — هنا — ليست كمكاملة للفرائض والواجبات والسنن — كما
اصطلح عليه بعض الفقهاء بالآداب ، وانما هي قد تكون من الفرائض والواجبات
والسنن نفسها .

قال الحز بن عبد السلام (١) : " رب بر — مردود الدعاء ، لتقصيره
في القيام بآدابه " (٢)

وآداب الدعاء قد تكون قلبية وقد تكون من حيث كهيته وقد تكون
من حيث الفاظه وصيغته . وقد تكون من الدعوات المقرونة بالصلاة . ولهذا
أقسمها واتكلم كل واحدة منها في فصل مستقل — ان شاء الله .

(١) هو الامام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن ابي القاسم بن الحسن
السلي الدمشقي — الملقب بسلطان العلماء ولد سنة ٥٢٧ هـ في
دمشق ، ونشأ فيها وكان فقيها شافعيًا بلغ رتبة الاجتهاد ،
فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الخزالي ثم الخطابة بالجامع
الأموى ، ثم خرج الى مصر ، وله مؤلفات مفيدة ومنها : قواعد
الاحكام في مصالح الانام ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ
(٢) قواعد الاحكام ، فصل في ٠٠٠ فروض كفايات وفروض أعيان ٥٣/١

الفصل الأول

آداب الدعاء القلبية

١٠ التضرع .

١٠ الخوف .

١٠ الطمع .

الفصل الأول

آداب الدعاء القلبية

١ - التضرع

ان من آداب الدعاء القلبية - التضرع ، وذلك لان الله تعالى امر عباده مرشدا لهم ان يدعوه متضرعين .

قال تعالى ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ، انه لا يحب المعتدين ﴾ (١) والتضرع هو الحالة القلبية المطلوبة من الداعين ، وهو التذلل والتخشع والمبالغة في الدعاء بين يدي الله سبحانه وتعالى مقبلين عليه وحده ومعرضين عما سواه ومظهرين شدة الفقر والحاجة اليه مشاهدين ان ربهم هو الفنى القادر على اجابة ادعيتهم وسد حوائجهم عاجلا او آجلا .

قال الامام الفخر الرازى (٢) : " التضرع - التذلل والتخشع وهو اظهار حال النفس ، من قولهم : ضرع فلان لفلان وتضرع له - اذا اظهر الذى له في معرض السؤال . . . "

وقال : " اعلم ان المقصود من الدعاء ان يصير العبد مشاهدا لحاجة نفسه ولعجز نفسه ومشاهدا لكون مولاه موصوفا بكمال العلم والقدرة والرحمة فكل هذه المعاني دخلت تحت قوله : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا ﴾ (٣) وقال الامام ابن الاثير (٤) : " التضرع التذلل والمبالغة في السؤال والرغبة . " (٤)

(١) الاعراف / ٥٥

(٢) تقدمت ترجمتهما

(٣) مفاتيح الغيب ١٤ / ١٢٨

(٤) النهاية في غريب الحديث والاثار ٣ / ٨٥

والتضرع من أجل آداب الدعاء ، وقد يعبر الله سبحانه وتعالى
الدعاء بالتضرع ، وخاصة في مواطن الشدة — كما تقدم بحثه في فصل
معنى الدعاء .

قال تعالى ﴿ ولقد ارسلنا الى أم من قبلك فاخذناهم بالبأساء
والضراء لعليهم يتضرعون ﴾ (١)

قال الامام الشوكاني (٢) : " أى — يدعون الله بضراعة ، مأخوذ
من الضراعة : وهي : الذل " (٣)

وقال سبحانه ﴿ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم
يضميرون . ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ (٤)
وقال الامام الشوكاني (٥) : " أى — وما يخشعون لله في الشدائد
عند اصابتهما لهم ولا يدعونه لرفع ذلك " (٥)

ومعنى ذلك ان الكافرين لا يتضرعون اليه سبحانه حتى في مواطن
الشدة ، وقد يتضرعون فيها ثم يشركون اذا انكشف عنهم
الحال .

قال تعالى ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا
 وخفية . لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها
ومن كل كرب ثم انتم تشركون ﴾ (٦)
ولهذا فعلى المؤمن ان يتضرعوا في ادعيتهم وخاصة في مواطن
الشدة ، بالتضرع من أجل آداب الدعاء .

(١) الانعام / ٤٤

(٢) تقدمت ترجمته

(٣) فتح القدير ١١٦/٢

(٤) المؤمن / ٧٥-٧٦

(٥) فتح القدير ٤٩٤/٣

(٦) الانعام / ٦٣-٦٤

٢ - ٣ - الخوف والطمع

ومن آداب الدعاء القلبية - الخوف والطمع ، وقد أمر الله - عباده

مُرشدًا لهم أن يدعوه خائفين وطامعين .

قال تعالى * .. وادعوه خوفًا وطمئًا ، أن رحمة الله قريب

من المحسنين * (١)

وقال سبحانه - في عرض صفات المؤمن * تتجافى جنوبهم

عن المضاجع - يدعون ربهم خوفًا وطمئًا ، وما رزقناهم ينفقون * (٢)

وينبغى للمؤمن عندما يدعوا لله أن يشعر بالخوف والطمع في آن واحد

كما يشعر الإنسان بهما عندما يرى البرق ، فهذا الإنسان يشعر بالخوف من

الصواعق أن تصيبه ، ويشعر بالطمع في المطر الذي سينزل له من

السما فبحسبى به الزراعات والنبات والأشجار .

قال تعالى * هو الذى يريك البرق خوفًا وطمئًا ، وينشىء السحاب

الثقال . ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ، ويرسل الصواعق

فصبب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال * (٣) (٤)

وقال سبحانه * ومن آياته يريك البرق خوفًا وطمئًا ، وينزل من

السما ماء فبحسبى به الأرض بعد موتها أن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * (٥)

والداعي المؤمن - قبل كل شيء - يشعر بالخوف من عقابه

تعالى وعذابه . وبالطمع في غفرانه ورحمته وجزيل ثوابه ،

وقد خوفه الله وطمئمه .

(١) الاعراف / ٥٦

(٢) السجدة / ١٦

(٣) المحال أى : الاخذ بالقوة

(٤) / الرعد / ١٢-١٣

(٥) الروم / ٢٤

فقال تعالى ﴿ نبيّ عبادي - انا الغفور الرحيم ، وان عذابي هو المذاب الاليم ﴾ (١)

وقال سبحانه ﴿ ان ربك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم ﴾ (٢)
والداعي المؤ من يشمر بالخوف من رده تعالى ، لوقوع التقصير منه في بعض الاداب والشروط المعتمدة في الاجابة ، وان اجتهد فيها فانه لا يقطع ان ادى حق ربه كما هو مطالب منه .
قال تعالى في مدح صفات المؤ منين ﴿ والذين يؤتونا - وتوبيخهم وجلة ﴾ (٣) انهم الى ربهم راجعون ﴿ (٤)
وهو يشمر بالطمع في اجابته تعالى وقبوله لان رحمة الله وسعت كل شيء .

قال تعالى ﴿ قال - عذابي اصيب به من اشاء ، ورحمتي وسعت كل شيء . . . ﴾ (٥)

وقد يتصور البمض : ان هناك تناقضا بين الخوف والطمع ، ولكن الحق انهما ضروريان لا يجاد التوازن في النفس البشرية وخاصة في قلب الداعي - بعيدا عن اى سلبية متطرفة قد تحول دون مواصلة الدعاء والعمل له ، فهما بالنسبة للداعي كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته ، فان انفرد احدهما هلك : ان انفرد به الخوف غلب عليه القنوط فهلك ، وان انفرد به الطمع غلب عليه الضرور فهلك .

اذ بالخوف وحده - دون الطمع - قد لا يرى الانسان او الداعي من الحياة الا وجهها واحدا ، وبهذا يقع حبس هذه الموائى والمناظر ومقيد ا

(١) الحجر / ٤٩ - ٥٠

(٢) الاعراف / ١٦٦

(٣) اى : خائفة

(٤) المؤ منون / ٦٠

(٥) الاعراف / ١٥٦

باتجاهاتها وكنونتها ، فالحياة تصبح في نظره كلها شرا وببلا وأذى منتظرا ، ولا يرى فيها أي إشراق من خير أو بارقة أمل تخالطها ، وهو يعيش خائفا فزعا مزعزع القوى فاقدا ثقته بنفسه ومشغولا عن أن يعمل ويدعو لتحقيق مطالبه ويأسا من روح الله وقانطا من رحمته ، فالقنوط بلد الضلال وكذلك البأس بلد الكفر ، والمكس بالمكس ، لأن كل واحد منهما سبب للآخر وثمرة له ، فالقنوط أشد الناس ضلالا كما أن الضال أكثر الناس قنوطا ، وكذلك البأس أكثر الناس كفر الناس كما أن الكافر أبأس الناس ، لأن البأس أنكر روح الله ورحمته كما أن الكافر قطع الصلة بالله تعالى . (١)

قال تعالى ﴿ ولا تبئسوا من روح الله ، انه لا يبئس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ (٢)

وقال سبحانه : ﴿ قال — ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ﴾ (٣)

وكذلك بالطمع وحده — دون الخوف — قد لا يرى الانسان أو الداعي من الحياة الا صورة واحدة ، والحياة عنده كلها خير كثير وزيادة ويرى ان الله يريد به خيرا مطلقا ولا يريد به شرا — وان كان مقصرا معرضا عن ربه لا يعبد ولا يمثل أو امره ولا يجتنب نواهيه ، وفوق ذلك وان كان منكرا لا يؤمن به ، وهو يعيش ظامعا مغرورا فلا يدعو ولا يعمل لتحقيق مطالبه .

فالمغرور (٤) بلد العصيان والكفر ، كما انهما بلدان الغرور ، والمعاصي والكافر في غرور ، كما أن المغرور في معصية وكفر .

(١) والذي يظهر أن البأس من القنوط والبأس أشد من القنوط لأنه حكم لأهل

البأس بالكفر ولأهل القنوط بالضللال ، فالبأس أشد القنوط .

(٢) يوسف / ٨٢ (٣) الحجر / ٥٦

(٤) قال الامام الراغب الاصفهاني : " وغوه كذا غرورا : كأنما طواه على غرة ، والغرة :

مغشلة في البقطة ، فالمغرور : كل ما يغفل الانسان من مال وجاه وشهوة

وشيطان (المفردات / ٥٣٧)

قال تعالى ﴿ ٠٠٠ ان الكافرون الا في غرور ﴾ (١)

وقال سبحانه ﴿ وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ﴾ (٢)

ولذلك فالخوف والطمع مطلوبان في آن واحد ، ولكن كل واحد منهما ان يكون بالنسبة المعقولة المتزنة ، وليس الخوف وحده ، او الطمع وحده ، ولا ان يكون كل واحد منهما اكثر مما ينبغي او اقل منه ، وانما هو بالقدر الذى يجعل الداعى يدعو ويحمل لتحقيق مطلوبه ، وبعبارة اخرى : ان يكون الخوف والطمع كما هو المراد بهما في الاسلام . فان الله تعالى لا يريد لعباده حياة بالخوف السلبى المتفريط ، ولا بالطمع المتطرف المفرط ، لانه اذا كان في الحياة ما يبحث على البأس والقنوط ففيها ما يبحث على الأمل والرجاء . واذا كان فيها شروبيلا وأذى منتظر ففيها من الخير ما كثروا .

وليس على الانسان الا ان يدعو الله خوفا وطمعا — خوفا لا بأس ولا قنوط فيه ، وطمعا لا غرور فيه — سواء كان في خير او عند نزول شر ، والخوف والطمع من اجل اداب الدعاء القلبية .

وقد كرر القرآن الكريم ذمه لنوع من الانسان الذى يظهر منه البأس والقنوط عند الشدة ونزول الشر .

قال تعالى ﴿ واذا انعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه ، واذا مسه الشر كان يئوسا ﴾ (٣)

وقال سبحانه ﴿ واذا مسه الشر يئوس قنوطا ﴾ (٤)

وقال : ﴿ ولئن أدقنا الانسان رحمة منا ، ثم نزعناها ، انه ليئوس كفور ﴾ (٥)

(٢) الانعام / ١٣٠

(٤) فصلت / ٤٩

(١) الملك / ٢٠

(٣) الاسراء / ٨٣

(٥) هود / ٩

والفصل الثاني

آداب الدعاء من حيث كَيْفِيَّتُهُ

- رفع اليدين .
- استقبال القبلة .
- الخفية .

الفصل الثاني

آداب الدعاء من حيث كيفيته

١ - رفع اليدين

ان رفع اليدين في الدعاء أدب من آداب الدعاء من حيث كيفيته ، بل هو من اعظم آدابه ومن أرجاها للإجابة ، وهذا لفعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذلك في أدعته المتنوعة من المواضع المختلفة .

١ - فقد ورد عن ابن عمر (١) (رضى الله عنهما) : ((انه كان يرى الجمرة الدنيا بسبع حصيات ، ثم يكبر على اثر كل حصاة ، ثم يتقدم فيسهل (٢) فيقوم مستقبل القبلة قياما طويلا - فیدعو ويرفع يديه ، ثم يرمى الجمرة الوسطى كذلك فيأخذ ذات الشمال فيسهل ويقوم مستقبل القبلة قياما طويلا - فیدعو ويرفع يديه * ثم يرمى الجمرة ذات العقبة من بطن الوادي ولا يقف عندها : ويقول : " هكذا رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يفعل " (٣)

٢ - وورد عن ابي موسى الاشعري (١) (رضى الله عنه) في حديث غزوة اوطاس (٤) الطويل وفيه : ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((دعا بما فتوضأ ، ثم رفع يديه ، فقال :

" اللهم اغفر لعبيد ابي عامر (٥) "

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) اي : بقصد السهل من الارض وهو المكان الذي لا ارتفاع فيه

(٣) رواه الامام البخاري بمسنده ، باب رفع اليدين عند جمرة الدنيا والوسطى ٤ / ٣٣٢

(٤) هو واد من ديار هوازن

(٥) هو الصحابي الجليل ابو عامر عبيد بن سليم بن حضار الاشعري - عم ابي موسى

الاشعري ، وكان ابو عامر من كبار الصحابة وبعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

على جيش الى اوطاس وشهد فيها .

وقال ابو موسى : ورأيت بياض ابطنه

ثم قال : " اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من

الناس " .

فقلت : ولي فاستغفر .

فقال : " اللهم اغفر لعبدك بن قيس (١) ذنبه ، وأدخله

يوم القيامة مدخلا كريما " .

قال ابو بردة (٢) : احدهما لأبي عامر والاخرى لأبي موسى (((٣)

٣ - وورد عن عمر بن الخطاب (٢) (رضي الله عنه) قال :

((لما كان يوم بدر - نظر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى المشركين

وهم ألف ، واصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا . فاستقبل نبي الله (صلى

الله عليه وسلم) القبلة ، ثم مد يديه فجعل يهتف (٤) بربه ، يقول :

" اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم

ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الأرض " .

فما زال يهتف بربه ما دأ يديه . مستقبل القبلة ، حتى سقط

رداءه عن منكبيه ، فأتاه ابو بكر (٢) فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه

ثم التزمه من ورائه ، وقال : " يا نبي الله ، كفك مناشدتك (٥) ربك

فانه سينجز لك ما وعدك " .

(١) هو ابو موسى الاشعري

(٢) تقدمت ترجمتهم

(٣) رواه الامام البخاري بسنده ، باب غزوة اوطاس ١٠٣/٩ - ١٠٤

(٤) اي : يصيح ويستغيث بالله بالدعاء

(٥) بالرفع والنصب ، فمن رفعه جعله فاعلا بكفاك ، ومن نصبه فعلى المفعول

بما في كفك من معنى الفعل من الكف ، والمناشدة : الدعاء والسؤال ،

مأخوذ من النشيد وهو رفع الصوت .

فانزل الله عز وجل * اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم (١)
 بالف من الملائكة مردفين (٢) * فامده الله بالملائكة (((٤)
 ومما يدل على ان رفع اليدين من أعظم آداب الدعاء ومن أرجاها
 للإجابة هو ما ورد عن سلمان الفارسي (٥) (رضي الله عنه) قال :
 قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (ان الله حيي كريم يستحي من
 عبده اذا رفع يديه - ان يردهما صفرا (٦) خائبين (٧) (((٨)

(١) اي : محبتكم (٢) اي : مقتابعين

(٣) الانفال / ٩

(٤) رواه الامام مسلم بسنده ، باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر ٣٧٤/٤ - ٣٧٥
 ورواه الامام الترمذي بسنده ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، باب
 تفسير سورة الانفال ٤٦٩/٤ - ٤٧٠

(٥) هو الصحابي الجليل ابو عبد الله سلمان الفارسي كان اذا قيل له : ابن
 من أنت ؟ قال : انا سلمان بن الاسلام من بني آدم ، واصله من فارس
 من " رام هرمز " من قرية " جي " وكان يطلب دين الله ويتبع من يرجو
 ذلك عنده ، واول مشاهدته الخندق ، وهو الذي أشار بحفره ، وكان
 خيرا فاضلا حبرا عالما زاهدا متقشفا حتى عندما يكون اميرا على المدائن ،
 وتوفي سنة ٣٥ هـ .

(٦) بكسر الصاد المهملة وسكون الفاء ، اي : خاليتين ، ويستوي فيه المذكر
 والمؤنث والتثنية والجمع .

(٧) من الخيبة وهي : الحرمان

(٨) رواه الامام الترمذي بسنده ، وقال : هذا حديث حسن غريب كتاب الدعوات (باب
 ١١٨) ٥٤٤/٩

ورواه الامام ابو داود بسنده ، باب الدعاء ٣٥٩/٤

ورواه الامام ابن ماجه بسنده ، باب رفع اليدين في الدعاء ١٢٧١/٢

ورواه الامام ابن حبان بسنده ، ذكرهما يستحب للمرء عند ارادة الدعاء ١٦٨/٢

ورواه الامام الحاكم بسنده ، وقال : اسناده صحيح على شرط الشيخين ، وقال

وله شاهد باسناد صحيح من حديث انس بن مالك ورواه بسنده نحوه

وأقرهما الامام الذهبي ، باب ان الله حيي كريم ٤٩٧/١ - ٤٩٨

ومن اللطائف في هذا الحديث الشريف : انه (صلى الله عليه وسلم) ذكر في معرض اجابة الدعاء - أدبا من آدابه وهو رفع اليدين ولم يذكر الدعاء ، فكان رفع اليدين هو الدعاء ، ومعنى ذلك ان رفع اليدين من أعظم آداب الدعاء ومن أرجاها للجابة .

وهناك الاحاديث الكثيرة الموفورة في ثبوت رفع اليدين في الدعاء من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وقد افردھا الامام البخارى (١) في جملعه (٢) بترجمة من كتاب الدعوات ، وهى باب رفع الأيدي في الدعاء ، وساق فيها عدة احاديث . (٣)

وقد جمعها الامام النووي (٤) وساق جملة منها في فصل قنوت الصبح ، باب صفة الصلاة من المجموع (٥) (٤٨٧/٣ - ٤٩٠)

وقال : " وفي المسألة احاديث كثيرة غير ما ذكرته ، وفيما ذكرته كفاية ، والمقصود ان يعلم ان من ادعى حصر المواضع التي وردت الاحاديث بالرفع فهو غلط غلطا فاحشا " (٦)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) تقدم تحريفه

(٣) انظر صحيح البخارى ٣٩١/١٣ - ٣٩٢

(٤) تقدمت ترجمته

(٥) وهو كتاب جليل نفيس في شرح المذهب للامام الشيرازى (٣٩٣ - ٤٧٦ هـ)

والذى قام بشرحه الامام النووي على المذهب الحنفى الذى اخذ به نفسه والتزمه . من تفسير آيات الاحكام وشرح احاديثها وتخرجها وبيان علمها ودرجاتها والترجمة لرواتها وشرح المفردات اللغوية الواردة في متن المذهب . وذكر جميع اقوال الأئمة عن الفقهاء والترجيح بين آرائهم ومذاهبهم ولكنه عاجلته المنية دون ان يتمكن من اكماله من حيث انتهى في وسط باب الربا .

(٦) المجموع . باب صفة الصلاة (فرع استحباب رفع اليدين في الدعاء ٤٩٠/٣)

وقال في موضع آخر : " وهي أكثر من ان تحصر ، وقد جمعت
منها نحو من ثلاثين حديثا من الصحيحين أو أحدهما وذكرتها في أوخر
باب صفة الصلاة من شرح المذهب (١) " (٢)

شبهة والرد عليها :

وقد ورد عن أنس (٣) (رضى الله عنه) : ((ان النبي (صلى الله
عليه وسلم) كان لا يرفع يديه في شيء من دعائه الا في الاستسقاء - حتى
يرى بياض ابطيه)) (٤)

وهذا الحديث الشريف يوهم ظاهره انه (صلى الله عليه وسلم) لم يرفع
يديه في شيء في دعائه الا في الاستسقاء فقط ، والاُمر ليس كذلك .

وقد تأول هذا الحديث الشريف الامام النووي وقال : " على انه
لم يرفع الرفع البليغ بحيث يرى بياض ابطيه الا في الاستسقاء او ان المراد :
لم أره رفع وقد رآه غيره رفع ^{فيقد} المبتون في موضع كثيرة وهم
جماعات - على واحد لم يحضر ذلك ، ولا بد من تأويله لما ذكرناه " (٥)

والذى يظهر ان تأويل الامام النووي الاول على انه نفى
الرفع البليغ الذى يستدل بقوله (حتى يرى بياض ابطيه) ليس في
الاستسقاء فقط ، وانما هو في الاستسقاء وفي غيره ، وقد ورد عن ابى
موسى الأشعرى في الحديث الطويل السالف ذكره الذى استشهد
ابوعامر في غزوة أوطاس ، وفيه : ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

(١) تقدم تعريفه

(٢) شرح مسلم ، كتاب الاستسقاء ٥٥١/٢ - ٥٥٢

(٣) تقدمت ترجمته

(٤) رواه الامام مسلم بسنده ، كتاب الاستسقاء ٥٥١/٢

(٥) شرح مسلم ، كتاب الاستسقاء ٥٥٢/٢

((٠٠٠ رفع يديه ، فقال : " اللهم اغفر لعبيد ابي عامر " وقال ابو موسى :
ورأيت بياض ابطيه))

ولهذا قال الحافظ ابن حجر (١) : " وهذا الحديث (٢) رد على
من قال : لا يرفع كذا الا في الاستسقاء " (٣)

وقد جمع الشوكاني (١) بين الاحاديث الواردة في الرفع وبين
حديث انس النفي المذكور ورجح ، وقال : " وتكون الاحاديث الواردة
في الرفع في غير الاستسقاء ارجح من النفي المذكور في حديث أنس —
اما لانها خاصة — فبيني العام على الخاص ، اولانها مثبتة — وهي أولى
من النفي ، وغاية ما في حديث انس — انه نفي الرفع فيما يعلمه ، ومن
علم حجة على من لم يعلم " (٤)

والظاهر انه ينبغي البقاء على النفي المذكور عن أنس (رضى الله
عنه) وهوان رفع البليغ حتى يرى بياض الابطين لا يكون الا في
الاستسقاء ، وهذا حسب علمه (رضى الله عنه) وحسب ما رآه (صلى
الله عليه وسلم) يفعل ذلك ، وهناك من رأى أن رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) رفع الرفع البليغ حتى يرى بياض الابطين في غير الاستسقاء
— كما ورد في الدعاء لأبي عامر الذي رواه الصحابي الجليل ابو موسى
الأشعري (رضى الله عنه) ، والذي نفاه الصحابي الجليل أنس (رضى
الله عنه) هو الرفع البليغ وليس اصل رفع البدن في الدعاء —
لأن الاحاديث الواردة في اصل الرفع كثيرة لا تحصر فلا يجوز أن تخفى

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) اي حديث ابي موسى الأشعري المذكور

(٣) فتح الباري باب رفع الايدي في الدعاء ٣٩١/١٣

(٤) نيل الاوطار باب الاستسقاء بذوى الصلاح الخ ١٠/٤

على الصحابي الجليل أنس (رضي الله عنه) ، والاحاديث الواردة في اصل الرفح
وفي الرفح البليغ في الاستسقاء وغيره مثبتة والاثبات مقدم على النفي . والصحابي
الجليل أنس (رضي الله عنه) لا يعلم الرفح البليغ حتى يرى بياض الابطين
من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الا في الاستسقاء ومن علم حجة على من لم
يعلم .

إذا - فلا ترفع البدان رفعا بليغا حتى يرى بياض الابطين في شيء
من الادعية الا في الاستسقاء وفي المواضع التي ورد فيها الرفح البليغ ، ويعمل
فيما سواها من الرفح بمقتضى حديث ابن عباس (١) (رضي الله عنهما) - موقفا ،
وقال : ((المسألة - ان ترفع يدك حذو (٢) منكبيك او نحوهما ، والاستغفار -
ان تشبر بأصبع واحدة ، والابتهاال (٣) ان تمد يدك جميعا)) (٤)

ومعنى ذلك - ان اقل قدر الرفح حذو المنكبين او نحوهما - وهو عند
المسألة . واكثره مد اليدين جميعا - وهو عند الابتهاال ، وأما عند الاستسقاء
فرفعهما فوق المنكبين حتى يكشف بياض الابطين ولا يجاوز بهما الرأس .
وذلك ما ورد عن عمير (٥) مولى أبي اللحم (٦) ((انه رأى رسول الله

(١) تقدمت ترجمته

(٢) اي قريبا منهما ولكن الى ما فوق

(٣) تقدم معناه في فصل معنى الدعاء وهو : التضرع والاجتهاد في الدعاء

(٤) رواه الامام ابو داود بسنده ، باب الدعاء ٣٦٠ / ٤

(٥) هو الصحابي عمير مولى أبي اللحم ، وكان عمير شهيد مع رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) فتح خيبر وسمع منه وحفظ ، وجاء الى النبي (صلى الله عليه وسلم)
بحنين وعنده المفانم وهو عبد مملوك .

(٦) هو الصحابي الجليل أبي اللحم الغفاري (بمد الهمزة) وكان من قدماء

الصحابة وكبارهم ، واختلف في اسمه فقيل اسمه : عبد الله بن الملك ، وقيل :

خلف بن عبد الملك ، وقيل : غير ذلك ، ولقب بذلك لامتناعه من اكل

اللحم اولحم ما ذبح للاصنام في الجاهلية ، واستشهد يوم حنين ، وشهدا
معه مولاة عمير .

(صلى الله عليه وسلم) يستسقى عند احجار الزيت (١) قريبا من الزوراء (٢) قائما بدعو يستسقى رافعا كفيه لا يجاوز بهما رأسه (٣)

وهذا - لا ينافي ما ورد الرفع البليغ في حديث أنس : لاحتمال ان الملك اكثر احواله كمالا يتهين من عموم الحديث ، وأما حديث عمير هذا ففي نادر منها كما هو المتبادر من ذكر مكان مخصوص فيه ، ولاحتمال ان حديث أنس ذكر اقل قدرا الرفع البليغ وهو بحيث يكشف بياض الابط ، وأما حديث عمير هذا فكان ذكر اكثر قدرا لرفع البليغ في الاستسقاء وهو ألا يجاوز الرأس .

قال الامام الطيبي (٤) : " ومعناه : انه رفع يديه رفعا بليغا حتى يرى بياض ابطنيه ، فصارت كفاء محاذيين لرأسه - ملتصقا أن يفمره الله برحمته من رأسه الى قدميه " (٥)

وأيا لا ينافي بين ما ورد من مد اليدين جميعا في حديث ابن عباس وبين ما ورد عدم مجاوزة الرأس في حديث عمير مولى أبي اللحم : لاحتمال مد اليدين جميعا في جميع الأدعية للابتهاال ، وعدم مجاوزة الرأس في الاستسقاء فقط ، ولاحتمال مد اليدين جميعا بحيث لا يجاوز بهما الرأس جمعا بين الحديثين الشريطين .

(١) اسم موضع بالمدينة من الحرة ، سميت بذلك لسواد احجارها كانها طلبت بالزيت .

(٢) موضع بالسوق في المدينة .

(٣) رواه الامام ابوداود بسنده ، باب رفع اليدين في الاستسقاء ٣٠/٤

ورواه الامام ابن حبان بسنده ذكر البيان بان باطن اليدين الخ ١٢٠/٢

ورواه الامام الحاكم بسنده وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه

واقره الامام الذهبي . وقال : صحيح ، كتاب الاستسقاء ٣٢٧/١

ورواه الامام النسائي بسنده - عن عمير عن أبي اللحم ، باب كيف يرفع ١٥٩/٣

ورواه الامام الترمذي بسنده عن أبي اللحم ، باب ما جاء في الاستسقاء ١٣٣/٣

والذي يظهر : انه لا مانع من ان يروى الصحابي - الحديث : مرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) لنفسه مرة اخرى بواسطة الصحابي الآخر .

(٤) تقدمت ترجمته

(٥) نقله الامام ابو الطيب في عمون المعبود ، باب الدعاء ٣٥٩/٤

شبهة اخرى والرد عليها

وقد ورد عن عمارة بن رويبة (١) ، قال : ((رأيت بشربن مروان (٢) وزاد في رواية للبيهقي : يوم الجمعة) على تل المنبر - رافعا يديه ، فقال : قبح الله هاتين اليدين ، لقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما يزيد على ان يقول بيده هكذا وأشار باصبعه المسبحة)) (٣)

وقد يوهم هذا الحديث الشريف انه (صلى الله عليه وسلم) لا يرفع يديه في الدعاء - بل يقتصر على ان يشير باصبعه المسبحة ، ولكن الأمر ليس كذلك ، لان هذا الحديث يمدل دلالة واضحة على ان انكار عمارة من رفع اليدين هو عند الدعاء في خطبة الجمعة على المنبر ، كما هو صريح بنص الحديث (على المنبر) ورواية الامام البيهقي : (يوم الجمعة) .

قال الامام البيهقي (٤) : " فيه - من السنة ان لا يرفع يديه في حال الدعاء في الخطبة ويقتصر على ان يشير باصبعه " (٥)

-
- (١) هو الصحابي ابو زهيرة عمارة بن رويبة (براء وموحدة - مصغر) الثقفي (من بني جشم بن ثقف) الكوفي .
- (٢) هو الامير بشر بن مروان بن الحكم بن ابي العاص القرشي الأموي ، كان سمحا جوادا - ولي امرة المراقبين (البصرة والكوفة) ل أخيه عبد الملك سنة ٧٤ هـ وهو اول امير توفي بالبصرة سنة ٧٥ هـ وهو ابن نيف واربعين سنة .
- (٣) رواه الامام مسلم بسنده ، كتاب الجمعة (باب تحية المسجد والامام يخطب) ٥٢٥/٢ ورواه الامام ابن حبان بسنده ١٧١/٢
- ورواه الامام البيهقي بسنده ، كتاب الجمعة باب . . انه يدعوني خطبته ٢١٠/٣
- (٤) هو الامام ابو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي ولد في خسرو جرد (من قرى بيهق - بنيسابور) سنة ٣٨٤ هـ وكان من أئمة الحديث ، ونشأ في بيهق ورحل الى بغداد ثم الى الكوفة ومكة وغيرها ، وطلب الى نيسابور فلم يزل فيها الى ان توفي سنة ٤٥٨ هـ وله مصنفات كثيرة ومنها : الاسماء والصفات .
- (٥) السنن الكبرى ، باب ما يستدل على انه يدعوني في خطبته ٢١٠/٣ .

وأما ما ورد عن انس بن مالك (١) (رضى الله عنه) يذكر ((ان رجلا
دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان وجاه (٢) المنبر — ورسول الله (صلى
الله عليه وسلم) قائم يخطب فاستقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
قائما .

ثم قال : يا رسول الله ، هلكت الأموال (٣) ولانقطعت السبل (٣) ، فإدع
الله ان يغيثنا .

قال : فرفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يديه ، ثم قال :
” اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ” ((الحديث (٤)
فالظاهر ان رفع اليدين عند الدعاء في خطبة الجمعة الذي ورد به
في هذا الحديث الشريف كان لغرض وهو الاستسقاء وهذا خاص به فقط و
وأما حديث انكار الرفع فكان عاما في كل خطبة الجمعة .

قال الامام النووي (١) — في شرح حديث عمارة : ” هذا — فيه :
ان السنة — لا يرفع اليد في الخطبة ، وهو قول مالك واصحابنا وغيرهم
وحكى القاضي (٥) عن بعض السلف وبعض المالكية — اباحته لأن النبي
(صلى الله عليه وسلم) رفع يديه في خطبة الجمعة حين استسقى .
وأجاب الأولون : بأن هذا الرفع كان لظطر (٦)

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) بكسر الواو ويجوز ضمها الـاي : مواجهه

(٣) والمراد بهلاك الأموال وهي المواشي ، وعدم وجود ما يعيشون به من الأقوات

المفقودة بحبس المطر ، والمراد بانقطاع السبل : ان الابل لم تسلكها .

(٤) تقدم تخريجه

رواه البخاري ومسلم

(٥) يعني : القاضي عياض ، وتقدمت ترجمته .

(٦) شرح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تحية المسجد والامام يخطب ٥٢٥/٢ .

رفع البدن في دعوات الصلاة :

وأما الدعوات في الصلاة كدعاء الاستفتاح والادعية عند الركوع وعند الاعتدال وعند السجود وعند التشهد ونحوها فلم يرد رفع البدن في شيء منها عن صاحب الشرح إلا في القنوت .

وذلك ما ورد عن عبد الله بن الزبير (١) أنه ((رأى رجلاً رافعاً يديه بدعوقبل أن يفرغ من صلاته ، فلما فرغ منها قال : " إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يكن يرفع يديه حتى يفرغ من صلاته ")) (٢)

وأما في القنوت فقد ورد عن أنس (٣) (رضى الله عنه) قال :

((بحث النبي (صلى الله عليه وسلم) سبعين رجلاً لحاجة ، يقال لهم :

(القراء) (٤) فعرض لهم حيان من بني سليم : رجل (٥) ، وذكوان (٦) عند بئر ، يقال لهما : (بئر معونة) (٧)

(١) هو الصحابي الجليل أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ابن عبد المزى بن قصي القرشي الأسدي ، ولد في السنة الأولى من الهجرة وكان كثير الصلاة والصيام وشديد البأس ، ويبيع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ بعد موت معاوية بن يزيد وقتل في أيام عبد الملك ٧٣/٥/١٧ هـ

(٢) أورده الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني : وقال : ورجاله

ثقات . باب ما جاء في الإشارة في الدعاء ورفع البدن ١٦٩/١٠

(٣) تقدمت ترجمته

(٤) قد بين قتادة في روايته : أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل وفي رواية

ثابت : ويشترون به الطعام لأهل الصفة ويتدارسون القرآن بالليل ويحملون

(صحيح البخاري ٣٨٩/٨)

(٥) بكسر الراء وسكون الميمطة ينسبون إلى رجل بن عوف بن مالك ابن أمية

القيس بن لبيبة بن سليم — بطن من بني سليم .

(٦) ينسبون إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم

(٧) موضع في بلاد هذيل بين مكة وعسفان

فقال القوم : " والله ما اياكم اردنا انما نحن مجتازون في حاجة للنبي (صلى الله عليه وسلم) " - فقتلوهم
فدعا النبي " (صلى الله عليه وسلم) شهيرا في صلاة الغداة : وذلك بدء القنوت ، وما كنا نقت (١)

وقال انس بن مالك في قصة القراء وقتلهم : ((لقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كلما صلى الغداة - رفع يديه - يدعو عليهم ، يعني على الذين قتلوهم)) (٢)

وورد عن ابي رافع (٣) قال : ((صليت خلف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقلت بعد الركوع ورفع يديه وجهرا بالدعاء)) (٤)
وقال الامام البيهقي (٥) : " ان عددا من الصحابة (رضي الله عنهم) رفعوا ايديهم في القنوت مع ما رويناه عن انس بن مالك عن النبي (صلى الله عليه وسلم) " (٦)

-
- (١) رواه الامام البخارى بسنده باب غزوة الرجيع ٣٨٨/٨ - ٣٨٩
(٢) رواه الامام البيهقي بسنده باب رفع اليدين في القنوت ٢١١/٢
وقال الامام النووي : واسناده صحيح أو حسن (المجموع ٤٨٠/٣)
(٣) هو التابعي الجليل ابو رافع الصائغ اسمه : نفيح . قال الامام ابن عبد البر : " لا اعرف لمن ولاؤه ولا اقف على نسبه " وهو مشهور من علماء التابعين ، ادرك الجاهلية ، ويعد في البصريين .
(٤) رواه الامام البيهقي بسنده ، وقال : وهذا عن عمر (رضي الله عنه) صحيح ، باب رفع اليدين في القنوت ٢١٢/٢
(٥) تقدمت ترجمته .
(٦) السنن الكبرى ، باب رفع اليدين في القنوت ٢١١/٢

صفة البدين من حيث باطنهما وظاهرهما :

والاصل في صفة البدين عند الرفع للدعاء يكون بباطنهما الا عند الاستعاذة لدفع البلاء او لرفعه فانها بظاهرها .
والدليل على ذلك ما ورد عن مالك بن يسار (١) : ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (اذا سألتكم الله فاسألوه ببطون اكهم ولا تسألوه بظهورها) (٢)

والظاهر من هذا الحديث الشريف ان السؤال يكون بباطن البدين ولا يجوز بظاهرها .

والحكمة في ذلك - كما قال الامام ابو الطيب (٣) : " لأن اللائق بالطالب لشئ يناله ان يمد كفيه الى المطالب ويسطرها مقصرا - لئلا يملأها من عطائه الكثير المؤذن به رفع البدين اليه جميعا " (٤)
وقد ورد عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) : (ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) استسقى ، فأشار بظهير كفيه الى السماء) (٥)
وقد يوهم ظاهر هذا الحديث الشريف انه (صلى الله عليه وسلم) يستسقى بظهير كفيه فقط . والا لم يمس كذلك ، فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) انه يدعو في الاستسقاء رافعا بباطن يديه .

-
- (١) هو الصحابي مالك بن يسار السكوني ثم العوفي ويمد في الشاميين .
 - (٢) رواه الامام ابوداود بسنده باب الدعاء ٣٥٨/٤
 - وأورده الامام الهيثمي مثله عن ابى بكره مرفوعا وعزاه الى الامام الطبراني ، وقال ورجاله رجال الصحيح ، غير عمار بن خالد الواسطي وهو ثقة ، باب ما جاء في الإشارة في الدعاء ورفع البدين (مجمع الزوائد ١٠/١٦٩)
 - (٣) هو الامام ابو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي - شارح سنن ابى داود
 - (٤) عون المعبود باب الدعاء ٣٥٧/٤
 - (٥) رواه الامام مسلم بسنده كتاب صلاة الاستسقاء ٥٥١/٢

وذلك ما ورد عن عميرا (١) مولى أبي اللحم (١) : ((انه رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يستسقى عند احجار الزيت قريبا من الزوراء قائما يدعو يستسقى رافعا كفيه لا يجاوز بهما رأسه مقبلا كفيه الى (وفي رواية : قبل) وجهه)) (٢)

وقال الامام النووي (١) - في شرح حديث انس السابق : " قال جماعة من اصحابنا وغيرهم : السنة - في كل دعاء لرفع بلاء كالحقن ونحوه : ان يرفع يده ويجعل ظهر كفيه الى السماء ، واذا دعا لسؤال شيء وتحصيله جعل بطن كفيه الى السماء ... احتجوا بهذا الحديث " (٣)

ومما يؤيد ما ذهب اليه الامام النووي ومن معه ما ورد عن خالد بن السائب الانصاري (٤) : ((ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - كان اذا سأل جعل باطن كفيه / واذا استعاذ - جعل ظاهرهما اليه)) (٥)

ولذلك فان رفع اليدين في الاستسقاء الذي ورد به في حديث انس بظاهرهما ، والذي ورد به في حديث عمير مولى أبي اللحم بباطنهما - ان نحمل على انه في حالة استعاذة من القحط والبلاء ونحوهما يكون بظاهرهما ، وفي حالة طلب السقيا والخير والرحمة ونحوها يكون بباطنهما . وبهذا يحصل الجمع بين الحديثين الشريفين .

(١) تقدمت تراجمهم

(٢) رواه الامام ابن حبان بسنده ، ذكر البيان بأن باطن الكفين الخ ١٧٠/٢

ورواه الامام احمد في مسنده ، حديث عمير أبي اللحم ٢٦٣/٥

(٣) شرح مسلم كتاب صلاة الاستسقاء ٥٥١/٢

(٤) هو خالد بن السائب بن خالد بن سويد الانصاري الخزرجي ، يختلف في صحبته

وقد ذكره جماعة في الصحابة ومنهم ابن حبان وهذا هو الاصح .

(٥) رواه الامام احمد في مسنده في حديث السائب بن خالد ٥٦/٤

وأورده الامام البيهقي في مجمع الزوائد وعزاه الى احمد ، وقال : واسناده

مسح الوجه بعد الفراغ من الدعاء :

وذهب بعض العلماء الى مشروعية مسح الوجه بباطن البدن المرفوعين

بعد الفراغ من الدعاء .

وذلك لما روى عن عمر ^(٢) (رضي الله عنه) قال : ((كان رسول الله

(صلى الله عليه وسلم) — اذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح

بهما وجهه)) (١)

قال الحافظ ابن حجر ^(٢) : " وله شواهد منها : عند ابني

داود ^(٢) من حديث ابن عباس ^(٢) وغيره ، ومجموعها يقتضي بأنه حديث حسن ^(٣)

ولذلك قال الامام الصنعاني ^(٢) : " وفيه دليل على مشروعية مسح

الوجه بالبدن بعد الفراغ من الدعاء " (٤)

والحكمة في ذلك — كما قيل : " وذلك على سبيل التفاؤل ، فكان كفيه

قد ملئتا من البركات السماوية والانوار الالهية " (٥)

او كما قيل : " وكان المناسبة انه تعالى لما كان لا يردهما صفرا —

فكان الرحمة اصابتهما فناسب افاضة ذلك على الوجه الذي هو أشرف الاعضاء

وأحقرها بالتكريم " (٦)

(١) رواه الامام الترمذي بسنده وقال : هذا حديث غريب ، باب ما جاء في رفع

الايدي عند الدعاء ٣٢٨/٩

ورواه الامام الحاكم بسنده ، وسكت عنه الامام الذهبي ٥٣٦/١

(٢) تقدمت تراجمهم

(٣) بلوغ المرام باب الذكر والدعاء ٢٨٨/٤

(٤) سبل السلام باب الذكر والدعاء ٢٨٨/٤

(٥) نقله الامام المباركوري في تحفة الاحوذى باب جاء في رفع الايدي ٣٢٨/٩

(٦) نقله الامام الصنعاني في سبل السلام ، باب الذكر والدعاء ٢٨٨/٤

وأما الأحاديث التي أشار إليها الحافظ ابن حجر عند أبي داود :

فمنها : حديث ابن عباس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((سلوا الله بيطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها ، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم)) (١)

ومنها : حديث السائب بن يزيد (٢) ، عن أبيه (٣) : ((ان النبي (صلى الله عليه وسلم) كان اذا دعا فرفع يديه — مسح وجهه بيديه)) (٤)

قال الامام الطيبي (٥) : " دل على انه اذا لم يرفع يديه في الدعاء لم يمسح " (٦) على

وعقب له الامام القاري (٥) وقال : " وهو قيد حسن ، لأنه (صلى الله عليه وسلم) كان يدعو كثيرا — كما في الصلاة والطواف وغيرها من الدعوات الماثورة ببر الصلوات وعند النوم وبعد الاكل — وأمثال ذلك — ولم يرفع يديه لم يمسح بيمينه وجهه " (٧)

(١) رواه الامام ابو داود بسنده وقال : روى هذا الحديث من غير وجهه عن محمد بن كعب — كلها واهية ، وهذا الطريق امثلها وهو ضعيف ايضا باب الدعاء ٣٥٧/٤

ورواه الامام ابن ماجه بسنده باب رفع اليدين في الدعاء ١٢٧٢/٢

ورواه الامام الحاكم بسنده باب السوء ال من الله بيطون الأكف ، وسكت عنه الامام الذهبي ٥٣٦/١

ادب

ورواه الامام البخاري بسنده في شرح السنة باب الدعاء ورفع اليدين فيه ٢٠٣/٥

(٢) وهو الصحابي السائب بن يزيد بن سعيد بن ثامة بن الأسود ، ولد في السنة الثانية من الهجرة وكان عاملا لعمر على سوق المدينة مع عبد الله ابن عتبة بن مسعود واختلف في وقت وفاته وسنه ، فقيل : توفي سنة ٩٦ هـ وقيل غير ذلك .

(٣) هو الصحابي الجليل يزيد بن سعيد بن ثامة بن الاسود — ابو السائب أسلم يوم فتح مكة وسكن المدينة . وروى عنه ابنه السائب .

(٤) رواه الامام ابو داود بسنده باب الدعاء ٣٦١/٤ (٥) تقدمت ترجمتهما

(٦) نقله الامام على القاري في مرقاة المفاتيح كتاب الدعوات ٦٤٣/٢

(٧) مرقاة المفاتيح كتاب الدعوات ٦٤٣/٢

(٥) تقدمت ترجمتهما

ومعنى ذلك ان مشروعية مسح الوجه باليدين عند الفراغ من الدعاء اذا رفعهما الداعي ، فأما في الحالات التي لم يرد الرفع فبها عن صاحب الشرع فلا مسح الوجه فيها - وأما في دعاء القنوت فانه ورد عن صاحب الشرع رفع اليدين فيه ولم يرد عنه المسح بهما .

قال الامام البيهقي (١) : " فأما مسح اليدين بالوجه عند الفراغ من الدعاء فلست احفظه عن احد من السلف في دعاء القنوت . وان كان يروى عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة ، وقد روى فيه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) حديث فيه ضعف وهو مستعمل عند بعضهم خارج الصلاة ، وأما في الصلاة فهو عمل لم يثبت بخبر صحيح ولا أثر ثابت ولا قياس . فالأولى : ان لا يفعله ويقتصر على ما فعله السلف (رضي الله عنهم) من رفع اليدين دون مسحهما بالوجه في الصلاة " (٢)

ثم روى الامام البيهقي بسنده ان عبد الله بن المبارك (٣) : ((كان يفتت بعد الركوع في الوتر ، وكان يرفع يديه)) (٢)

وسئل عن الذي اذا دعا مسح وجهه ؟

قال ابن المبارك : " لم أجد له ثبتا " (٢)

والخلاصة :

ان رفع اليدين في الدعاء أدب جليل من آدابه ، بل هو من أعظمها

(١) تقدمت ترجمته

(٢) السنن الكبرى باب رفع اليدين في القنوت ٢ / ١٢

(٣) هو الامام الحافظ ابو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي ، ولد سنة ١١٨ هـ وكان مجاهدا تاجرا صاحب التصانيف والرحلات ، أفنى عمره في الاسفار حاجا ومجاهدا وتاجرا ، وجمع الحديث والفقه والصربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء ، كان من سكان خراسان وتوفي بهيت (على الفرات) سنة ١٨١ هـ

ومن أرجاها للإجابة ، وله ثلاثة أحوال :-

- ١ - فإذا كان في الصلاة فلا يشرع فيها الرفع الا في القنوت .
 - ٢ - وإذا كان في خطبة الجمعة ، فلا يشرع فيها الرفع الا للاستسقاء
 - ٣ - وإذا كان خارج الصلاة وفي غير الخطبة فيشرع فيه الرفع
- وبسن الا ما ورد من الدعوات الماثورة في المناسبات المختلفة ،
كدعوات المشي الى المسجد ودخوله وخروجه ، ودعوات دخول
الحمام وخروجه ، ودعوات خروج البيت ودخوله ، والدعوات
عند النوم والاستيقاظ منه ، والدعاء بعد الوضوء ونحوها ،
فهذه لم يرد عن صاحب الشرع رفع اليدين فيها .
- وأما مسح الوجه بباطن اليدين المرفوعين بعد الفراغ من الدعاء فيشرع
الا في دعاء القنوت مع انه يشرع فيه رفع اليدين ، فانه لم يرد عن صاحب
الشرع مسح الوجه فيه .

٢ — استقبال القبلة

وان استقبال القبلة في الدعاء أدب من أداب الدعاء من حيث كَيْفِيَّتُهُ ،
وهذا لفعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذلك في ادعيته المتنوعة من
المناسبات المختلفة .

وقد فرض الله على هذه الأمة الاسلامية ان تستقبل القبلة كل يوم في
صلواتها ، وهذه القبلة هي بيت الله المتبقي الذي في المسجد الحرام بمكة المكرمة

قال تعالى ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ،
فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وان الذين
أوتوا الكتاب — ليعلمون انه الحق من ربهم ، وما الله بخافل عما يعملون ﴾ (١)

وفرض عليها ان تتوجه الى هذا البيت باشخاصها وتحطوف به بنفوسها
في العمرة واحدة — ان استطاعت اليه سبيلا .

قال تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
ومن كفر فان الله غني عن العالمين ﴾ (٢)

وهذا الاستقبال والتوجه ليس لعبادة ذلك البيت ، وانما لعبادة
ربه وحده لا شريك له .

قال تعالى : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت — الذي أطعمهم من جوع
وآمّنهم من خوف ﴾ (٣)

وهذا البيت بهذا المبدأ وهو توحيد الله بالعبادة والدعوة اليه
والهداية للعالمين هو اول بيت وضع للناس في الارض .

(١) البقرة / ١٤٤

(٢) آل عمران / ٩٧

(٣) قريش / ٣-٤

(٤) آل عمران / ٩٦-٩٧

قال تعالى ﴿ ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ فيه آيات بينات — مقام ابراهيم ومن دخله كلن آمنا ﴿ (١) واذ كان اختصاص هذا البيت المعتيق باستقباله والمتوجه اليه على هذا المبدأ — فكيف لا يكون استقباله في الدعاء أدبا من آدابه ، لأن الدعاء هو العبادة ، وخاصة ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) استقبال القبلة عند دعائه .

١ — فقد ورد عن ابن مسعود (٢) (رضى الله عنه) قال : ((استقبال النبي (صلى الله عليه وسلم) الكعبة . فدعا على نفر من قریش)) (٣)
٢ — وورد عن عمر بن الخطاب (٢) (رضى الله عنه) قال : ((لما كان يوم بدر — نظر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى المشركين وهم الف واصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا . فاستقبل نبي الله (صلى الله عليه وسلم) القبلة ، ثم مد يديه — فجعل يهتف (٤) بربه :
” اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم ان تهلك هذه العصاة من اهل الاسلام — لا تعبد في الأرض ”
فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة — حتى سقط رداؤه من منكبیه .

فأتاه ابو بكر (٢) ، فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله — كفنا مناشدتك (٥) ربك فانه سينجز لك ما وعدك .
وأنزل الله عز وجل ﴿ ان تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ، أني مدمكم بالرفق من الملائكة مردفين ﴾ (٦)
فأمده الله بالملائكة (((٧)

(١) آل عمران ٩٦-٩٧ (٢) تقدمت تراجمهم
(٣) رواه الامام البخارى بسنده باب دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) الخ ٢٩٤/٨
ورواه الامام مسلم بسنده ، باب ما لقي النبي (صلى الله عليه وسلم) الخ ٤٣/٤
(٤) اي : يصيح ويستغيث بالله بالدعاء
(٥) بالرفع والنصب والمناشدة : الدعاء والسؤال (٦) الانفال ٩
(٧) تقدم تخرجه قريبا — رواه مسلم والترمذى وقال : حسن صحيح غريب .

٣ - وورد عن جابر (١) (رضي الله عنه) - في الحديث الطويل - وفيه : ((ثم خرج (٢) من الباب الى الصفا ، فلما دنا من الصفا ، فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال :

" لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا اله الا الله وحده ، انجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك " قال مثل هذا ثلاث مرات .

ثم نزل الى المروة حتى انصب قدماه في بطن الوادي سعى ، وحتى اذا صعدتا مشى حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا (((٣) وفيه : ((ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهله وحده - فلم يزل واقفا حتى أسفر جذاً ، فدفع قبل أن تطلع الشمس (((٣)

٤ - وورد عن ابن عمر (١) (رضي الله عنهما) : ((انه كان يرمى الجمرة الدنيا بسبع حصيات يكبر على اثر كل حصاة ، ثم يتقدم فيسهل (٤) ، فيقوم مستقبل القبلة ، قياماً طويلاً ، فيدعو ويرفع يديه ، ثم يرمي الجمرة الوسطى كذلك ، فيأخذ ذات الشمال فيسهل ويقوم مستقبل القبلة قياماً طويلاً فيدعو ويرفع يديه ، ثم يرمي الجمرة ذات المقبة من بطن الوادي ولا يقف عندها ، ويقول : هكذا رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يفعل (((٥)

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) أى : رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

(٣) رواه الامام مسلم بسنده باب حجة النبي (صلى الله عليه وسلم) ٣/٣٣٩ - ٣٤٠

(٤) أى يقصد السهل من الأرض وهو المكان الذي لا ارتفاع فيه

(٥) تقدم تخريجه قريباً - رواه البخاري

٥ - وورد عن عبد الله بن زيد الأنصاري (١) : ((ان النبي

(صلى الله عليه وسلم) خرج الى المصلى صلى (وفي رواية للبخاري :

يستسقى) . وأنه لما دعا أو اراد ان يدعو - استقبل القبلة وحول رداءه)) (٢)

فهذه الشواهد العملية وما شابهها من احاديث رسول الله (صلى الله

عليه وسلم) تبين ان استقبال القبلة عند الدعاء مشروح ومندوب اليه ~~يحتجب~~

الا الدعاء في خطبة الجمعة والاستسقاء فيها فلا يستقبل القبلة .

وقد عقد الامام البخاري لذلك بابا من ابواب الاستسقاء وهو (باب

الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة) وساق حديث أنس بن مالك (٣)

(رضي الله عنه) انه يذكر ((ان رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان

وجاه المنبر ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائم يخطب - فاستقبل رسول الله

(صلى الله عليه وسلم) قائما ، ثم قال :

" يا رسول الله ، هلكت الأموال (٤) ، وانقطعت السبل (٤) - فادع

الله يفينا "

قال : فرفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يديه ، ثم قال :

" اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا "

(١) هو الصحابي عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن عوف بن المبدول

ابن عمرو بن غنم بن مازن الأنصاري المازني (من بني مازن بن النجار)

المعروف بابن أم عمار ، ولم يشهد بدرا ، وهو الذي اشترك مع وحشي بن

حرب في قتل مسيلة الكذاب ، وقتل عبد الله يوم الحرة ، وكانت الحرة

سنة ٦٣ هـ .

(٢) رواه الامام البخاري بسنده باب استقبال القبلة في الاستسقاء ١٦٩/٣

ورواه الامام مسلم بسنده كتاب صلاة الاستسقاء ٥٥٠/٢

ورواه الامام ابو داود بسنده باب في اي وقت يحول رداءه الخ ٢٩/٤

(٣) تقدمت ترجمته

(٤) الأموال هي المواشي والمراد بهلاكها : عدم وجود ما يبيعون به من الاقوات

المفقودة بحبس المطر ، والمراد بانقطاع السبل : ان الابل لم تسلكها .

قال أنس : ولا - والله - مانرى في السماء من سحب ولا قزعة (١) ولا شيئاً
ولا بيننا وبين سلع (٢) من بيت ولا دار . (٣)

قال : فطلعت من ورائه (٤) سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت
ثم امطرت

قال : والله ما رأينا سبتا (٥)

قال : ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة - ورسول الله (صلى
الله عليه وسلم) يخطب ، فاستقبله قائماً ، فقال : " يا رسول
الله - هلكت الاموال (٦) وانقطعت السبل (٦) فادع الله بمسكها "

قال : فرفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يديه ، ثم قال :
" اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام (٧) والظراب (٧) ،
والأودية ومنابت الشجر "

قال : فانقطعت ، وخرجنا نمشي في الشمس)) (٨)

(١) هي القطعة من السحاب

(٢) هو جبل بقرب المدينة المنورة

(٣) اشارة الى ان السحاب مفقود تماما

(٤) أى : من وراء " سلع "

(٥) أى : اسبوعا

(٦) بسبب غير السبب الأول ، الا وهو هنا بسبب كثرة الماء التي تسبب انقطاع المرى
والسبل .

(٧) الآكام : التراب المتجمع ، والظراب : الجبال الصفار والروابي

(٨) تقدم تخريجه رواه البخارى ومسلم .

وحدث أنس هذا لم يصرح باستدباره (صلى الله عليه وسلم) أو استقباله القبلة عند الدعاء للاستسقاء في المرتين ، ولكنه صرح انه (صلى الله عليه وسلم) دعا للاستسقاء في خطبة الجمعة ، والاهران من شأن الخطيب ان يستقبل القوم ، ومن شأنه الحال هذا ان يكون مستديرا للقبلة ولا يكون مستقبلا لها عند الدعاء في خطبة الجمعة - كما هو الحال عند الخطبة كلها .
وأما حديث ابن زيد الانصاري السالف ذكره فقد صرح باستقباله (صلى الله عليه وسلم) القبلة عند الاستسقاء .

ولذلك فعلينا ان نجمع بين حديث أنس وبين حديث ابن زيد الانصاري على ان نحمل القصة في حديث أنس^١ كانت في خطبة الجمعة بالمسجد كما هو صريح في الحديث^٢ والقصة التي في حديث ابن زيد الانصاري كانت في صلاة الاستسقاء بالمصلى .

رفع البصر الى السماء :

وعرفنا - مما سبق - ان استقبال القبلة ادب من آداب الدعاء من حيث كيفيته وهو مشروع اليه في جميع الأحوال الا عند الدعاء في خطبة الجمعة ، وقبله المسلمين هي الكعبة المشرفة التي في المسجد الحرام بمكة المكرمة .
وقد اختلف العلماء في رفع البصر الى السماء في الدعاء خارج الصلاة فكرهه بعضهم ، وجوزه الآخرون ، وهذا رغم انهم مجمعون على النهي عن رفع البصر الى السماء في الدعاء داخل الصلاة .

قال الامام النووي^(١) : " قد نقل الاجماع في النهي عن ذلك (٢) " (٣)
وعلى الذين جوزوا رفع البصر الى السماء في الدعاء خارج الصلاة - كما قال القاضي عياض^(١) : " لأن السماء قبله الدعاء " . كما ان الكعبة قبله الصلاة ولا ينكر رفع الأبصار اليها كما لا يكره رفع اليد -

(١) تقدمت ترجمتهما (٢) اي عن رفع البصر الى السماء في الصلاة

(٣) شرح مسلم باب النهي عن رفع البصر الى السماء في الصلاة ٢٤/٢

قال الله تعالى ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ (١) * (٢)

واحتج الذين كرهوه بحديث النسي عن رفع الابصار الى السماء في الدعاء - حتى قال الامام ابن حزم (٣) بحرامه .

وعقد الامام ابن حزم (٣) مسألة (ولا يحل للمصلي ان يرفع بصره الى السماء ، ولا عند الدعاء في غير الصلاة ايضا) .

فروى بسنده عن ابي هريرة (٤) (رضى الله عنه) : ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ((لينتبهين أناس عن رفع ابصارهم - عند الدعاء - الى السماء حتى لتخطف)) (٥)

ثم استنبط من هذا الحديث وقال : " هذا وعيد شديد ، والوعيد لا يكون الا على كبيرة من الحرام ، لا على مباح مكروه اصلا ولا على صغيرة منفردة " (٦)

(١) الذاريات / ٢٢

(٢) شرح مسلم باب النسي عن رفع البصر الى السماء في الصلاة ٧٤/٢

(٣) هو الامام ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ ، كانت له ولايته من قبله رئاسة الوزارة وتدبير المملكة فزهد فيها وانصرف الى العلم والتأليف . وكان في الأندلس خلق كثير ينتسبون الى مذهبه ، يقال لهم (الحزمية) وله مصنفات كثيرة ومنها : الاحكام لأصول الاحكام وتوفى ببادية لبلة (من بلاد الأندلس) سنة ٤٥٦ هـ

(٤) تقدمت ترجمته

(٥) رواه الامام ابن حزم بسنده في المحلى ، مسألة ولا يحل للمصلي الخ ١٦/٤

(٦) المصدر السابق : المحلى ١٦/٤

والذى يظهر - ان هذا الوعيد الاكيد والتهديد الشديد وهو اما الانتباه واما الحمى لا يكون الا عند الدعاء في الصلاة ، لأن حديث النبي عن رفع الابصار الى السماء ورد صريحا في رواية مسلم ^(١) على أنه في الصلاة .

وذلك ما ورد عن ابي هريرة (رضى الله عنه) : ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ((لينتبهين أقوام عن رفع ابصارهم - عند الدعاء - في الصلاة - الى السماء . اوليخطفن أبصارهم)) ^(٢)

وزاد في رواية الامام مسلم على رواية الامام ابن حزم (في الصلاة) وزيادة الثقة مقبولة ، ولذلك فعلينا ان نحمل المطلق في حديث الامام ابن حزم على المقيد في حديث الامام مسلم ، ويقتضى ذلك اختصاص الوعيد الشديد بالدعاء في الصلاة فقط .

وأما الدعاء خارج الصلاة فيجوز رفع البصر الى السماء فيه ، وهذا ليست السماء قبلة الدعاء - كما قال بعض العلماء فان قبلة المسلمين واحدة فقط الا وهي الكعبة المشرفة التي في المسجد الحرام بمكة المكرمة . فهي قبلة الصلاة وهي قبلة الدعاء ولا فرق بينهما : نعم ، ليس لأن السماء قبلة الدعاء وانما لعدم ورود النبي عن رفع البصر الى السماء خارج الصلاة - وخاصة عند الدعاء خارجها وفوق ذلك لكون النبي (صلى الله عليه وسلم) قد قلب وجهه بالنظر الى السماء في دعائه لتحويل القبلة من بيت المقدس بفلسطين الى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة .

قال تعالى * قد نرى تقلب وجهك في السماء - فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام . . . * الآية ^(٣)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) رواه الامام مسلم بسنده باب النبي عن رفع البصر الى السماء في الصلاة ٢٤/٢

ورواه الامام البيهقي باب كراهية النظر الى السماء في الصلاة ٢٨٢/٢

(٣) البقرة / ١٤٤

٣ — الخفية —

ومن آداب الدعاء من حيث كَيْفِيَّتِهِ — أن يكون خفية ، وهذا لأن الله
أمر عباده برشدا لهم أن يدعوه مخفيين .

قال تعالى * ادعوا ربكم تضرعا وخفية ، انه لا يحب المعتدين * (١)

وكلمة " الخفية " : مصدر طبعي من خفى يخفى — خفاء وخفية

(بضم الخاء) وخفية (بكسر الخاء) .

قال الإمام الأزهري (٢) : " الخفية (٣) — من قولك : خفيت الشيء ، أى :

سترته ، ويقال : خفية (بكسر الخاء) قال : ولقبته خفيا ، أى : سرا ،

والخافية نقبض : الحائية " (٤)

وقال الإمام الجوهري (٢) : " خفيت الشيء أخفيه : كتمته ، وخفيته

أيضا : أظهرته ، وهو من الاضداد " (٥)

وقال نحو ذلك الإمام الفيثي (٢) وزاد : " ومخضم يجمع حرف الصلة

فارقا فيقول (خفى عليه) : اذا استتر ، (وخفى له) : اذا ظهر ويتمدى

بالحركة ، فيقال : خفيته — أخفيه (من باب رمى) : اذا سترته وأظهرته . (٦)

وقال الإمام الشوكاني (٢) : " الخفية : الاسرار به " (٧)

وان الستر والظهير او السر والجهر سيات عند الله في سماعه

وعلمه ، ولكن الظهير او الجهر ربما يؤدى الى الرباء والغفلة

(١) الاعراف / ٥٥

(٢) تقدمت تراجمهم

(٣) أى : بضم الخاء

(٤) تهذيب اللغة ٥٩٨/٧

(٥) الصحاح ٢٣٦٩/٦

(٦) المصباح المنير ١٨٨/١

(٧) فتح التدبير ٢١٣/٢

المبطلين لحقيقة الاخلاص الذي تدور عليه هوائى القبول والاجابة وأما الستر
او السر فيكون اكثر صونا عن شوائب الرياء وأشد حفظا عن عوامل الغفلة .

قال الامام الشوكاني (١) : " فان ذلك — اقطع لصرق الرياء وأحسم
لباب ما يخالف الاخلاص " (٢)

وقال الامام الفخر الرازى (١) : " ان النفس شديدة الميل عظيمة الرغبة
في الرياء والسمعة ، فاذا رفع صوته في الدعاء امتزج الرياء بذلك الدعاء
فلا يبقى فيه فائدة البتة فكان الأولى اخفاء الدعاء ليبقى مصونا عن الرياء " (٣)
ولذلك طالب الله من عباده بالاسرار في دعائه ولا الجهر به كما طالب
منهم بذلك عند ذكره والدعاء شقيق الذكر .

قال الله تعالى في الذكر * واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية
ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ، ولا تكن من الغافلين * (٤)
والجهر من القول الرفع الصوت انما يفعله الانسان لبعد من مخاطبه
ليسمعه ، ولكن الله سبحانه وتعالى — مع علو شأنه — قريب من عباده
وهو معهم اينما كانوا : في جلوتهم وخلوتهم ، وهو يسمع ويرى ويحيى
من دعاه فهو تعالى قريب في علوه وعلى في قربيه .

قال تعالى * واذا سألك عبادى عني فاني قريب — أجيب دعوة
الداخ اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليوءنوا بي — لهم يرشدون * (٥)
وقال سبحانه — مبينا قربيه من الانسان * ولقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه ، ونحن اقرب اليه من حبل الوريد * (٦) (٧)

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) فتح القدير ٢/١٣٢

(٣) مفاتيح الغيب ١٤/١٣١

(٤) الاعراف / ٢٠٣ (٥) البقرة / ١٨٦

(٦) اى حبل الحائق . وهو ممتد من ناحية حلقه الى عاتقه او هو عرق معلق بالقلب .

(٧) ق / ١٦

وقال عز وجل * ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون * (١)

وقال عز وجل * واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه ، وانه اليه تحشرون * (٢)

وقال * ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الأرض . ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم أين ما كانوا ، ثم نبئهم بما عملوا يوم القيامة ، ان الله بكل شيء عليم * (٣)

والداعي المؤ من يوقن انه تعالى اقرب اليه من نفسه ومن جبل وريده وانه تعالى معه حيث كان ولذلك فهو يستطيع ان يقف بين يديه تعالى بلا حجاب ، وان يكلمه تعالى بلا وساطة ولا ترجمان . وان يناجيه بما شاء متى شاء وان يدعو خفية وهو تعالى يسمع ويرى ويحب ويعطى ، فما حاجته — اذا — الى ذلك تل الجهر او رفع الصوت .

والدعاء بالخفية يكون البق وانسب بسماع الله وعلمه وبقرينه ومحبته ، فالداعي الذي يعلم بسماعه تعالى وعلمه حقا يستحي من الجهر ويخفي دعاءه ، والذي يستشعر قربيه ومحبته فعلا لا يجد ما يدعو الى ذلك الجهر في دعائه .

وقد ارشد الى ذلك ^{رسول} الله (صلى الله عليه وسلم) اصحابه (رضى

الله عنهم) كما روى لنا الصحابي الجليل ابو موسى الاشعري (٤) (رضى الله

عنه) قال ((كنا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في سفر ، فجعل الناس يجيرون

بالتكبير (وفي رواية لمسلم : فجعل رجل كلما علا ثنية — نادى : لا اله

الا الله والله اكبر)

(١) الواقعة / ٨٥

(٢) الانفال / ٢٤

(٣) المجادلة / ٧

(٤) تقدمت ترجمته

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " أبها الناس — اربحوا (١)

على انفسكم — انكم ليس تدعون اصم ولا غائبا ، انكم تدعون سميعا قريبا
وهو محكم (وفي رواية لمسلم : والذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلة
احدكم) (٢)

ومن ذلك اثني الله على رسوله الكريم زكريا (عليه السلام) من ندائه
الخفي وهو الدعاء بالخفية .

وقال تعالى * ذكر رحمة ربك عبده زكريا . ان نادى ربه نداء
خفيا (٣) . قال : رب انى وهن المظلم منى واشتعل الرأس شيبا ، ولم
اكن بدعائك — رب — شقيا . وانى خفت الموالى (٤) من ورائى ، وكانت
امراتى عاقرا ، فهب لي من لدنك وليا : برثنى وپرث من آل يعقوب ، / رب —
رضيا * (٥)

وقد وصف الحسن البصرى (٦) الداعين المسلمين ، وقال :

(١) بيهزة وصل ويفتح الباء الموحدة ، اى : ارفقوا بانفسكم واخفضوا
اصواتكم .

(٢) رواه الامام البخارى بسنده باب الدعاء اذا علا عتبة ٤٤٣/١٣
ورواه الامام مسلم بسنده باب استحباب خفض الصوت الخ ٥٥٤/٥ — ٥٥٥

(٣) تقدم في فصل " معنى الدعاء " ان النداء قد يستعمل بمعنى الدعاء

(٤) هم الاقارب الذين يرثون ، ووجه المخافة هو من اهمالهم لأمر الدين وطلب
زكريا وليا يقوم به بعد وفاته

(٥) مريم / ٨٢

(٦) هو التابعي الجليل الامام ابو سعيد الحسن بن يسار البصرى — احد العلماء
الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ، ولد بالمدينة المنورة سنة ٢١ هـ وشب في
كنف على بن ابي طالب وسكن البصرة وعظمت هيبته في القلوب ، وكان
يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم . ولا يخاف في الحق لومة لائم .

وتوفي سنة ١١٠ هـ

” ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ، وما يسمع لهم صوت —
ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم • وذلك ان الله تعالى يقول ﴿ ادعوا
ربكم تضرعا وخفية ﴾ (١) • (٢)
والخفية أدب من آداب الدعاء الذي لا ينبغي للداعي ان ينفعل
عنه •

(١) الأعراف / ٥٥

(٢) رواه الامام الحلي بسنده في تفسيره جامع البيان ٢٠٧/٨

ونقله الامام ابن كثير في تفسيره ٢٢١/٢

الفصل الثاني

آداب الدعاء من حيث الفاظه وصيغته

- حسن الاستفتاح .
- الدعاء بالأسماء الحسنى .
- اختيار الجوامع من الدعاء .
- العزم في الدعاء .
- ختم الدعاء بالتأمين .

الفصل الثالث

آداب الدعاء من حيث الفاظه وصيغه

١ - حسن الاستفتاح

ان من آداب الدعاء من حيث الفاظه وصيغه - ان يحسن استفتاح

الدعاء وذلك بحمد الله تعالى والثناء عليه قبل ان يدعو .

وقد افتتح الله سبحانه وتعالى كتابه الكريم بالسورة الكاملة وهي

سورة الفاتحة ، وهذه السورة المباركة تضمنت آياتها الدعوات المبدوءة بحمد

الله والثناء عليه والتمجيد له .

ورد ذلك - في الحديث القدسي - (١) عن ابي هريرة (٢) (رضى

الله عنه) قال : اني سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول (قال

الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين (وزاد في رواية

لمسلم : فنصفها لي ، ونصفها لعبدي) ولعبدي ما سأل :

فاذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين

قال الله تعالى : حمدني عبدي

واذا قال : الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : أشنى عليّ عبدي

واذا قال : مالك يوم الدين

قال : مجدني عبدي ، وقال مرة : فوض الى عبدي

فاذا قال : اياك نعبد و اياك نستعين

قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل

(١) تقدم تحريفه

(٢) تقدمت ترجمته

فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

قال : هذا لصيدى ، ولصيدى ما سأل (((١)

وقد حكى الله عز وجل في القرآن الكريم عن كثير من الانبياء (عليهم السلام) على انهم حمدوا الله واثنوا عليه في دعواتهم
١ - فنبي الله نوح (عليه السلام) مثلاً امره الله تعالى بالحمد قبل امره بالدعاء .

كما قال تعالى * فقل : الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين
وقل : رب انزلنى منزلاً مباركاً وانت خير المنزلين * (٢)
٢ - ونبي الله ابراهيم الخليل (عليه السلام)

قال الله تعالى حكاية عن حمده ودعائه * الحمد لله الذى وهب لى على الكبر - اسماعيل واسحاق ، ان ربي لسميع الدعاء . رب اجعلنى مقيم الصلاة ، ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء * (٣)

وفي موطن آخر - قال تعالى حكاية عنه * الذى خلقنى فهو بهد ينى والذى هو يطمئنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يمتننى ثم يحيين والذى اطمع ان يفرلى خطيئتى يوم الدين - رب هب لى حكماً والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الاخرين . واجعلنى من ورثة جنة النعيم * (٤)

(١) تقدم تخريجه : رواه مسلم وابوداود

(٢) المؤمن / ٢٨ - ٢٩

(٣) ابراهيم / ٣٩ - ٤١

(٤) الشعراء / ٧٨ - ٨٥

٣ - ونبي الله يوسف (عليه السلام)

قال تعالى حكاية عنه * رب قد آتيتني من الملك ، وعلمتني من تأويل الاحاديث . فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والاخرة :
توفني مسلما والحقني بالصالحين * (١)

٤ - ونبي الله شعيب (عليه السلام)

قال تعالى - حكاية عنه * وسع ربنا كل شيء علما ، على الله توكلنا :
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين * (٢)
وحكى الله سبحانه وتعالى ايضا عن الملائكة على انهم حمدوا الله
قبل ان يدعوا .

قال تعالى * الذين يحيطون العرش ومن حوله - يسبحون بحمد ربهم
ويؤمنون به . ويستغفرون للذين آمنوا - ربنا وسعت كل شيء رحمة
وعلما ، فاعز للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقمهم عذاب الجحيم . ربنا
وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ، ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم
انك انت العزيز الحكيم . وقمهم السيئات ، ومن ثق السيئات يومئذ فقد رحمته
وذلك هو الفوز العظيم * (٣)

وهذه جملة من الدعوات المبدوءة بحمد الله والثناء عليه التي اختارها
الله لانبياؤه وملائكته وخاصة سورة الفاتحة التي فرض الله على عباده المؤمنين
ان يقرأوها ويكرروها في صلواتهم .

وفي هذه الدعوات وسورة الفاتحة ادب عظيم وفضل كبير جد بـ
بالمؤمنين الداعي ان يستلهمها خائفا وراجيا ، وراها او راغا - الا وهو حسن
الاستفتاح بحمد الله والثناء عليه .

(١) يوسف / ١٠١

(٢) الاعراف / ٨٦

(٣) غافر / ٦٧

ويمكن ايضا ان نستأنس في ذلك بحديث تعليله (صلى الله عليه وسلم) رجلا ان بحمد الله وبثنى عليه و صلى على نبيه (صلى الله عليه وسلم) قبل ان يدعو في تشييده من صلاته .

وذلك ما ورد عن فضالة بن عبيد (١) (رضى الله عنه) يقول :
 ((سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم بمجده فلم يصل على النبي (صلى الله عليه وسلم) (وفي رواية اخرى للترمذى : بينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قاعدا - اذ دخل رجل فصلى ، فقال : " اللهم اغفر لي وارحمني) فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : عجل هذا ، ثم دعاه فقال له اولخبره : اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم ليدع بعد ما شاء (وفي رواية اخرى للترمذى : اذا صليت فقمعت فاحمد الله بما هو اهله وصل على ثم ادعه)

قال : ثم صلى رجل بعد ذلك فحمد الله صلى على النبي (صلى الله عليه وسلم)

فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : ايها المصلى - ادع تجيب
 (وزاد في رواية النسائي : وسل تعظ) (((٢)

(١) هو الصحابي / ابو محمد فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس بن الاصم الانصارى الحميرى الأوسى . وكان اول مشاهده احد من شهد المشاهد كلها ثم انتقل الى الشام ، وسكن دمشق وبني بها دارا ، وكان فيها قاضيا لمعاوية وتوفي بها سنة ٥٣ هـ .

(٢) رواه الامام الترمذى بسنده وقال : هذا حديث صحيح ، كتاب الدعوات ١/٩ - ٤٤٩ - ٤٥١
 ورواه الامام ابو داود بسنده ، باب الدعاء ٤/٣٥٤
 ورواه الامام النسائي بسنده ، باب التمجيد والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٣/٤٤
 ورواه الامام الحاكم بسنده . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الامام الذهبي وقال : على شرطيهما . باب ادب الدعاء بعد الصلاة ١/٦٨٨
 ورواه الامام ابن حبان بسنده الببان بان المرء مأثور بالصلاة ٣/٣١٩
 ورواه الامام البيهقي بسنده باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) في التشييد ٢/١٤٨

وفي قوله (صلى الله عليه وسلم) : ((اذا صليت فقمعت)) — قال
الامام الطيبي (١) : " اما عطف على مقدر اى : اذا صليت وفرغت فقمعت
للدعاء فاحمد الله . واما عطف على المذكور اى : اذا كنت مصليا فقمعت للتشهد
فاحمد الله اى : اثن عليه بقولك : " التحيات " (٢)

قال الامام على القارى (١) : " ويؤيد الاول — اطلاق قوله :
((فاحمد الله بما هو امله)) من كل ثناء جميل واشكره على كل عطاء جزيل " (٣)
وعلى الاحتمال الاول هذا فقد يستدل بعض العلماء بهذا الحديث
وهو حديث الباب — ولكن هذا الاحتمال بعيد ، والذي يظهر هو الاحتمال الثاني ،
ومما يؤيد هذا الاحتمال الاخير هو ما ورد في اول الحديث الشريف ((سمع
النبي (صلى الله عليه وسلم) رجلا يدعو في صلاته)) وهذا صريح في ان
الدعاء وقع في الصلاة والحديث بعضه يفسر بعضا .

وورد عن ابن مسعود (١) (رضى الله عنه) قال : ((كنت اصلى
والنبي صلى الله عليه وسلم) وابوبكر وعمر معه ، فلما جلست بدأت بالثناء على
الله ، ثم الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم دعوت لنفسى .
فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : سل تعطه ، سل تعطه)) (٤)

وقوله ((فلما جلست)) اى : جلست للتشهد .

الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) :

وذهب بعض العلماء الى ان الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)

(١) تقدمت تراجمهم

(٢) نقله الامام على القارى في مرآة المفاتيح باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٨/٢

(٣) مرآة المفاتيح باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٨/٢

(٤) رواه الامام الترمذى بسنده وقال حديث عبد الله حديث حسن صحيح

باب ما ذكر من الثناء على الله الخ ٢٠٥/٣ = ٢٠٦

من حسن الاستفتاح في الدعاء - استثناسا بحديث فضالة بن عبيد السابق أو استدلالا به ، وايضا استدلالا بما روى عن عمر ^(١) (رضي الله عنه) موقفا - قال : ((ان الدعاء موقوف بين السماء والارض - لا يسمع منه شيء ، حتى تصل على نبيك (صلى الله عليه وسلم))) ^(٢)

وورد عن علي ^(١) (رضي الله عنه) موقفا - قال ((كل دعاء محجوب حتى يصل على محمد و علي آل محمد)) ^(٣)

ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي فهو مرفوع حكما .

واذا كانت الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) من القربات المطلوبة المندوب اليها في كل وقت من الاوقات . فان طلبها في وقت الدعاء يكون أقوى وأكد . لان حسن الاستفتاح هو ان يتقرب الداعي الى المدعو منه عند الدعاء بما يوجب الزلفى لديه ومن ذلك بحمد الله والثناء عليه والصلاة على الشفيح له بمن يديه .

وقد جاءت الاحاديث في تعليمه (صلى الله عليه وسلم) صيغ الصلاة عليه ، وبحسن بنا ان نقف على بعضها لكي نحمل به في ادعيتنا :

١ - فمن ذلك حديث عبدالرحمن بن ابي لبلى ^(٤) قال : لقيني كعب بن عجرة ^(٥) (رضي الله عنه) .

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) رواه الامام الترمذى بسنده باب في فضل الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٦١٠/٢

(٣) عزاه الامام ابن الجزرى الى الطبراني في المعجم الاوسط وقال الامام المنذرى : انه موقوف ورواه ثقات (عدة الحصن الحصين ص ٣١)

وقال الامام البيهقي : رجاله ثقات واخرجه الامام البيهقي في الشعب من حديثه (مجمع الزوائد ١٠ / ١٦٠) .

(٤) هو التابعي ابو عيسى عبدالرحمن بن ابي لبلى الانصارى الكوفى ولد لسنة يقين من خلافة عمر . وتوفي سنة ٨٣ هـ .

(٥) هو الصحابي ابو محمد كعب بن عجرة بن امية بن عدى بن عبيد بن الحارث

فقال : ألا أهدى لك هدية (وزاد في رواية أخرى للبخارى : سمعتها من النبي (صلى الله عليه وسلم)

فقلت : بلى فاهد هالي (

فقال : ان النبي (صلى الله عليه وسلم) خرج علينا فقلنا : يا رسول الله - قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك قال (صلى الله عليه وسلم) : قولوا :

" اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - كما صليت (وزاد في رواية

أخرى للبخارى : على ابراهيم و) (١) على آل ابراهيم ، انك حميد مجيد

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد - كما باركت (وزاد في رواية

أخرى للبخارى : على ابراهيم و) (١) على آل ابراهيم ، انك حميد مجيد) (٢)

وقد لاحظ الامام ابن القيم (٣) صيغ الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)

=== البلوى (من بلى بن عمرو) ثم السوادى (من بنى سواد بن مري) . روى عنه اهل المدينة والكوفة لانه نزل الكوفة وتوفي بالمدينة سنة ٥٣ هـ وهو ابن ٧٥ سنة .

(١) هاتان الزيادتان من رواية الامام البخارى في باب قول الله : اتخذ الله ابراهيم خليلاً .

(٢) رواه الامام البخارى بسنده باب قول الله اتخذ الله ابراهيم خليلاً ٢٢٠/٧
وباب قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي ١٥٦/١٠

وباب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٤١٥-٤٠٣/١٣

ورواه الامام مسلم بسنده . باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٤٩/٢

ورواه الامام ابوداود بسنده باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٢٦٦-٢٦٤/٣

ورواه الامام النسائي بسنده نوح آخر من باب كيف الصلاة الخ ٤٧/٣

ورواه الامام ابن ماجه بسنده باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٢٩٣/١

ورواه الامام البيهقي بسنده ، باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) في

التشديد ١٤٧/٢

(٣) تقدمت ترجمته

وقال : " ان اكثر الاحاديث الصحاح والحسان ، بل كلها - صريحة بذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) وبذكر آله ، واما في حق المشبه به وهو ابراهيم وآله فانما جاء بذكر آل ابراهيم فقط دون ذكر ابراهيم او بذكره فقط دون ذكر آله . ولم يجيء حديث صحيح فيه لفظ (ابراهيم وآل ابراهيم) كما تظاهرت على ذلك لفظ (محمد وآل محمد) . (١)

وهذه الملاحظة غير مسلمة لانه وقع - في صحيح البخاري في باب قول الله : اتخذ الله ابراهيم خليلا - بلفظ ((كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم)) وكذا بلفظ ((كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم)) كما ورد في حديث كعب بن عجرة المذكور .

٢ - ومنه ما ورد عن ابي حميد الساعدي (٢) (رضي الله عنه)

قال : ((انهم قالوا - يا رسول الله ، كيف نصلى عليك

نقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : قولوا :

" اللهم صل على محمد و (زاد في رواية مسلم : على) أزواجه وذريته

- كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد و (زاد في رواية مسلم : على)

ازواجه وذريته - كما باركت على آل ابراهيم ، (زاد في رواية ابن ماجه :

في العالمين) انك حميد مجيد ")) (٣)

(١) جلاء الافهام الفصل السابع ص ١٧٢

(٢) هو الصحابي ابو حميد الساعدي الانصاري - اختلف في اسمه فقبل : المنذر بن

سعد بن المنذر وقيل غير ذلك وبعد في اهل المدينة ، وتوفي في اخر

خلافة معاوية .

(٣) رواه الامام البخاري بسنده باب قول الله : واتخذ الله ابراهيم خليلا ٢٦٠/٧

ورواه الامام مسلم بسنده باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٥٠/٢

ورواه الامام ابوداود بسنده باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٢٦٩/٣

ورواه الامام النسائي بسنده نوع اخر من باب كيف الصلاة على النبي ٤٩/٣

ورواه الامام ابن ماجه بسنده باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)

٣ - ومنه ما ورد عن ابي سعيد الخدري (١) (رضي الله عنه)

قال : ((قلنا : يا رسول الله ، هذا التسليم ، فكيف نصلي عليك

قال : قولوا - " اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك - كما صليت على ابراهيم ،

وبارك على محمد وعلى آل محمد - كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم)) (٢)

٤ - ومنه ، ما ورد عن ابي مسعود الانصاري (٣)

قال : ((أئانا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونحن في مجلس سعد بن

عبادة (٤)

فقال بشير بن سعد (٥) : أمرنا رسول الله تعالى ان نصلي عليك يا رسول الله

فكيف نصلي عليك

قال فسكت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى تمنينا انه لم يسأله ، ثم قال

(١) تقدمت ترجمته

(٢) رواه الامام البخاري بسنده باب قول الله : ان الله وملائكته يصلون على النبي

١٥١/١٠ وباب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٤١٨/١٣

ورواه الامام النسائي بسنده نوح آخر من باب كيف الصلاة على النبي ٤٩/٣

ورواه الامام ابن ماجه بسنده باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)

٢٩٢/١

(٣) هو الصحابي الجليل ابو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن اسيرة الانصاري

وهو مشهور بكنيته وبصرف باي مسعود البدرى (لانه كان يسكن بدرا)

وكان احدث من شهيد العقبة سنا ، وتوفي سنة ٤١ هـ وقيل غير ذلك .

(٤) هو الصحابي الجليل ابو ثابت سعد بن عبادة بن دليم الانصاري الساعدي ،

وكان نقيبا سيدا جوادا ، شهيد العقبة وبدرا وقيل : لم يشهد بدرا ،

وتوفي بحوران من أرض الشام سنة ١٥ هـ

(٥) هو الصحابي الجليل ابو النعمان بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاص بن مالك

الانصاري شهيد العقبة وبدرا واحدا والمشهد كلها بعدها .

وهو اول من بايع ابا بكر الصديق يوم السقيفة من الانصار . وقتل وهو مع

خالد بن الوليد بحسين التمر في خلافة ابي بكر (رضي الله عنه) .

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : قولوا !

" اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - كما صليت (وزاد في رواية الترمذى : على ابراهيم و) على آل ابراهيم . وبارك على محمد وعلى آل محمد - كما باركت على (وزاد في رواية الترمذى : ابراهيم و) على آل ابراهيم . في العالمين انك حميد مجيد "

والسلام كما علمتم)) (١)

وورد في رواية عنه بلفظ : ((" اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد - كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم : وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد - كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم . انك حميد مجيد)) (٢)

وقد كان اعتناء الصحابة بالسؤال عن كيفية الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان تعليله (صلى الله عليه وسلم) بهذه الصيغة جواباً لهم بعد سوء اليهم فيها ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على انها احسن الصيغ وافضل كيفية الصلاة عليه لانه (صلى الله عليه وسلم) لا يختار لنفسه الا الاحسن ولا يعلم اصحابه (رضى الله عنهم) الا الافضل .

(١) رواه الامام مسلم بسنده باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٤٨/٢
ورواه الامام الترمذى بسنده وقال وهذا حديث حسن صحيح باب تفسير سورة الاحزاب ٨٤/٩ - ٨٥

ورواه الامام ابوداود بسنده باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٢٧١/٣
ورواه الامام النسائي بسنده باب الامر بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٤٥/٣ - ٤٦

ورواه الامام البيهقي بسنده باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد التشهد ٤٦/٢

(٢) رواه الامام البيهقي بسنده وقال : هذا حديث صحيح باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٤٧/٢

ورواه الامام الحاكم بسنده وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه
واقره الامام الذهبي وقال : على شرط مسلم باب التشهد في الصلاة ٦٨/١

ولذلك فيبقى للداعي ان يأتي بواحدة من تلك الصيغ التي علمها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اصحابه (رضى الله عنهم) ما دام الحديث الذى ورد فيه صحيحا او صالحا للمعمل ، ولكنه ينبغي ان يأتي بما هو أعلى صحة وأقوى سنداً .

وقد ذهب بعض العلماء الى طريقة الجمع بين الالفاظ الواردة في الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) .

ورأى ان ذلك هو افضل ما يقال فيها . وهذا التجمع له الفاظ الاخر فيما اختلفت الفاظها ولصبب الفاظ النبي (صلى الله عليه وسلم) يقبنا فيها شك فيه الرلوى .

قال الامام النووي (١) : " وينبغي ان يجمع ما في الاحاديث الصحيحة السابقة فيقول : (اللهم صل على محمد عبدك ورسولك) (٢) النبي الاُمى (٣) وعلى آل محمد وأزواجه وذريته (٤) - كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته (٤) - كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين (٥) انك حميد مجيد " (٦)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) زيادة (عبدك ورسولك) عن حديث ابي سعيد الخدرى

(٣) زيادة (النبي الاُمى) من حديث ابي مسعود الانصارى في رواية البيهقي والحاكم .

(٤) زيادة (أزواجه وذريته) من حديث ابي حميد الساعدى

(٥) زيادة (في العالمين) من حديث ابي مسعود الانصارى

(٦) المجموع باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ٤٤٧/٣

وقال في موطن آخر : " والافضل ان يقول " (١) وساق

الصيغة المذكورة .

وزاد على ذلك الامام العراقي (٢) زيادات اخرى ، وقال : " بقي عليه (٣)

عما في الاحاديث الصحيحة الفاظ آخر وهي خمسة يجمعها قولك : (اللهم صل على محمد عبدك ورسولك (٤) النبي الاخير وعلى آله وازواجه امهات المؤمنين (٤) وذريته واهل بيته (٤) — كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (٤) . اللهم بارك على محمد النبي الاخير (٤) وعلى آل محمد وازواجه وذريته * كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد (٥))

وقال الامام الشوكاني (٦) : " وهذه الزيادات التي ذكرها العراقي

ثابتة في احاديث الباب التي ذكرها المصنف (٧) وذكرناها وقد وردت زيادات غـير هذه في احاديث آخر عن علي (٦) وابن مسعود (٦)

(١) الاذكار النووية باب الصلاة على النبي بعد التشييد ٣٤٦/٢ — ٣٥٢

(٢) هو الامام الحافظ ابو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ، وكان اصله من الكرد ، ولد في رازان (من اعمال اربل) سنة ٧٢٥ هـ وتحول صغيرا مع ابيه الى مصر فتعلم ونبغ فيها ، وكان من كبار حفاظ الحديث وله مؤلفات ، منها : التقييد والايضاح وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٦ هـ

(٣) اي على الامام النووي .

(٤) هذه هي الزيادات الخمسة التي عتبها الحافظ العراقي على الامام النووي ، واما زيادة (عبدك ورسولك) فلحل كلام الحافظ العراقي فيه مبني على نسخة لم يذكر فيها هذا اللفظ .

(٥) نقله الامام الشوكاني في نيل الاوطار باب ما جاء في الصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ٣١٨/٢

(٦) تقدمت تراجمهم .

(٧) هو الامام عبد السلام بن عبد الملك ٥٩٠ — ٦٥٢ هـ المعروف بربن تيمية — صاحب " منتقى الاخبار " .

وغيرهما ولكن فيها مقال " (١)

وقد رد العلماء الآخرون على طريقة الجمع هذه — لأنها تستلزم أحداث صيغة في الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) التي لم ترد مجموعة في طريق من الطرق في حديث واحد ، وقالوا : ان الأولى — ان يستعمل كل لفظ ثبت على حدة • فمرة بهذا وأخرى بهذا •

وحكى الامام ابن القيم (٢) هذا القول وضعف طريقة الجمع

من وجوه وقال :

أحدهما : — ان هذه طريقة محدثة — لم يسبق اليها احد من

الأئمة المعروفين •

الثاني : — ان صاحبها — ان داردها لزمه ان يستحب المصلي ان

يستفتح بجميع انواع الاستفتاحات وان يشهد بجميع انواع التشهيدات وان يقول في ركوعه وسجوده جميع الاذكار الواردة فيه — وهذا باطل قطعاً ، فانه خلاف عمل الناس ، ولم يستحبه احد من اهل العلم — وهو بدعة ، وان لم يطردها تناقض وفرق بين متماثلين •

الثالث : — ان صاحبها ينبغي ان يستحب للمصلي والتالي ان يجمع بين

القراءات المتنوعة في التلاوة في الصلاة وخارجها •

وقالوا : ومعلوم ان المسلمين متفقون على انه لا يستحب ذلك للقارئ في

الصلاة ولا خارجها اذا قرأها قراءة عبادة وتدبر ، وانما يفعل ذلك القراء احبانا ليمتحن بذلك حفظ القارئ لأنواع القراءات واحاطته بها واستحضاره اياها ، والتمكن من استحضارها عند طلبها ، فذلك تمرين وتدريب لا تعبد مستحب لكل تال قارئ ، بل المشروع في حق — التالي ان يقرأ بأى حرف شاء ، وان شاء ان يقرأ بهذا مرة وبهذا مرة جاز ذلك • وكذلك الداعي اذا صلى على النبي (صلى الله عليه وسلم) مرة بلفظ هذا الحديث ومرة بلفظ الآخر •

(١) نيل الاوطار باب ما جاء في الصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ٣١٨/٢

(٢) تقدمت ترجمته •

الرابع : ان النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يجمع بين تلك الالفاظ

المختلفة في آن واحد ، بل اما ان يكون قال هذا مرة وهذا مرة ، فاتباعه ،
(صلى الله عليه وسلم) يقتضى ان لا يجمع بينها ، بل يقال : هذا مرة وهذا مرة .
وأما ان يكون الراوى قد شك في اى الالفاظ قال - فان ترجع
عند الداعى بعضها صار اليه ، وان لم يترجع عنده بعضها كان مخبراً
بينها ولم يشرح له الجمع - فان هذا نوع ثالث لم يرد عن النبي (صلى الله
عليه وسلم) في مورد الجمع بين تلك الالفاظ في آن واحد على مقصود الداعى
بالابطال لانه قصد متابعة الرسول ففعل ما لم يفعله قطعاً .

الخامس : ان المقصود انما هو المعنى والتعبير عنه بعبارة مؤدية له ،
فاذا عبر عنه باحدى العبارتين حصل المقصود فلا يجمع بين العبارات المتعددة .

السادس : ان احد اللفظين يدل عن الآخر . فلا يستحب الجمع بين
البديل والمبدل معاً . كما لا يستحب ذلك في المبدلات التي لها ابدال . (١)
وقد وفق الحافظ ابن حجر (٢) بين هذين القولين وقال : " والذي

يظهر - ان اللفظ : ان كان بمعنى اللفظ الاخر سواء - كما في ازواجه وامهات
المؤمنين - فالأولى الاقتصار في كل مرة على احدهما .

وان كان اللفظ مستقل بزيادة معنى ليس في اللفظ الاخر البتة فالأولى
الاتيان به ، ويحمل على ان بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر .

وان كان يزيد على الاخر في المعنى شيئاً فلا بأس بالاتيان به
احتياطاً .

وعلى التقدير الاخير فلا يمنع ان يعطف الخاص على العام ونحوه .

وهذا التوفيق للحافظ ابن حجر هو الأرجح لاحتمال ان بعض الرواة
حفظ ما لم يحفظ الآخر ، وخاصة ان تعليمه (صلى الله عليه وسلم) صيغة الصلاة
عليه وقع بعد سؤال الصحابة (رضى الله عنهم) عنها ، فكان الاحاديث كلها في
حادثة واحدة .

(١) جلاء الافهام ، الفصل العاشر ص ١٩٠ - ١٩٢ باختصار (٢) تقدمت ترجمته

(٣) فتح البارى باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ١٣ / ٤١٠

٢ — الدعاء بالأسماء الحسنى

ومن آداب الدعاء من حيث الفاظه وصيغته — ان ندعوا بأسماءه الحسنى ، وهذا — لأن الله تعالى اخبرنا ان له الاسماء الحسنى فامرنا ان ندعوه بها وأرشدنا اليه ونهانا عن ان نلحد في اسمائه وأوعدنا على ذلك . قال تعالى * ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون * (١)

واستدل الامام الفخر الرازي (٢) بهذه الآية الكريمة وقال : " بدل على ان الانسان لا يدعو ربه الا بتلك الاسماء الحسنى وهذه الدعوة لا تأتي الا اذا عرف معاني تلك الاسماء وعرف بالدليل ان له اليها ورба خالقا موصوفا بتلك الصفات الشريفة المقدسة ، فاذا عرف بالدليل ذلك فحينئذ يحسن ان يدعو ربه بتلك الاسماء والصفات " (٣)

ما هي الاسماء الحسنى ؟

وما هي الاسماء الحسنى التي امرنا الله ان ندعوه بها ؟

فالاسماء جمع اسم ، وهو : ما دل على معنى ، والحسنى : مؤنث الأحسن ، والمراد بالاسماء — كما قال الامام الغزالي (٢) وغيره : " الألفاظ المصوغة الدالة على المعاني المختلفة ، والحسنى تأنيث الأحسن (افضل تفضيل) ومعنى ذلك : انها احسن الاسماء واجلها لانها عن احسن المعاني وأشرفها " (٤)

والتفضيل هنا ليس بمعناه تفضيل اسمائه تعالى على بعض حتى يؤتى ذلك الى اعتقاد نقصان الحسن عن الأحسن ، وانما معناه انه

(١) الأعراف / ١٨٠

(٢) تقدمت ترجمتهما

(٣) مفاتيح الغيب ١٥ / ٢٠

(٤) نقله الامام الالوسي في ربح المعاني ١٢٠ / ٩

ليس هناك اسم من أسماء غيره تعالى احسن من اسمائه تعالى لأن اسماء غيره تعالى كغيرها كانت - ناقصة ، وان اسماءه تعالى كلها حسنى .

قال الامام الالوسي (١) : " وتسميتها بذلك من جهة انها بالمعنى المراد منها بالنسبة اليه تعالى مختصة به جل وعلا اختصاص الاسم ، ولا تطلق على غيره بالمعنى المراد منها حال اطلاقها على الله تعالى ، وانما تطلق على الغير بمعنى آخر ليس بينه وبين ذلك المعنى الا كما بين السواد والبياض فان بينهما غاية البعد ... " (٢)

والاية الكريمة المذكورة مشتملة على الاخبار من الله تعالى بما له من الاسماء الحسنى على الجملة دون التفصيل ، وقد جاء ذكر الاسماء الحسنى في ثلاث آيات أخرى من كتاب الله عز وجل ، ومع ذلك فان هذه الآيات الكريمة لا تفصل ولا توضح ما هي الاسماء الحسنى ، والآيات الثلاث هي :

١ - قوله تعالى ﴿ قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن ، ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ﴾ (٣)

٢ - وقوله سبحانه ﴿ الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ﴾ (٤)

٣ - وقوله عز وجل ﴿ هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة

هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن من المهيمن العزيز الجبار المتكبر - سبحانه الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور - له الاسماء الحسنى - يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم ﴾ (٥)

وقد ورد عن ابي هريرة (١) (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله

(صلى الله عليه وسلم) : ((ان لله تسعة وتسعين اسما -

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) روح المعاني ١٢٤/٩

(٣) الاسراء / ١١٠

(٥) الحشر / ٢٢ - ٢٤

(٤) طه / ٨

— مائة الا واحدا ، من احصاها (وفي رواية للبخارى : من حفظها) دخل الجنة ، انه وتر يحب الوتر)) (١)

وهذا الحديث الصحيح لا يفصل ولا يوضح ما هي اسماء التسعة والتسعين ؟
ولكن هذه الاسماء الحسنی لم تفصل في الآيات القرآنية ولا في الحديث
الصحيح المذكور — فقد اختلف العلماء فيها : هل هي قياسية او توقيفية ؟
فذهب المعتزلة (٢) —
الى : انها قياسية بمعنى انه اذا دل المقل

على ان معنى اللفظ ثابت في حق الله — جاز اطلاقه على ذلك .

وذهب اهل السنة —
الى : انها توقيفية ، بمعنى انه لا يجوز
لأحد ان يشتق من الافعال الثابتة لله اسما الا اذا ورد نص في الكتاب
أو السنة .

وهذا الاختلاف مبني على اختلافهم في (أ ل) التعريف فـ
* الاسماء الحسنی * اهي للجنس ام للعهد ؟ فعلى الاول فهي قياسية
وعلى الثاني فهي توقيفية .

(١) رواه الامام البخارى بسنده باب لله مائة اسم الا واحدة ١٤٨ / ١٧

ورواه الامام مسلم بسنده كتاب الذكر والدعاء الخ ٩٣٥ / ٥

ورواه الامام الترمذی بسنده وقال : هذا حديث حسن صحيح كتاب الدعوات

٤٨١ / ٤٨٠ / ٩

ورواه الامام ابن حبان بسنده ذكر اسماء الله جل وعلا الخ ١٢٣ / ٢

ورواه الامام البيهقي بسنده باب اسماء الله عز وجل ثناءه ٢٧ / ١٠

(٢) هي من اكبر مدرسة فكرية التي ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري بمدينة
البصرة على يد واصل بن عطاء (٨٠ — ١٣١ هـ) وعمرو بن عبيد (١٤٤ — ١٤٤ هـ)
وهذه المدرسة انشقت عن حلقة الحسن البصري وقالت : ان مرتكب الكبيرة
في منزلة بين المنزلتين ، ولها آراء أخرى .

والذى يظهر ان (أل) التعريف في * الاسماء الحسنی * للعهد ،

لأنه كيف امر الله بالدعاء بها مع انها غير معيودة .

قال الامام الالوسي^(١) : " التعريف في * الاسماء * للعهد ، وانه

لا بد من المعهود - لأنه سبحانه وتعالى أمر بالدعاء بها ونهى عن
الدعاء بخبرها وأوعد على ذلك " (٢)

وقال الامام ابن حزم : " * الاسماء الحسنی * بالالف واللام لا تكون

الا معيودة ولا معروف في ذلك الا ما نص الله تعالى عليه " (٣)

ثم ان الذين ذهبوا الى ان اسماء الله الحسنی توقفية اختلفوا : هل

هي مقيدة بالعدد أو لا ؟

(١) ذهب فريق منهم : الى انها مقيدة بالعدد المذكور في حديث ابي

هريرة وهو تسعة وتسعون اسما فقط .

قال الامام ابن حزم (١) : " وقد صح انها تسعة وتسعون اسما فقط

ولا يحل لاحد ان يجيز ان يكون له اسم زائد ، لأنه (عليه السلام) قال :

((مائة غير واحد)) فلو جاز ان يكون له اسم زائد لكانت مائة اسم ،

ولو كان هذا لكان قوله (عليه السلام) ((مائة غير واحد)) كذبا " .

وقال : " وان له عز وجل تسعة وتسعين اسما - مائة غير واحد

وهي اسماؤه الحسنی ، ومن زاد شيئا من عند نفسه فقد اُحد في اسمائه

وهي الاسماء المذكورة في القرآن والسنة " (٤)

وقد عني الامام ابن حزم بجميع هذه الاسماء الحسنی من القرآن الكريم

والسنة الشريفة - حتى قال عنه الامام الغزالي (١) : " لا أعرف احدا من العلماء

(١) تقدمت ترجمتهم

(٢) ربح المعاني ١٢٣/٩

(٣) المحلى كتاب التوحيد ٢٩/١

(٤) المرجع السابق ٣٠/١

عنى بطلب الاسماء وجمعها سوى رجل من حفاظ المغرب ، يقال له : (علي بن حزم) * فانه قال : صح عندي قريب من ثمانين اسما يشمل عليها كتاب الله والصالح من الاخبار ، فلتطلب البقية من الاخبار الصحيحة ”

وقال الامام الفزالي : ” واظنظم ببلغه الحديث — يعنى الذى

اخرجه الترمذى — اوبلفه فاستضعف اسناده ” (١)

والذى يظهر ان الامام ابن حزم استضعف الحديث كما استضعفه

جماعة من العلماء . (٢)

والحديث الذى اخرجه الامام الترمذى هو ما روى عن ابي هريرة

(رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((ان لله

تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة ، وهى (٣) :

(١) الله الذى لا اله الا هو	(٢) الرحمن	(٣) الرحيم
(٤) الملك	(٥) القدوس	(٦) السلام
(٨) المهيمن	(٩) العزيز	(١٠) الجبار
(١٢) الخالق	(١٣) الباري	(١٤) المصور
(١٦) القيوم	(١٧) الوهاب	(١٨) الرزاق
(٢٠) العلم	(٢١) القابض	(٢٢) الباسط
(٢٤) الرافع	(٢٥) المعز	(٢٦) المذل
(٢٨) البصير	(٢٩) الحكيم	(٣٠) المدد
(٣٢) الخبير	(٣٣) الحليم	(٣٤) العظيم
(٣٦) الشكور	(٣٧) العلى	(٣٨) الكبير
(٤٠) المغيث	(٤١) الحسيب	(٤٢) الجليل
(٤٤) الرقيب	(٤٥) المجيب	(٤٦) الواسع
(٤٨) الودود	(٤٩) المجيد	(٥٠) الباعث
		(٥١) الشهيد

(١) نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٣/ ٤٧٤

(٢) انظر فتح الباري ١٣/ ٤٧٤

(٣) رقت امام هذه الاسماء ومعنى ذلك ان الارقام من عندي وليس من الحديث .

(٥٢) الحق	(٥٣) الوكيل	(٥٤) القوى	(٥٥) المتبين
(٥٦) الولي	(٥٧) الحميد	(٥٨) المحصى	(٥٩) المبدى
(٦٠) المعيد	(٦١) المحيى	(٦٢) المميت	(٦٣) الحى
(٦٤) القيم	(٦٥) الواحد	(٦٦) الماجد	(٦٧) الواحد
(٦٨) الصمد	(٦٩) القادر	(٧٠) المقتدر	(٧١) المقدم
(٧٢) المؤخر	(٧٣) الأول	(٧٤) الآخر	(٧٥) الظاهر (٧٦) الباطن
(٧٧) الوالى	(٧٨) المتعالى	(٧٩) البر	(٨٠) التواب (٨١) المنتقم
(٨٢) المفو	(٨٣) الرؤف	(٨٤) مالك الملك	(٨٥) ذو الجلال والاكرام
(٨٦) المقسط	(٨٧) الجامع	(٨٨) المبنى	(٨٩) الفنى (٩٠) المانع
(٩١) الضار	(٩٢) النافع	(٩٣) النور	(٩٤) الهدى (٩٥) البديع
(٩٦) الباقي	(٩٧) الوارث	(٩٨) الرشيد	(٩٩) الصبور ((١)

(١) رواه الامام الترمذى بسنده وقال : هذا حديث غريب كتاب الدعوات ٤٨٢ / ٩

ورواه الامام الحاكم بسنده وقال : والخلة فيه عندهما ان الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله وذكر الاسامى فيه ولم يذكرها غيره وليس هذا بحلة (باب ان الله تسعة وتسعين اسما ١٦ / ١)

وروافقه الامام الذهبي وقال : وليس هذا بحلة .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح البارى : " وليست الحلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليس واحتمال الادراج " ورواه الامام الحاكم بسنده من طريقة اخرى قال عبد العزيز بن الحصين ثقة وان لم يخرجاه وانما جعلته شاهدا للحديث الاول

وضعه الامام الذهبي وقال : بل ضعفه ١٧ / ١

وحديث عبد العزيز بن الحصين هذا يخالف حديث الوليد بن مسلم اختلافا شديدا في سرد الاسماء

ورواه الامام ابن حبان بسنده من طريقة الوليد بن مسلم ، باب تفضيل الاسامى الخ ١٢٤ / ٢

ورواه الامام البيهقي بسنده من طريقة الوليد ايضا باب اسماء الله جل شأؤه ٢٧ / ١٠ ورواه الامام ابن ماجه بسنده ، باب اسماء الله عز وجل ١٢٦٩ / ٢ واسناد ابن ماجه ضعيف ايضا - لضعف عبد الملك بن محمد

والذى يظهر ان اسناد هذا الحديث ضعيف — كما استضعفه العلماء ،
وسرد الاسماء فيه مدرج من بعض الرواة ، وقد حصل لبعضهم بتتبعها من القرآن
الكريم والسنة الشريفة ، فاخرجها ، ولهذا نرى اختلافا شديدا بين روايته
ورواية اخرى .

قال الامام ابن كثير (١) : " والذى عول عليه جماعة من الحفاظ ان
سرد الاسماء في هذا الحديث يعنى حديث الترمذى الذى رواه بسرد الاسماء
مدرج فيه . وقال غير واحد من اهل العلم : انهم جمعوها من القرآن " (٢)
وقال الامام ابن العربي (٣) : " يحتمل ان يكون ذلك تفسير النبي
(صلى الله عليه وسلم) ويحتمل ان يكون ذلك عن غيره ، وهو الظاهر عندى " (٤)
وقال الامام البيهقي (١) : " يحتمل ان يكون التفسير وقع من بعض
الرواة " (٥)

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) تفسير القرآن العظيم — باختصار ٢/٢٦٩٠ المصروف بابن المصنف

(٣) هو الامام ابوبكر محمد بن عبدالله بن محمد المصنفى الاشبيلية

المالكي المصروف بابن العربي .

ولد في اشبيلية سنة ٤٦٨ هـ ورحل الى المشرق وبرع فى
الأدب وعلوم الدين ، وصنف كتباً فى الحديث والفقه والاصول
والتفسير والأدب والتاريخ ، ومنها : الحواصم من القواصم ،
وولى قضاء اشبيلية وتوفي بقرب فاس سنة ٥٤٣ هـ وهو غير
ابن العربي الفيلسوف الذى يقول بوحدة الوجود .

(٤) عارضة الاحوذى ٣٤/١٣

(٥) الاسماء والصفات ، باب البيان ان لله جل ثناؤه ، أسماء

آخر ص ٩

وقال الحافظ ابن حجر (١) : " وقد تتبعنا ما بقي من الاسماء ما ورد في القرآن — بصيغة الاسم — مما لم يذكر في رواية الترمذى وهي : الرب ، الاله ، المحبط ، القدير ، الكافي ، الشاكر ، الشديد ، القائم ، الحاكم ، الناطر ، الخافر ، القاهر ، المولى ، النصير ، الغالب ، الخالق ، الرزق ، الملوك ، الكفيل ، الخلاق ، الاكرم ، الأعلى ، المبين ، الحفي ، القريب ، الأجد ، الحافظ .

وقال : فهذه سبعة وعشرون اسما اذا انضمت الى الاسماء التي وقعت في رواية الترمذى مما وقعت في القرآن — بصيغة الاسم ، تكمل بها التسعة والتسعون ، وكلها من القرآن .

وقال : والاسماء التي تقابل هذه مما وقع في رواية الترمذى مما لم تقع في القرآن = بصيغة الاسم ، وهي سبعة وعشرون اسما :

القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، الممزر ، المذل ، المدلل ، الجليل ، الباعث ، المحصى ، المبدئ ، المعيد ، المميت ، الواجد ، الماجد ، المقدم ، المؤخر ، الوالى ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، المغنى ، المانع ، الضار ، النافع ، الباقي ، الرشيد ، الصبور "

ثم سردنا الحافظ ابن حجر لتحفظ وقال : الله ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الخفار ، القهار ، التواب ، الوهاب ، الخلاق ، الرزاق ، الفتاح ، الحليم ، العظيم ، الواسع ، الحكيم ، الحى ، القيوم ، السميع ، البصير ، اللطيف ، الخبير ، العلى ، الكبير ، المحبط ، القدير ، المولى ، التصبير ، الكريم ، الرقيب ، القريب ، المجيب ، الوكيل ، الحسيب ، الحفيظ ، المغيث ، الودود ، المجيد ، الوارث ، الشهيد ، الولي ، الحميد ، الحق ، المبين ، القوى ، المتين ، الغنى ، المالك ، الشديد ، القادر ، المقدر ، القاهر ، تالكافى ، الشاكر ، المستعان ، الفاطر ، البديع ، الشافر

الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الكفيل ، الغالب ، الحكم ، العالم
الرفيع ، الحافظ ، المنتقم ، القائم ، المحيي ، الجامع ، المليك ،
المتعال ، النور ، الهادي ، الغفور ، الشكور ، المحفو ، الرؤوف ،
الأكرم ، الأعلى ، البر ، الحفي ، الرب ، الإله ، الواحد ، الأحد
الصدق ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . (١)

(٢) وذهب آخرون : إلى أن أسماء الله الحسنى غير مقيدة بالعدد المذكور

في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) الصحيح ، لأن هذا الحديث
لا يخبر عن حصر الأسماء الحسنى في ذلك العدد وإنما يخبر عن دخول الجنة
باحصاء تسعة وتسعين اسما من أسماء الله الحسنى .

قال الإمام النووي (٢) : " اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه
حصر أسماء الله تعالى ، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين
وإنما مقصود الحديث : أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد :
الاخبار عن دخول الجنة بأحصائها لا الاخبار بحصر الأسماء " (٣)

وقال الإمام ابن تيمية (٢) : " هذا القول — أي لا يجوز الدعاء إلا بالتسعة
والتسعين اسما — وإن كان قد قاله طائفة من المتأخرين كإبي محمد بن حزم
وغیره ، فإن جمهور العلماء على خلافه ، وعلى ذلك مضى سلف الأمة
وأئمتها ، وهو الصواب . . . " (٤)

(١) فتح الباری باب لله مائة اسم غير واحدة ٤٧٦/١٣ — ٤٧٧

(٢) تقدمت ترجمتهما

(٣) شرح مسلم کتاب الذکر والدعاء والتوبة والاستغفار ٥/٣٦٥

(٤) مجموع الفتاوى ٢٢/٤٨٣ — ٤٨٦ باختصار

ومعنى ذلك ان مسألة احصاء اسماء الله الحسنى غير مسألة الدعاء بها :
فان مسألة الاحصاء تكفى بتسعة وتسعين اسما من الاسماء الحسنى ، والحكمة
في القصر على هذا العدد - كما قال العلماء : انه امر تعبدى لا يعقل
معناه كما قيل في عدد ركعات الصلاة وغيرها .
واما مسألة الدعاء بالاسماء الحسنى فانه يكفى بأى اسم من اسمائه
الحسنى .

قال تعالى ﴿ قل ادعوا الله وادعوا الرحمن - ايا ما تدعوا فله
الاسماء الحسنى ﴾ (١)

الدعاء بالاسماء الحسنى :

والذى يباين ما سبق - ان اسماء الله الحسنى توقفية ومعهودة
في القرآن الكريم والسنة الشريفة . وانها غير منحصرة فى عدد تسعة
وتسعين فقط ، وانما هي في هذا العدد وغيره ، فللداعي ان يدعو
ربه بأى اسم من اسمائه الحسنى الواردة في القرآن الكريم والسنة الشريفة .
ولكن ينبغى للداعي ان يدعو بالاسم الذى يليق به ، كقوله :
يا رحيم ارحمنى ، يا رزاق ارزقنى ، يا تواب عذب على ، يا فتاح افتح
لى وهكذا ...

أو ان يدعو باسم عام ، كقوله : يا مالك ارحمنى ، يا عزيز احكم
لى ، يا لطيف ارزقنى وهكذا ...

أو ان يدعو باسم أعم ، كقوله : يا الله ، يا رحمن ، يا رب يا
بر رحيم .

قال تعالى ﴿ قل ادعوا الله وادعوا الرحمن ، ايا ما تدعوا فله الاسماء
الحسنى ﴾ (١)

وقال سبحانه — حكاية عن قول اهل الجنة في الآخرة : * اننا كنا من قبل ندعوه — انه هو البر الرحيم * (١)

وقد ورد كثير من الدعوات في القرآن الكريم والسنة الشريفة مبدوء بـ
" اللهم " و " ربنا " او " رب " .

الدعاء بالاسم الاعظم :

ومن الاسماء الحسنى ما هو المسمى بالاسم الاعظم وقد ورد في الاحاديث الشريفة ذكر اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى .
وقد كثر اختلاف العلماء في تعيين الاسم الاعظم كما كثر اختلافهم في تعيين ليلة القدر وساعة الاجابة يوم الجمعة وغيرها .

قال الحافظ ابن حجر (٢) : " جملة ما وقفت عليه من ذلك (اى الاختلاف) اربعة عشر قولاً " (٣)

وقال الامام الشوكاني (٢) : " وقد اختلف في تعيين الاسم الاعظم على نحو اربعين قولاً — قد افرد لها السيوطي (٢) بالتصنيف " (٤)

١ — فان اثبت ما ورد في ذلك حديث بريدة (٥) (رضى الله عنه) قال : ((سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) رجلاً يدعو وهو يقول :

(١) الطور ٢٨٦

(٢) تقدمت تراجمهم

(٣) فتح الباري ١٣/ ٤٨٣

(٤) تحفة الذاكرين ص ٥٢

(٥) هو الصحابي الجليل ابو عبد الله بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث

الاسلمى اسلم قبل بدر ولم يشهد بها وقيل اسلم بعد الانصراف من بدر ،

وشهد خيبر وفتح مكة ، واستعمله النبي (صلى الله عليه وسلم) على صدقات

قوله ، وسكن المدينة ثم انتقل البصرة ثم الى المروفتوفى بها سنة ٦٣ هـ

" اللهم اني أسألك بأني أشهد أنك انت الله لا اله الا انت الاحد

الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد "

قال : فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : والذي نفسي بيده لقد سألت
الله باسمه الأعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب)) (١)

٢ - ثم حديث انس بن مالك (٢) (رضي الله عنه) قال : ((كنا

مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في حلقة ورجل قائم يصلي ، فلما ركع
وسجد وتشهد ودعا ، فقال في دعائه :

" اللهم اني أسألك بكتابك لك الحمد لا اله الا أنت (وزاد في رواية

ابن حبان : الحنان) المنان بديح السموات والأرض ، يا ذا الجلال
والإكرام ، يا حي يا قيوم (وزاد في رواية النسائي وابن حبان اللهم اني
أسألك ...

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه : أتدرون بما دعا

قالوا : الله ورسوله اعلم)

فقال : والذي نفسي بيده - لقد دعا باسم الله الأعظم الذي

(١) رواه الامام الترمذي بسنده وقال هذا حديث حسن قريب كتاب الدعوات

٤٤٥/٩ - ٤٤٦

ورواه الامام ابو داود بسنده باب الدعاء ٣٦٦/٤

ورواه الامام ابن حبان بسنده ذكر الشيء اذا دعا المرء به اجاب ١٧٧/٢

ورواه الامام الحاكم بسنده وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم
يخرجاه وله شاهد صحيح على شرط مسلم

وأقره الامام الذهبي وقال : على شرطيهما وله شاهد صحيح على شرط مسلم ٥٠٤/١

وقال الامام المنذري : قال شيخنا الحافظ ابو الحسن المقدسي - واسناده لا طعن

فيه ولم يرد في هذا الباب حديث اجواد اسنادا منه "

(الترغيب والترهيب ٢٨٩/٣)

وقال الحافظ ابن حجر : " وهو ارجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك "

(فتح الباري ٤٨٤/١٣)

(٢) تقدمت ترجمته

إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى (((١)

٣ - ثم حديث سعد بن أبي وقاص (٢) (رضي الله عنه) قال :

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((دعوة ذي النون اذ دعا في بطن الحوت : * لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * (٣) انه لم يدع بها مسلم في شيء قط الا استجاب الله له بها)) (٤)

وفي رواية للحاكم بسنده عن سعد (٢) (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : ((هل ادلكم على اسم الله الأعظم الذي اذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى - الدعوة التي دعا بها يونس حيث ناداه في الأسماك الثلاث : * لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * (٣)

فقال رجل : يا رسول الله ، هل كانت ليونس خاصة ام للمؤمنين عامة ؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لا تسمع قول الله عز وجل : * ونجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمن * (٥) (((٦)

ولذلك فنبني للداعي ان يدعوه باسم من اسمائه الحسنی وخاصة

باسمه الاعظم الذي هو من أرقى الآداب للإجابة .

(١) رواه الامام ابو داود بسنده باب الدعاء ٣٦٣/٤

ورواه الامام النسائي بسنده ، باب الدعاء بعد الذكر ٥٢/٣

ورواه الامام ابن حبان بسنده ، باب اسم الله العظيم ١٧٩/٢

ورواه الامام الحاكم بسنده وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

واقره الامام الذهبي وقال : صحيح على شرط مسلم ٥٠٤/٢

(٢) تقدمت ترجمته (٣) الأنبياء ٨٧

(٤) رواه الامام الترمذي بسنده كتاب الدعوات باب ٨٥ ٤٧٩/٩

ورواه الامام الحاكم بسنده وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه

واقره الامام الذهبي وقال : صحيح ٥٠٥/١

(٥) الأنبياء / ٨٨

(٦) رواه الامام الحاكم بسنده باب أيها مسلم دعا بدعوة يونس (عليه السلام)

وسكت عنه الامام الذهبي ٥٠٦/١

٣ - اختيار الجوامع من الدعاء

ومن آداب الدعاء من حيث الفاظه وصيغه - اختيار الجوامع من الدعاء ، وهذا لما ورد عن عائشة ^(١) (رضي الله عنها) قالت : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم) يستحب (وفي رواية الحاكم : يعجبه) الجوامع من الدعاء ، وبدع (وفي رواية الحاكم : ويترك) ما سوى ذلك)) ^(٢)

والفاظ الدعاء وصيغه عبارة عن ترجمة آمال نفس الداعي وابتهالات قلبه التي تتدلق حسب الدوافع الخاصة له ، وكل داع يريد ان يترجم ترجمته صادقة عن حاجاته وان يدعو بالالفاظ والصيغ التي تتفق وحالته ، ولكن حاجاته لا تأتي عليها الحصر واختيارها صعب واستقصاءها أشق ، فأى حاجة يسألها وأى حاجة يتركها وهذا شيء في منتهى الصعوبة وغاية الحرج ، وذلك لو أتيج له فرصة سؤلها واستشبعها لتواجهه الصعوبة ويعقبه الحرج فيمجز عن الدوام على القيام به .

وكان من فضل الله وكرمه ان الله تعالى علم لعباده الجوامع من الفاظ الدعاء وصيغه . وهذا من غاية الكرم حيث يعلمهم الدعاء لجيبهم المطلوب كله .

وهذا الحديث الشريف دليل على ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحب الجوامع من الدعاء وتعجبه ويدعو بها ويترك ما سوى ذلك من الامور الجزئية .

(١) تقدمت ترجمتها

(٢) رواه الامام ابوداود بسنده باب الدعاء ٣٥٥/٤

وقال الامام النووي رواه ابوداود باسناد جيد (رياض الصالحين ٤ / ٢٨٢)

ورواه الامام الحاكم بسنده وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه

واقره الامام الذهبي وقال : صحيح . باب كان يعجبه الجوامع من الدعاء ١ / ٥٣٩

ورواه الامام ابن حبان بسنده باب الادعية ٢ / ١٦١

وقال الحافظ السخاوي : هذا حديث حسن (انظر دليل الفالحين ٤ / ٢٨٢)

وقوله ((ويدع ما سوى ذلك)) قال الامام على القارى (١) : " اى - مما لا يكون جامعا ، بأن يكون خاصا بطلب امور جزئية كإرزقي زوجة حسنة ، فان الاولى والاخرى منه : إرزقي الراحة في الدنيا والاخرة - فانه يعمها و غيرها . (٢) ولذلك فينبغى للداعى ان يختار الجوامع من الدعاء وهي : الدعاء الجامع لخيرى الدنيا والاخرة مما - الذى يكون مبناه قليلا ومعناه جليلا . وانما ذلك هو ما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وقد بين الله تعالى في كتابه الحكيم - ان الذين يدعون الله فريقان : ففريق - ان يكون دعاؤه هم مقصورا على طلب الدنيا . وآخرون - ان يكون دعاؤه هم / جامعا بين طلب الدنيا وطلب الآخرة . وأخبر تعالى ان من كان من الفريق الاول فلا خلاق له ولا نصيب في الآخرة ، ومن كان من الفريق الثانى فله نصيب مما دعا وكسب في الدنيا والاخرة معا . وقال تعالى * فمن الناس من يقول : ربنا آتانا في الدنيا وممنا لـه في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول : ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب * (٣) وهذا هو حكم من يكون دعاؤه مقصورا على طلب الدنيا فقط ، وحكم من يكون دعاؤه جامعا لخيرى الدنيا والاخرة ، فما هو حكم من يكون دعاؤه مقصورا على طلب الآخرة فقط ؟ والظاهر انه مما يتركه الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

قال الامام الفخر الرازى (١) : " وقد كان في التقسيم قسم ثالث ، وهو من يكون دعاؤه مقصورا على طلب الآخرة .

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) مرقة المفاتيح كتاب الدعوات الفصل الثانى ٦٤١/٢

(٣) البقرة / ٢٠١ - ٢٠٢

واختلفوا — في ان هذا القسم : هل هو مشروع اولا ؟
والاكثرون : على انه غير مشروع وذلك ان الانسان خلق محتاجا لا طاقة
له بالآلام الدنيا ومشاق الآخرة ، فالأولى له ان يستعبد بربه من كل شرور الدنيا
والآخرة واعلم انه سبحانه لو سلب الألم على عرق واحد في البدن او على
منبت شعرة واحدة لشوش الأمر على الانسان وصار بسببه محروما من طاعة
الله تعالى وعن الاشتغال بذكره فمن الذي يستغنى عن امداد رحمة الله
تعالى في أولاه وعقباه فثبت ان الاقتصار في الدعاء على طلب الآخرة
غير جائز ، وفي الآية إشارة اليه حيث ذكر القسمين ، وأهمل هذا القسم
الثالث " (١)

وقد أمر الله عبده ان يبتغى فيما آتاه الله الدار الآخرة ونهاه
عن نسيان نصيبه من الدنيا — كما قال تعالى * وابشع فيما آتاك الله
الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا * (٢)

ورود عن انس (٣) (رضي الله عنه) ((أن رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) عاد رجلا من المسلمين قد خفت (٤) فصار مثل الفرخ . فقال
له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

هل كنت تدعوبشي أو تسأله إياه

قال : نعم ، كنت اقول : " اللهم ما كنت محاقبي به في الآخرة فمجله لي
في الدنيا "

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : سبحانه الله ، لا تطيقه أولا تستطيعه ، أفلا
قلت : (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (((٥)

(١) مفاتيح الغيب ١٨٧/٥

(٢) القصص ٧٧/

(٣) تقدمت ترجمته (٤) أي : ضيف وهزل

(٥) رواه الامام مسلم بسنده (باب كراهة الدعاء بتمجيل العقوبة في الدنيا) ٥٤٣/٥

ورواه الامام الترمذي بسنده وقال : وهذا حديث حسن صحيح غريب

باب ما جاء في عقد التسبيح بالبدر ٤٦٠/٩

وفي هذا الحديث الشريف دليل على ان ينحصر الدعاء للاخرة فقط مكروه وهو ما يتركه النبي (صلى الله عليه وسلم) بل الذي يحبه ويعجبه هو الدعاء لخيري الدنيا والاخرة معا ، وهو من اكثر دعائه (صلى الله عليه وسلم) ومن الجوامع •

كما ورد في ذلك حديث انس (رضى الله عنه) ايضا قال : ((كان اكثر دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) : " اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار) •

وزاد في رواية مسلم وابي داود وابن حبان : وكان انس اذا اراد ان يدعو بدعوة دعا بها فاذا اراد ان يدعو بدعاء دعا بها فيه (((١) وورد ((انهم قالوا لا نسي : ادع الله لنا ،

فقال : (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار) قالوا : زدنا • فأعادها ، قالوا : زدنا ، فأعادها ،

قالوا : زدنا ، فقال : ما تريدون — سألت لكم خير الدنيا والاخرة (((٢)

وقد فسر العلماء الآية الكريمة : * ومنهم من يقول : ربنا آتنا فسي

الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار * بتفسيرات متعددة •

وقال الامام ابن كثير (٣) : " فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا

وصرفت كل شر ، فان كل الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب ديني من عافية ،

(١) رواه الامام البخاري بسنده باب قول النبي : ربنا آتنا في الدنيا حسنة ٤٤٧/١٣

ورواه الامام مسلم بسنده باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة ٥٤٦/٥

ورواه الامام ابو داود بسنده باب في الاستغفار ٣٨٢/٤

ورواه الامام ابن حبان بسنده ذكر ما يستحب للمرء ان يزيد في الدعاء الخ ٢٠٩/٢

(٢) رواه الامام ابن حبان بسنده ، ذكر البيان بان الدعاء الذي وصفناه الخ ٢٠٨/٢

(٣) تقدمت ترجمته •

ودار رحبة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين
وثناء جميل الى غير ذلك مما اشتملت عبارات المفسرين ، ولا منافاة بينهما
فانها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا : واما الحسنة في الآخرة فأعلى
ذلك دخول الجنة وثوابه من الأمن من الفزع الأكبر في الصرضات وتيسير
الحساب - وغير ذلك من الامور الآخرة الصالحة واما النجاة من النار فهو
يقتضى تيسير اسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات
والحرام " (١)

وما من شك في ان الادعية الواردة في القرآن الكريم كثيرة مستفيضة
وفي ان ادعية الرسول (صلى الله عليه وسلم) متعددة ومتنوعة حتى لم
يبق خبر في الدنيا والآخرة الا وقد ورد الدعاء به في القرآن الكريم والسنة
الشريفة .

ولهذا - فما من داعي الا ان يختار الجوامع من الفاظ الدعاء
وصيغته الواردة في القرآن الكريم او السنة الشريفة التي تتناسب مع الموضوع
الذي هو فيه .

وقد ارشد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعض اصحابه (رضى
الله عنهم) الى الدعاء الجامع الذي يتناسب مع الاوضاع والحالات :
١ - ومن ذلك ما ورد عن ابي امامة (٢) (رضى الله عنه)
قال ((دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً ،
قلنا : يا رسول الله ، دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً
فقال : ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله
تقول : " اللهم انا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد (صلى الله عليه
وسلم) ، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد (صلى الله

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٤٣/١

(٢) تقدمت ترجمته

عليه وسلم) ، وأنت المستعان ، وعليك البلاغ (١) ، ولا حول ولا قوة الا بالله " (((٢)

قال الامام الشوكاني (٣) : " ولا شيء اجمع ولا انفع من هذا الدعاء . فان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد صبح عنه من الأدعية الكثير الطيب ، وصبح عنه من التحول مما ينفي التحول منه الكثير الطيب ، حتى لم يبق خبر في الدنيا والاخرة الا وقد سأله من ربه ، ولم يبق شرف في الدنيا والاخرة الا وقد استعان ربه منه ، فمن سأل الله عز وجل من خبر ما لغيره منه نبيه (صلى الله عليه وسلم) واستعان من شر ما استعان منه نبيه (صلى الله عليه وسلم) فقد جاء في دعائه بما لا يحتاج بعد الى غيره ، وسأله الخبر على اختلاف انواعه واستعان من الشر على اختلاف انواعه وحظي بالعمل بارشاده (صلى الله عليه وسلم) الى هذا القول الجامع والدعاء النافع " (٤)

ومن ذلك ما ورد عن عائشة (٣) (رضى الله عنها) :
 ((أن ابا بكر الصديق (رضى الله عنه) دخل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكلمه في شيء يخفيه من عائشة ، وعائشة تصلى فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : يا عائشة ، عليك بالكامل ، أو كلمة اخرى (وفي رواية البخاري في المفرد : عليك بجمل الدعاء وجوامعه)
 فلما انصرفت عائشة — سألته عن ذلك .
 فقال لها : قولي : " اللهم اني اسألك من الخير كله — عاجله وآجله — ما علمت

(٢) رواه الامام الترمذي بسنده وقال : هذا حديث حسن غريب . كتاب الدعوات

باب ٩٤ ٥٠٣/٩

ورواه الامام ابن ماجه بسنده باب الجوامع من الدعاء ١٢٦٤/٦

وقال الامام الشوكاني : وحديثه لا يقصر عن رتبة الحسن (تحفة الذاكرين ص ٣٠٤)

(٤) تحفة الذاكرين ص ٣٠٤

(٣) تقدمت ترجمتهما .

(١) اي : ما يتبلغ ويتوصل به الى الشيء المطلوب

منه وما لم اعلم ، وأسألك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل ، واعوذ بك
من النار وما قرب اليها من قول او عمل وأسألك خيرا ما سألك عبدك ورسولك
محمد (صلى الله عليه وسلم) واعوذ بك من شر ما استعاذ بك عنه عبدك
ورسولك محمد (صلى الله عليه وسلم) وأسألك ما قضيت لي من أمر ان تنجز
عاقبته رشدا)) (١)

٣ - ومن ذلك ما ورد عن طارق بن اشيم الاشجعي (٢) (رضى
الله عنه) انه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) ((وأتاه رجل فقال : يا رسول
الله كيف اقول حين أسأل ربي ؟

قال : قل : " اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني "
ويجمع اصابعه الا الابهام - فان هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك)) (٣)
وورد في رواية عنه قال : ((كان الرجل اذا اسلم - علمه النبي (صلى
الله عليه وسلم) الصلاة ثم امره ان يدعو بهؤلاء الكلمات : " اللهم
اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني ")) (٤)

(١) رواه الامام الحاكم بسنده وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه
واقره الامام الذهبي وقال صحيح باب الدعاء الجامع الكامل ٥٢٢ / ١
ورواه الامام البخاري بسنده في الادب المفرد ٩٩ / ٢
ورواه الامام ابن ماجه بسنده (بلا قصة) باب الجوامع من الدعاء ١٢٦٤ / ٢
ورواه الامام ابن حبان بسنده (بلا قصة) ذكر الامر للمؤمن ان يسأل ربه
جوامع الخير الخ ١٦٦ / ٢
وقال الامام فضل الله الجيلائي : وللحديث طرق كثيرة صحيحة (فضل الله
الصد ٩٩ / ٢)

(٢) هو الصحابي طارق بن اشيم بن مسعود الاشجعي ويعد من الكوفيين وهو والدابي
مالك (سعد بن طارق) الاشجعي روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وعن
الخلفاء الاربعة وروى عنه ابنه ابو مالك .

(٣) رواه الامام مسلم بسنده باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٥٤٩ / ٥

ورواه الامام ابن ماجه بسنده باب الجوامع من الدعاء ١٢٦٤ / ٢

(٤) رواه الامام مسلم بسنده باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٥٤٩ / ٥

٤ - المزم في الدعاء

ومن آداب الدعاء من حيث الفاظه وصيغه ان يمز في الدعاء والاصل في هذا الادب ما ورد عن انس (١) (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ((اذا دعا احدكم فليزم المسألة (وفي رواية لمسلم : في الدعاء) ولا يقولن : اللهم ان شئت فاعطني فانه (وفي رواية لمسلم : فان الله لا مستكره له)) (٢) وورد عن ابي هريرة (١) (رضي الله عنه) : ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ((اذا دعا احدكم فلا يقل : اللهم اغفر لي ان شئت ، ولكن ليغمز المسألة ، وليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء اعطاه)) (٣)

وورد في رواية عن ابي هريرة (رضي الله عنه) ايضا انه قال : قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((لا يقولن احدكم : " اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت " - ليعزم في الدعاء ، فان الله صانع ما شاء - لا مكره له (وفي رواية للبخاري : فانه لا مستكره له)) (٤)

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) رواه الامام البخاري بسنده باب ليعزم المسألة الخ ٣٨٩/١٣

ورواه ايضا بسنده في الادب المفرد باب ليعزم الدعاء الخ ٧٠/٢

ورواه الامام مسلم بسنده باب العزم في الدعاء الخ ٥٣٦/٥

(٣) رواه الامام مسلم بسنده باب العزم في الدعاء الخ ٥٣٧/٥

(٤) رواه الامام البخاري بسنده باب ليعزم المسألة الخ ٣٩٠/١٣

ورواه الامام مسلم بسنده باب العزم في الدعاء ٥٣٧/٥

ورواه الامام ابوداود بسنده باب الدعاء ٣٥٦/٤

ورواه الامام ابن ماجه بسنده باب لا يقول الرجل : اللهم اغفر لي

ان شئت ١٢٦٧/٢

ومعنى الحزم في الدعاء - كما قال العلماء : " عزم المسألة : الشدة في طلبها والجزم من غير ضعف في الطلب ولا تعليق على مشيئة ونحوها " (١)
ومعنى تعظيم الرغبة - كما قال الحافظ ابن حجر (٢) : " ان يبالغ في ذلك بتكرار الدعاء والالاحاح منه ، ويحتمل ان يراد به : الا لمربط بالشيء العظيم الكثير . ويؤيده ما في آخر هذه الرواية : ((فان الله لا يتعاطاه شيء)) (٣)

التكرار والاكتثار في الدعاء :

ومن اظهر صور الشدة والجزم من غير ضعف في الدعاء هو التكرار والاكتثار فيه ، فالتكرار هو : اعادة الدعاء في وقت واحد ومجلس واحد بمرات عديدة واعادته ايضا في اوقات مختلفة ومجالس متعددة . والاكتثار في الدعاء هو : اكثار التكرار واكتثار الطالب لحوائج كثيرة - عظيمة وحقيقية - غير منحصرة .

وقد ورد عن ابن مسعود (٢) (رضى الله عنه) قال :

((وكان (٤) اذا دعا دعا ثلاثا ، واذا سأل سأل ثلاثا)) (٥)

وورد في رواية عنه (رضى الله عنه) قال : ((ان رسول الله

(صلى الله عليه وسلم) كان يعجبه ان يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا)) (٦)

(١) نقله الامام النووي في شرح مسلم باب الحزم في الدعاء ٥٣٧/٥

(٢) تقدمت ترجمتهما

(٣) فتح الباري باب ليعزم المسألة ٣٩٠/١٣

(٤) يعنى : النبي (صلى الله عليه وسلم)

(٥) رواه الامام مسلم بسنده باب ما لقي النبي (صلى الله عليه وسلم)

من اذى المشركين ٤٣٦/٤

(٦) رواه الامام ابوداود بسنده باب الدعاء ٣٨٥/٤

ورود في رواية أخرى عنه قال : ((كان أحب الدعاء إلى رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) أن يدعو ثلاثا)) (١)

ورود عن عائشة (٢) (رضي الله عنها) قالت : ((سحر رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) فدعا ودعا)) (٣)

والذي يظهر من هذا — أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا دعا
دعا ثلاثا في وقت واحد ومجلس واحد ، وأنه أعاد طلبه في أوقات مختلفة
ومجالس متعددة ، وذلك العدد الثلاث هو أقل التكرار .

وقد ورد عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : ((كان تعد لرسول
الله (صلى الله عليه وسلم) مائة مرة : ” ربي اغفر لي وتب علي — انك انت
التواب الرحيم ”)) (٤)

ولذلك فنبغى لنا أن نكثر التكرار في دعائنا وعلى الأقل ثلاث مرات
وابضا أن نكثر الطلب لحوائجنا الكثيرة لأن رحمة الله وفضله وكرمه أكثر بكثير
من كثرة الدعوات والطلبات .

وذلك ما ورد عن جابر (٢) (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) يقول ((ما من مسلم يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما
سأل ، أو كف عنه من سوء مثله — ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم فقل
رجل من القوم : اذا — نكثر ، قال : الله أكثر)) (٥)

(١) أورده الامام البيهقي في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني في الاوسط وقال :
ووجاله ثقات ١٥١/١٠

(٢) تقدمت تراجمهم .

(٣) رواه الامام البخاري بسنده باب تكرير الدعاء ٤٤٨/١٣

(٤) رواه الامام الترمذي بسنده وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ٣٩٣/٩

ورواه الامام ابو داود بسنده باب الدعاء ٣٧٩/٤ — ٣٨٠

ورواه الامام ابن حبان بسنده ١٩٩/٢

(٥) تقدم تخريجه : رواه الترمذي وقال : حسن غريب صحيح .

وورد عن عائشة (١) (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) : ((اذا سأل أحدكم فليكثر فانه يسأل ربه)) (٢)

الا يخلق الدعاء على المشيئة :

ومن العزم في الدعاء - كما قال العلماء - هو الا يخلق الدعاء على
المشيئة ، وقد ورد النهي عن التمليق في الدعاء وذلك لان التمليق يتضمن
معاني الاكراه على الله والاستغناء عنه واستعظام الأمر المطلوب عليه ،
وهذه المعاني الثلاثة منافية لروح عبادة الدعاء التي هي افتقار العبد
الداعي الفقير الى ربه الغني الحميد ، واذ انتفت روح عبادة الدعاء
انتفى معنى العزم .

قال تعالى * يا أيها الناس - انتم الفقراء الى الله ، والله
هو الغني الحميد *

فاما الاكراه فان الله تعالى لا يعطي عبده شيئاً عن اى اكراه
عليه فانه لا مكره له او لا مستكره له كما يحصل ذلك في سؤال الانسان من
اخيه ، لأن الانسان المسئول قد يعطى أخاه السائل مسألته لخوفه
منه اول حاجته اليه اول رجائه فيه - فيعطيه مسألته وهو مكره - مقهور
عليه وهو لا يريد ولا يرضاه ، ولذلك فاللائق لسائل المخلوق أن يخلق
مسألته في حصول حاجته على مشيئة المسئول خوفاً أن يعطيه وهو مكره ، وأما
سائل الخالق سبحانه وتعالى فاللائق له الا يخلق في سؤاله على مشيئته
تعالى ، فانه لا يقدر احد ان يكرهه على فعل شيء أراد تركه او على ترك
شيء اراد فعله بل هو سبحانه وتعالى يفعل ما يريد ويترك ما يشاء
فلا معنى لقول الداعي : " ان شئت " فضلاً من كمال جوده وكرمه

(١) تقدمت ترجمتها

(٢) رواه الامام ابن حبان بسنده ١٧٦/٢
واورده الامام البيهقي في مجمع الزوائد وعزاه الى الطبراني في الاوسط
وقال : رجاله رجال الصحيح ١٥٠/١٠

(٣) محمد / ٣٨

وكمال احسانه وغناه عن جميع خلقه - وهو يؤتي عبده من كل ما سألـه
وينعم عليه بنعم لا تحصى *

قال تعالى * وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها . ان الانسان لظلم كفار * (١)

ومعنى ذلك ان التعليق على المشيئة في حق من يتوجه عليه الاكراه،
والله تعالى لا مكره له .

قال الامام النووي (٢) - في شرح حديث أنس (٢) وأبي هريرة (٢)

(رضى الله عنهما) السالف ذكرهما : " وعلى الحديث - استحباب الجزم
في الطلب وكراهة التعليق على المشيئة .

وقال العلماء : سبب كراهته - انه لا يتحقق استعمال المشيئة

الا في حق من يتوجه عليه الاكراه والله تعالى منزه عن ذلك وهي
معنى قوله (صلى الله عليه وسلم) في آخر الحديث ((فانه لا مستكره له)) (٣)

وقال الحافظ ابن حجر (٢) : " والمراد - ان الذى يحتاج الى التعليق

بالمشيئة ما اذا كان المطلوب منه يتأتى اكراهه على الشئ فيتخفف الأمر
عليه ، ويعلم بأنه لا يطلب منه ذلك الشئ الا برضاه وأما الله سبحانه
فمحمزه عن ذلك - فليس للتعليق فائدة . " (٤)

وأما الاستغناء فان العبد لا يستغنى عن ربه في أى لحظة من

اللحظات وانه محتاج فقير اليه ، والتعليق في الدعاء على المشيئة - فيه
صورة الاستغناء عن المألوب والمطلوب منه ، فكان قول الداعى : " اللهم
اغفر لى ان شئت ... وغير ذلك ، معناه : ان هذا المطلوب - وهو

(١) ابراهيم / ٣٤

(٢) تقدمت تراجمهم

(٣) شرح مسلم باب العزم في الدعاء ٥ / ٣٧٧

(٤) فتح البارى باب للعزم المسألة ١٣ / ٣٨٩

المغفرة ونحوها - ان حصل ، والا استغنى عنه ، وان هذا المطلوب
 ان شاء ان يغفر له والا فهو يستغنى منه ، ومن كان حاله ذلك فليست
 له صفة الفقر والاحتياج الى الله التي هي روح عبادة الدعاء .
 قال الامام القرطبي (١) : " انما نهي الرسول (صلى الله عليه وسلم)
 عن هذا القول (اي : قول - اللهم اغفر لي ان شئت) . لانه يسدل
 على فتور الرغبة وقلة الاهتمام بالمطلوب . وكان هذا القول يشتمل
 ان هذا المطلوب ان حصل والا استغنى عنه ، ومن كان هذا حاله
 لم يحقق عن حالة الافتقار والاضطرار الذي هو روح عبادة الدعاء " (٢)
 وأما استعظام الأمر المطلوب على المطلوب منه فان الله تعالى
 لا يخطى عن عظم مسألة ولا شيء عنده بعظيم . فانه لا يتعاضده شيء
 أعظمه - كما يحصل ذلك في طلب الانسان من اخيه ، فالشيء المطلوب
 قد يكون عظيما في نفس المطلوب منه ، ولهذا فان اللائق لسائل
 المخلوق ان يعلق مسأله في حصول حاجته على مشيئة المطلوب
 منه ، لانه لا يطلب منه الا ما يهبون عليه بذله - بخلاف الخالق
 سبحانه وتعالى فاللائق لسائله ألا يعلق على مشيئته لأن أمره بكلمة
 " كن "

قال تعالى * انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون * (٣)
 ومن هذا كله فينبغي للداعي ان يحزم في دعائه وهو من آداب
 الدعاء من حيث الفاظه وصفه ، ومن المزم في الدعاء ان يكرره
 ويكثره وألا يقول في دعائه : ان شئت .

(١) تقدمت ترجمته

(٢) نقله الشيخ سليمان في تفسير العزيز الحميد باب قول : اللهم اغفر لي

ان شئت ص ٦٥١

(٣) يس / ٨٢

٥ - ختم الدعاء بالتأمين

التأمين : مصدر أمّن (بالتشديد) ، وهو قول " آمين " (بالمد وتخفيف الميم) (١) وهي : من أسماء الأفعال مثل : صه (للسكوت) وتفتح في الوصل - لأنها مبنيّة بالاتفاق مثل : كيف ، ومعناها - عند الجمهور : " اللهم استجب " وقيل : غير ذلك (٢) وذهب بعض العلماء الى ان ختم الدعاء بالتأمين - أدب من آداب الدعاء ، وهم استأنسوا بما ورد في التأمين عقب الفاتحة وعللوا ذلك ان في الفاتحة دعوات ، وأيضا ان التأمين معناه طلب الاجابة واستنجازها ، وهذا تأكيد لما تقدمه من الدعاء وتكرار له وعزم له ، لأن التأمين قائم مقام التلخيص بعد البسط وكل ذلك يجعل الدعاء أرجى للاجابة والقبول .

(١) قال الحافظ ابن حجر : " وهي بالمد والتخفيف " في جميع الروايات وعن جميع القراء ، وحكى الواحدى عن حمزة والكسائى " الامالة " (أى : هي بالمد والامالة وتخفيف الميم) وحكى ايضا عن الحسن البصرى والحسين ابى الفضل : " المد وتشديد الميم " وحكى ثعلب وآخرون : القصر وتخفيف الميم . وحكى القاضى عباس : " التشديد مع المد والقصر " (فتح البارى ٤٠٤/٢)

(٢) فقبل معناه : اللهم آما بخير ، وقيل : كذلك يكون وقيل : درجة فى الجنة تجب لقائلها ، وقيل : لمن استجب له كما استجب للملائكة ، وقيل : هو اسم من أسماء الله تعالى ، وقيل : قاصدين اليك .

وقد ورد عن أبي هريرة (١) (رضي الله عنه) ان رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) قال : ((اذا قال احدكم (وزاد في رواية اخرى
لمسلم : في الصلاة) : آمين ، وقالت الملائكة في السماء : آمين ،
فوافقت احدهما الاخرى - فغفر له ما تقدم من ذنبه)) (٢)

وورد في رواية عنه مرفوعا : ((اذا قال الامام : غير المفضوب
عليهم ولا الضالين - فقولوا : آمين (وزاد في رواية اخرى لمسلم : بجنبكم
الله)) (٣) فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من
ذنبه)) (٤)

وورد في رواية اخرى عنه مرفوعا ((اذا أمّن الامام فأمنوا ، فانه
من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)) (٥)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) رواه راء الامام البخارى بسنده باب فضل التأمين ٤٠٩/٢

ورواه الامام مسلم بسنده باب التأمين ٥٢/٢

ورواه الامام النسائي بسنده باب فضل التأمين ١٤٥/٢

(٣) هذه الزيادة وردت في باب التشديد في الصلاة ٤٤/٢

(٤) رواه الامام البخارى بسنده باب جهر الامام بالتأمين ٤٠٦/٢ - ٤٠٨

ورواه الامام مسلم بسنده باب التأمين ٥٢/٢

ورواه الامام الترمذى بسنده وقال هذا حديث حسن صحيح باب ما جاء في

فضل التأمين ٧٨/٢ - ٧٩

ورواه الامام ابوداود بسنده باب التأمين وراء الامام ٢٠٩/٣

ورواه الامام النسائي بسنده باب جهر الامام بالتأمين ١٤٤/٢

(٥) رواه الامام البخارى بسنده باب جهر الامام بالتأمين ٤٩/٢

ورواه الامام مسلم بسنده باب التأمين ٥٢/٢

ورواه الامام ابوداود بسنده باب التأمين وراء الامام ٢١١/٣

ورواه الامام النسائي بسنده باب الامر بالتأمين خلف الامام ١٤٤/٢

ورواه الامام ابن حبان بسنده ذكر قول المرء في صلاته آمين ٤٠٧/٣ - ٤٠٨

وورد عنه مرفوعاً ((اذا آمن القارئ فأمنوا ، فان الملائكة تؤمن
فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)) (١)
وهذه الاحاديث الشريفة تدل على ان التامين عقب الفاتحة له
مزيان : مزية حول الاجابة ومزية حول غفران الذنوب ، ومزية %
الاجابة هي : اثابة التحييد والتعبد في الفاتحة ، وقبول الدعاء
ما سأل فيها . ومزية غفران الذنوب بشرط الموافقة ، فمالمراد بالموافقة
إذا ؟

والذي يظهر ان المراد بها هي الموافقة في القول والزمان
كما ورد قوله (صلى الله عليه وسلم) : ((فانه من وافق قوله قول
الملائكة))

ولكن الامام ابن حبان (٢) ذهب الى ان المراد بها هي في الاخلاص
وقال : " ان الملائكة تقول : آمين - من غير علة من رياء او سمعة او
اعجاب . بل تأمينها يكون خالصا لله . فاذا آمن القارئ لله من
غير ان يكون فيه علة من اعجاب أو رياء أو سمعة كان موافقا
تأمينه في الاخلاص تأمين الملائكة - غفر له حينئذ ما تقدم من ذنبه " (٣)
وتلك هي الاحاديث الواردة في التامين عقب الفاتحة التي
استأنس العلماء بها في قولهم : ان التامين عقب الدعاء أدب من آدابه .
وروى في التامين عقب الدعاء عن ابي مصبح المقرئ (٤) قال :

(١) رواه الامام البخاري بسنده باب التامين ٤٥٦/١٣

ورواه الامام ابن ماجه بسنده باب الجهر بآمين ٢٧٧/١

(٢) تقدمت ترجمته

(٣) الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان باب قول المرء في صلاته آمين ٢٢٠/٣

(٤) هو أبو مصبح (على وزن محدث) المقرئ (بهمزة مكسورة بعد راء مدودة)

الرؤباني الأوزاعي الحمصي . ولا يصرف اسمه وهو ثقة .

كنا نجلس الى ابي زهير النميري (١) - فيتحدث احسن الحديث ، فاذا دعا الرجل منا بدعاء - قال : اختمه بآمين ، فان آمين مثل الطابع على الصحيفة ، قال ابو زهير : اخبركم عن ذلك

((خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات ليلة ، فأتينا على رجل قد ألح (٢) في المسألة ، فوقف النبي (صلى الله عليه وسلم) يستمع منه ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : أوجب (٤) ان ختم . فقال رجل من القوم : بأى شئ يختم . فقال : بآمين ، فانه ان ختم بآمين فقد أوجب .

فانصرف الرجل الذي سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) فاتى الرجل ، فقال : اختم - يا فلان - بآمين ، وأبشر)) (٥)

(١) هو الصحابي ابو زهير النميري (بالتصغير فيهما) وقيل : الانماري ، وقيل : اسمه فلان بن شرحبيل سكن الشام .

(٢) بفتح الباء اى : الخاتم

(٣) اى : بالغ

(٤) اى : أوجب الاجابة لدعائه وقيل : اوجب الجنة لنفسه

(٥) رواه الامام ابو داود بسنده باب التأمين وراء الامام ٢١٣/٣ = ٢١٤

قال الامام ابن عبد البر : وليس اسناد حديثه بالقائم (الاستيعاب ٤ / ١٦٦٢)

وقال الامام برك : هذا الحديث ضعيف (انظر مرقاة المفاتيح ٥٣١/١)

الفصل الرابع

آداب الدعاء المقرؤنة بالصلاة

- الاستسقاء .
- الاستشارة .
- صلاة الحاجة .

الفصل الرابع

آداب اخرى مقرونة بالصلاة

١ - الاستسقاء

ان من الدعوات المقرونة بالصلاة الاستسقاء ، ولصلاة الاستسقاء

آداب اخرى زيادة من آداب الدعاء السابقة - كما سيأتي بيانها .

والاستسقاء كما قال الامام ابن الاثير (١) : " وهو استفعال من طلب

السقيا اى : انزال المطر على البلاد والعباد ، يقال : سقى الله عباده الغيث

وأسقاهم ، والاسم : السقيا (بالضم) ، واستسقيت فلانا : اذا طلبت منه

أن يسقبك . (٢)

فلاستسقاء - اذا - هو : دعاء الله بانزال المطر على البلاد والعباد

والذى يظهر من الاحاديث الشريفة الواردة في ذلك انه ثلاثة انواع . وهي :

الاستسقاء بالدعاء المجرد والاستسقاء في خطبة الجمعة والاستسقاء المقرون بالصلاة

وللداعي المسلم ان يتخير منه ما يحبه ، وللإمام ان يتخير منه ما يراه اصلح لأحوال

الناس .

١ - الاستسقاء بالدعاء المجرد :

أما النوع الأول : وهو الاستسقاء بالدعاء المجرد ، فقد وردت احاديث

في ذلك (٣) ، ومنها : ما ورد عن عمير (٤) مولى أبي اللحم : ((انه رأى رسول

الله (صلى الله عليه وسلم) يستسقى عند احجار الزيت (٥) قريبا من

الزوراء (٥) قائما يدعو يستسقى رافعا كفيه لا يجاوز بهما رأسه)) (٦)

(١) تقدمت تراجمهم

(٢) النهاية في غريب الحديث باب السين ومع القاف ٣٨١/٢

(٣) انظر سبل السلام ١٠٣/٢

(٤) اسم موضع بالمدينة من الحرة سميت بذلك لسواد احجارها كأنها طليت بالزيت

(٥) موضع بالسوق في المدينة

(٦) تقديم تخريجه : رواه ابو داود والنسائي والترمذي وصححه ابن حبان والحاكم

واقره الذهبي .

ولم يحفظ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذا الحديث الشريف صلاة ولا خطبة ، بل ذكر فيه انه (صلى الله عليه وسلم) رفع يديه مستقبيا الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء فقط ، وهذا نوع من انواع الاستسقاء ولهذا النوع من الاستسقاء آداب كآداب الدعاء السابقة .

٢ — الاستسقاء في خطبة الجمعة :

وأما النوع الثاني من انواع الاستسقاء الثلاثة وهو الاستسقاء في خطبة الجمعة — فقد ورد في ذلك عن شريك بن عبد الله ابن ابي نمر (١) انه سمع أنس بن مالك (١) (رضى الله عنه) يذكر : ((ان رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كاه وجاء المنبر (٢) — ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائم يخطب فاستقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائما ثم قال :

” يا رسول الله ، هلكت الأموال (وفي رواية للبخارى : هلكت المواشي) (٣) وانقطعت السبل (٤) — فادع الله بغيرنا ”

قال : فرفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يديه ثم قال :

” اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ”

قال أنس : ولا — والله — ما نرى في السماء من سحب ولا قزعة (٥) ولا شهبًا

ولا بيننا وبين سلع (٦) من بيت ولا دار . (٧)

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) بكسروا و ويجوز ضمها اى : مواجهم

(٣) الاموال هي المواشي — خصوصا الابل

(٤) المراد بانقطاعها : ان الابل لم تسلكها — لخوف هلاكها اولضعفها بسبب قلة الكلال او عدمه .

(٥) بفتح القاف والزاي وجمعها : قزح — كقصة وقصب وهي : القطعة من السحاب .

(٦) بفتح السين المهملة وسكون اللام وهو جبل بقرب المدينة المنورة .

(٧) اشارة بذلك الى ان السحاب مفقود تماما .

قال : فطالمت من وراءه (١) سحابة مثل الترس (٢) فلما توسطت السماء انتشرت
ثم أمطرت

قال : والله ما رأينا سبتا (٣)

قال : ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله (صلى الله
عليه وسلم) يخطب فاستقبله قائما ، فقال :

" يا رسول الله -- هلكت الاموال وانقطعت السبل (٤) فادع الله بمسكنها "

قال : فرفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يديه ، ثم قال :

" اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام (٥) والظراب (٦) ،

والاودية ومناكب الشجر " .

قال : فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس .

قال شريك : فسألت أنسا -- اهو الرجل الأول ؟

قال : لا أدري (((٧)

وهذا الحديث الشريف صريح في كونه (صلى الله عليه وسلم) قد

استسقى في خطبة الجمعة بمرتبتين مذكورتين ، ولم يحفظ عنه في هذا الحديث

الشريف صلاة الا صلاة الجمعة . ولا خطبة الا خطبة الجمعة ، وهذا

نوع من انواع الاستسقاء . . ولهذا النوع من الاستسقاء آداب كآداب الدعاء السابقة ،

ومما ينبغي الا ينفل عنه وهو :

١ - انه يسن للامام ان يرفع يديه للاستسقاء وان يرفعهما رفعا

(١) اى : من وراء السلق

(٢) اى : انقيط الاستدارة

(٣) اى : اسبوعا

(٤) اى : بسبب غير السبب الاول ، وهو بسبب كثرة الماء

(٥) جمع اكمه (بفتحات) وهو التراب المجمع

(٦) جمع ظرب (بكسر الراء) هو الجبال الصغار والحروابي

(٧) تقدم تخريجه : رواه البخارى ومسلم .

بليغا حتى يرى بياض إبطيه ، ولو كان ذلك في خطبة الجمعة ، مع العلم ان الدعاء في الخطبة لا يسن له ان يرفع يديه الا ان يشير باصبعه السبابة فقط ، (كما سبق بيانه في بحث رفع اليدين) ، وذلك لصريح حديث شريك بن عبدالله بن ابي نمر (١) هذا من انه (صلى الله عليه وسلم) رفع يديه الكريمتين في الاستسقاء في خطبة الجمعة ، ولم يسم حديث انس بن مالك (١) (رضى الله عنه)

قال : ((كان النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يرفع يديه في شيء من دعائه الا في الاستسقاء وانه يرفع حتى يرى بياض إبطيه)) (٢)

٢ - وانه يسن للمؤمنين ان يرفعوا ايديهم مع الامام عند الاستسقاء وذلك لما ورد عن انس بن مالك (١) (رضى الله عنه) قال : ((أتى رجل اعرابي من اهل البدر الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم الجمعة فقال : " يا رسول الله ، هلكت الماشية ، هلك العيال ، هلك الناس ، فرفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يديه يدعو : ورفع الناس ايديهم مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعون . قال : فما خرجنا من المسجد حتى مطرنا)) (٣)

٣ - وانه ليس في الاستسقاء في خطبة الجمعة تحويل الرداء ولا استقبال القبلة . وقد نبه على ذلك الامام البخاري (١) وعقد له بابا وهو باب ما قيل ان النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يحول رداءه في الاستسقاء يوم الجمعة وساق ما ورد عن انس بن مالك (١) (رضى الله عنه) قال : ((ان رجلا شكوا الى النبي (صلى الله عليه وسلم) هلاك المال وجهود العيال ، فدعا الله يستسقى) ولم يذكر انه حول رداءه ولا استقبال القبلة (٤))) (٥) .

(١) تقدمت تراجمهم (٢) تقدم تخرجه : رواه البخاري ومسلم
(٣) رواه الامام البخاري بسنده باب رفع الناس ايديهم مع الامام في الاستسقاء ١٦٩/٣
(٤) القول بين الميلاين يحتمل ان يكون من الراوى عن انس او من دونه .
(٥) رواه الامام البخاري بسنده باب ما قيل ان النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يحول رداءه الخ ١٦٣/٣ .

ومع ذلك ان كل حديث ذكر فيه تحويل الرداء واستقبال القبلة في الدعاء للاستسقاء كان بخروج النبي (صلى الله عليه وسلم) الى المصلى اول صلاة الاستسقاء — كما يأتي بيانه في النوع الثالث .

٣ — الاستسقاء المقرون بالصلاة :

وأما النوع الثالث من انواع الاستسقاء الثلاثة وهو الاستسقاء المقرون بالصلاة — فقد اختلف العلماء في ذلك مع اتفاقهم على سنية الاستسقاء ومشروعية الصلاة وحدانا .

قال الامام النووي (١) : " اجمع العلماء على ان الاستسقاء سنة ، واختلفوا : هل تسن له صلاة أم لا ؟

وقال سائر العلماء من السلف والخلف = الصحابة والتابعون فمن بعدهم : تسن الصلاة ، ولم يخالف فيه الا ابو حنيفة " . (٢)

وقال الامام ابو حنيفة (رحمه الله) (٣) : " ليس في الاستسقاء صلاة مسنونة في جماعة . فان صلى الناس وحدانا جاز وانما الاستسقاء — الدعاء والاستغفار ،

لقوله تعالى * فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا * الآية (٤)

ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) استسقى ولم ترد عنه الصلاة " (٥)

(١) تقدمت ترجمته

(٢) شرح مسلم كتاب صلاة الاستسقاء ٥٤٩/٢

(٣) هو الامام المجتهد ابو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي الفارسي احد الائمة الاربعة ولد بالكوفة سنة ٨٠ هـ وكان يبيع الخبز ويطلب

الحلم في صباه ثم انقطع للتدريس والافتاء وكان كريما جوادا حسن المنطق والصورة وامتنع عن القضاء ورعا فحبسه الى ان توفي سنة ١٥٠ هـ

(٤) نوح / ١٠ والآيات الكريمة بعدها * يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا . مالكم لا ترجون لله وقارا * نوح / ١١-١٣

(٥) نقله الامام المؤيداني في الهداية باب صلاة الاستسقاء ٤٣٧/١

وأيد هذا الرأي الامام الحنبلي (١) وقال : " علّق نزول الغيث بالاستغفار لا بالصلاة ، فكان الاصل فيه الدعاء والتضرع دون الصلاة وبشبهه لذلك احاديث (وأورد الامام الحنبلي احاديث الاستسقاء التي ليس فيها ذكر الصلاة) .

ثم قال : واجيب عن الاحاديث التي فيها الصلاة - انه (صلى الله عليه وسلم) فعلها مرة وتركها اخرى ، وهذا لا يدل على السنة ، وانما يدل على الجواز " (٢) .

وخالف هذا الرأي الامام الزيلعي (٣) وقال : " اما استسقاءه (عليه السلام) فصحيح ثابت واما انه لم يرد عنه الصلاة فهذا غير صحيح ، بل صح انه صلى فيه " (٤) .

(١) هو الامام بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد بن موسى بن احمد الحنفى

الحنبلى (نسبة عذالى " عين تاب " وهبى على ثلاثة مراحل من حلب)

وهو من كبار المحدثين ولد في " عين تاب " سنة ٧٦٢ هـ وأقام مدة

في حلب ومصر ودمشق والقدس وولي القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية

ونظر السجون ، ثم صرف عن وظائفه وعكف على التدريس والتصنيف الى

ان توفي بالقاهرة سنة ٨٥٥ هـ وله مؤلفات كثيرة مفيدة .

(٢) عمدة القارئ باب تحويل الرداء في الاستسقاء ٣٥/٧ - ٣٦

(٣) هو الامام جمال الدين ابو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي ، اصله

من الزيلج (في الصومال) وكان فقيها عالما بالحديث وله مؤلفات ومنها :

تخريج احاديث الكشاف ونصب الراية وتوفي بالقاهرة سنة ٧٦٢ هـ (وهو

غير الزيلعي / عثمان بن علي بن محجن فقيه حنفى صاحب " تبين الحقائق

في شرح كنز الدقائق " .

(٤) نصب الراية باب الاستسقاء ٢٣٨/٢

وذهب الجمهور الى ان قوله تعالى المذكور لا يناقئ سنة الصلاة في الاستسقاء وحدانا وجماعة لانه ليس فيه نفيها والذي يظهر من الاحاديث الثابتة انه (صلى الله عليه وسلم) صلى صلاة الاستسقاء صلى مع الناس في الاستسقاء :

١ - ومنها : ما ورد عن عبدالله بن زيد المازني (١) يقول : ((ان النبي (صلى الله عليه وسلم) خرج الى المصلى فاستسقى فاستقبل القبلة وقلب رداءه صلى ركعتين)) (٢)

٢ - ومنها : ما ورد عن ابن عباس (١) (رضي الله عنهما) قال : ((ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خرج متبذلا متواضعا متضرعا حتى أتى المصلى (وزاد في رواية لابي داود : فرقى المنبر) فلم يخطب خطبتكم هذه ، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير صلى ركعتين كما كان يصلي في العيد)) (٣)

٣ - ومنها : ما ورد عن عائشة (١) (رضي الله عنها) قالت : ((شكوا الناس الى النبي (صلى الله عليه وسلم) قحوط المطر ، فامر بمنبر فوضع له في المصلى ، ووعده الناس يوما يخرجون فيه فخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين بدا حاجب الشمس فقصد على المنبر - فكبر (صلى الله عليه وسلم) وحمد الله عز وجل ثم قال :

(١) تقدمت تراجمهم

(٢) رواه الامام البخاري بسنده باب تحويل الرداء في الاستسقاء ١٥٢/٣ - ١٥٣

ورواه الامام مسلم بسنده كتاب صلاة الاستسقاء ٥٤٩/٢

(٣) (رواه الامام الترمذي بسنده واللفظ له وقال : هذا حديث حسن صحيح

باب ما جاء في صلاة الاستسقاء

ورواه الامام ابو داود بسنده جماع ابواب صلاة الاستسقاء ٢٨/٤

ورواه الامام النسائي بسنده كيف صلاة الاستسقاء ١٦٣/٣

ورواه الامام ابن ماجه بسنده باب ما جاء في صلاة الاستسقاء ٤٠٣/١

ورواه الامام البيهقي بسنده باب الامام يخرج متبذلا ٣٤٤/٣

" انكم شكوتم جدد دياركم واستبخار (١) المطر عن ايمان (٢) زمانه

عنكم وقد امركم الله ان تدعوه ووعدهم ان يستجيب لكم "

ثم قال : " الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ،

لا اله الا الله بفعل ما يريد ، اللهم انت الله لا اله الا انت الغنى

ونحن الفقراء - انزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة ،

وبلاغنا الى حين . (٣)

ثم رفع يديه ، فلم يزل في الرفع - حتى بدا بياض ابطيه ثم حول الى الناس

ظهيره وقلب او حول رداءه ، وهو زافعا يديه ، ثم اقبل على الناس ، ونزل

فصلى ركعتين .

فأنشأ الله سحابة فرعدت وبرقت ثم امطرت باذن الله ، فلم يأت

مسجده حتى سالته السيول فلما رأى سرعتهم الى الكن (٤) ضحك رسول

الله (صلى الله عليه وسلم) حتى بدت نواجذه . فقال :

" اشهد ان لا اله الا الله على كل شىء قدير ، وانى عبد الله

ورسوله " (((٥)

(١) يقال استأخر الشىء : اذا تاخر تاخرا بعيدا والسبب للمبالغة

(٢) بكسر الهمزة وتشديد الباء اى : وقته يعنى : عن اول زمان المطر

وهو من باب اضافة الخاص الى العام .

(٣) اى : زادا ببلغنا الى حين من احبان آجالنا

(٤) بكسر الكاف وتشديد النون وهو ما يرد به الحر والبر من المساكن

(٥) رواه الامام ابوداود بسنده وقال هذا حديث غريب واسناده جيد

باب رفع اليدين في الاستسقاء ٣٤/٤ - ٣٥

ورواه الامام الحاكم بسنده وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم

يخرجاه .

واقره الامام الذهبي وقال : على شرطيهما باب دعاء الاستسقاء وصلاته ٣٢٨/١

ورواه الامام ابن حبان بسنده النوع ١٢ من القسم الخامس

ورواه الامام البيهقي بسنده باب انه دعا او خطب قبل الصلاة ٣٤٩/٣

٤ - وغيرها من الاحاديث الواردة بذكر الصلاة فيها
وأما الاحاديث التي ليس فيها ذكر الصلاة التي استدل بها الحنفية
فقد حملها الجمهور على أنها عند الدعاء المجرد أو أنها في خطبة الجمعة
وأما ما قيل : ان النبي (صلى الله عليه وسلم) فعله مرة وتركه أخرى
فلم يكن سنة بل يكون جوازا فقط - فهذا خلاف الظاهر .
والذي يظهر من الاحاديث الواردة في الاستسقاء انه قد تكرر
وقوعه من النبي (صلى الله عليه وسلم) في كل نوع من انواعه ، وإذا تكرر
الوقوع فانه مسنون وصلاة الاستسقاء تكون مسنونة وهذا نوع من انواع
الاستسقاء ، وهذا النوع من الاستسقاء له آداب كآداب الدعاء السابقة
وله آداب أخرى من صفة صلاته .

صفة صلاة الاستسقاء

قد ذهب العلماء الى ان صفة صلاة الاستسقاء كصفة صلاة العيد في عدد الركعات والجهر بالقراءة وغيرهما الا ان في صلاة الاستسقاء تحويل الرداء ونحوه .

وذلك لمصوم تشبيها (صلى الله عليه وسلم) صلاة الاستسقاء بصلاة العيد - كما ورد عن ابن عباس (١) (رضى الله عنهما) قال :
(ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خرج متبذلا متواضعا متضرعا حتى أتى المصلى فرقى المنبر فلم يخطب خطبتكم هذه ، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير - صلى ركعتين كما كان يصلى في العيد) (٢)

وفي رواية عنه قال ((سنة الاستسقاء سنة الصلاة في العيد - الا ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قلب رداءه فجعل يمينه على يساره ويساره على يمينه - صلى ركعتين فكبر في الاولى بسبع تكبيرات ، وقرأ * سبح اسم ربك الاعلى * (٣) وقرأ في الثانية * هل أتاك حديث الغاشية * (٤) وكبر فيها خمس تكبيرات))

ويستحب ان يستعد لصلاة الاستسقاء بالتوبة والاستغفار واجتناب الشر وتقدير القربات والطاعات .

(١) تقدمت ترجمته

(٢) تقدم تخريجه قريبا : رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ورواه ابو داود والنسائى وابن ماجه والبيهقى

(٣) اى : سورة الاعلى

(٤) اى : سورة الغاشية

(٥) رواه الامام البيهقى بسنده باب الدليل على ان السنة في الاستسقاء السنة في

العيد بن ٣٤٧/٣

ورواه بسنده من طريق آخر وقال : هذا غير قوى وهو بما قبله من الشواهد يقوى (المصدر السابق ٣٤٧/٣) .

(١) قال الامام النورى في الاستسقاء : " اكملها ان يكون بصلاة ركعتين
وخدابتين وتأهب قبله بصدقة وصيام وتوبة واقبال على الخير ومجانبة الشر ونحو
ذلك من طاعة الله تعالى " (٢)

١ - وقتها :

لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة الشريفة ان صلاة الاستسقاء
تختص بيوم معين كصلاة العيد ، ولهذا فقد رجح العلماء : انه ليس لصلاة
الاستسقاء وقت معين واجمعوا على الا تفعل في وقت النسي .
قال الامام ابن قدامة (٣) : " انما لا تفعل في وقت النسي بغير
خلاف لأن وقتها متسع فلا حاجة الى فعلها في وقت النسي " (٤)
ومع ذلك فان الاولى ان تفعل في وقت العيد ، وهذا للعموم التشبيه
بينها وبين صلاة العيد (٥) ، ولما ورد ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
خرج الى صلاة الاستسقاء حين بدا حاجب الشمس . (٦)

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) شرح مسلم كتاب صلاة الاستسقاء ٥٤٩/٢

(٣) هو الامام موفق الدين ابو محمد عبدالله بن احمد بن محمد بن قدامة
الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي . ولد سنة ٥٤١ هـ في جماعيل
(من قرى نابلس بفلسطين) وهاجر مع اهله الى دمشق وتعلم فيها ،
ثم رحل الى بغداد ثم عاد الى دمشق ، وله مؤلفات رائعة نائفة
وتوفي سنة ٦٢٠ هـ

(٤) المغنى ، كتاب صلاة الاستسقاء ٢٨٦/٢

(٥) وهو ما ورد في حديث ابن عباس السالف ذكره

(٦) وهو ما ورد عن عائشة (رضي الله عنها) الذي تقدم تخريجه

٢ - اذانها واقامتها :

قال الامام النووي (١) : " واجمعوا - انه لا يؤذن لها ولا يقام .
ولكن يستحب ان يقال : الصلاة جامعة " (٢)
وقال الامام الشافعي (١) : " ولا اذان ولا اقامة الا للمكتوبة فاما
الكسوف والعبدان والاستسقاء وجميع صلاة النافلة فخير اذان ولا اقامة . (٢)
وهذا للعموم التشبيه المذكور ولصريح ما ورد عن ابي هريرة (١)
(رضى الله عنه) قال : ((خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوما
يستسقى ف صلى بنا ركعتين بلا اذان ولا اقامة ، ثم خطبنا ودعا الله وحول
وجهه نحو القبلة رافعا يديه ، ثم قلب رداءه فجعل الأيمن على الأيسر
والأيسر على الأيمن)) (٤)

٣ - خطبتها :

وذهب العلماء الى ان في صلاة الاستسقاء - الخطبة ، وذلك
لعموم التشبيه ولصريح ما ورد في حديث ابي هريرة السابق وفيه : ((٠٠٠
٠٠٠ فصلى بنا ركعتين بلا اذان ولا اقامة . ثم خطبنا ودعا الله ٠٠٠)) (٥)
وهناك طائفة قالوا : ليست في صلاة الاستسقاء خطبة واستدلوا
بحديث ابن عباس (١) (رضى الله عنه) السابق الذى ورد فيه : ((٠٠٠٠ فلم
يخطب خطبتكم هذه ، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير ٠٠٠٠)) (٥)

(١) تقدمت ترجمتهم

(٢) شرح مسلم كتاب صلاة الاستسقاء ٥٥٠/٢

(٣) الأم ، باب الاذان لغیر المكتوبة ٢٤٨/١

(٤) رواه الامام ابن ماجه بسنده باب ما جاء في الاستسقاء ٤٠٣/١ - ٤٠٤

وقال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي : في الزوائد اسناده صحيح ورجاله

ثقات .

(٥) تقدم تخريجهما قريبا .

والذى يظهر - ان النفي المذكور ليس نفي ايجال الخطبة وانما نفي الخطبة المشابهة بخطبتهم - وخطبتهم المعروفة هي خطبة الجمعة ومعنى ذلك ان خطبة صلاة الاستسقاء ليست كخطبة الجمعة ، بدليل انه ورد في حديث ابن عباس المذكور : ((فرقى المنبر)) والظاهر أنه لا يرقاه الا للخطبة .

ولذلك قال الامام الزيلعي (١) - في شرح حديث ابن عباس المذكور : " مفهومه - انه خطب . لكنه لم يخطب خطبتين ، كما يفعل في الجمعة ولكنه خطب خطبة واحدة ، فلذلك نفي النوع ولم ينف الجنس ، ولم يرو انه خطب خطبتين " (٢)

والذى يظهر من عموم التشبيه فانه لم ينف عدد الخطبة وان لصلاة العيد خطبتين واقتضت المشابهة ان تكون لصلاة الاستسقاء خطبتان ايضا واما ما قال : انه لم يرو انه خطب خطبتين فانه لم يرو ايضا انه خطب خطبة واحدة ، فالأولى ان يبقى على اصل المشابهة ما لم يكن هناك دليل ثابت صريح في ذلك .

وقال بعض العلماء : انه نفي القبلية اي : ان خطبة الاستسقاء

لا تكون قبل الصلاة بل بعدها كخطبة العيد ، وذلك لعموم التشبيه ولما ورد في الاحاديث الشريفة انه (صلى الله عليه وسلم) صلى ثم خطب ، ومنها ما ورد في حديث ابي هريرة المذكور الذى جاء فيه : ((..... فصلى بنا ركعتين - بلا أذان ولا اقامة ، ثم خطبنا ودعا))

ولكن هناك طائفة قالوا : ان الخطبة قبل صلاة الاستسقاء واستدلوا بحديث عائشة المذكور انه خطب ونزل فصلى ركعتين .

(١) تقدمت ترجمته

(٢) نصب الراية باب الاستسقاء ٢ / ٢٤٢

والذى يظهر من الاحاديث الواردة في صلاة الاستسقاء انه تكرر ~~من~~ وقوعها من النبي (صلى الله عليه وسلم) فمرة ~~كانها~~ الخطبة بعد الصلاة ومرة اخرى ^{كأن} بعدها .

قال الامام الزيلعي (١) : " وفي حديث ابي داود : انه بدأ بالخطبة قبل الصلاة وفي الحديثين الماضيين العكس ، ولعلهما واقعتان " (٢) والظاهر انه مخبر في الخطبة قبل الصلاة او بعدها لورود الاحاديث الشريفة بكلا الامرين ، وأما ما فعل من ذلك فهو جائز ، ولكن الاولى ان تكون الخطبة بعد الصلاة لتكون كالعيد وليكون الاحتياط من الصلاة في المطر إن أجيب الدعاء مباشرة .

ومعنى ذلك فليس النفي نفي القلبية ولا نفي عدد الخطبة وانما نفي صفة الخطبة كصفة خطبة الجمعة ، بل صفة خطبة الاستسقاء - كما ورد في الحديث الشريف بعد نفيه مباشرة - هي الدعاء والتضرع والتكبير . ولكن الامام مالك (١) نفي التكبير في خطبة الاستسقاء وصلاته وقال : " وليس في الاستسقاء تكبير في الخطبة ولا في الصلاة " (٣)

والذى يظهر ان التكبير ثابت في خطبة الاستسقاء - كما ورد في حديث ابن عباس المذكور .

٤ - صلاة الاستسقاء ركعتان :

قال الامام ابن قدامة (١) : " لا نعلم بين القائلين بصلاة الاستسقاء خلافا في انها ركعتان " (٤)

(١) تقدمت تراجمهم

(٢) نصب الرابة باب الاستسقاء ٢ / ٤٢

(٣) المدونة الكبرى في صلاة الاستسقاء ١ / ١٦٦

(٤) المغنى ، كتاب صلاة الاستسقاء ٢ / ٢٨٤

واختلف العلماء في كيفية هاتين الركعتين :

فذهب بعضهم : ومنهم الامام مالك (١) والامام احمد (١) - الى

انهما كصلاة التطوع • فلا صفة لهما زائدة على ذلك • مستدلين بظاهر الحديث الذي ذكر صلاة الاستسقاء ركعتين ولم يذكر التكبير ونحوه •

وذهب آخرون : ومنهم الامام الشافعي (١) والامام ابن حزم (١) -

الى انهما ركعتي صلاة العبد في التكبير سبعا في الاولى وخمسا في الثانية مستدلين بحديث عموم التشبيه وبصريح ما ورد في رواية عن ابن عباس السابق الذي جاء فيه ((..... وصلى ركعتين فكبر في الاولى بسبع تكبيرات • وقرأ ب * سبح اسم ربك الأعلى * وقرأ في الثانية * هل اتاك حديث الفاشية * وكبر فيها خمس تكبيرات)) (٢)

والذي ينال من التشبيه بين صلاة الاستسقاء وبين صلاة العبد انه

هو التشبيه في عدد الركعات والتكبير فيها والجهر بالقراءة وغيرها •

٥ - القراءة والجهر بها :

واما الجهر بالقراءة في صلاة الاستسقاء - كما قال الامام النووي (١) :

ان العلماء اجمعوا على استحبابه (٣)

وذلك لمعم التشبيه وفوق ذلك لما ورد عن عبد الله بن زيد المازني (١)

قال : ((خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) يستقي فتوجه الى القبة يدعو ، وحول رداءه ثم صلى ركعتين يجهر فيها بالقراءة)) (٤)

(١) تقدمت تراجمهم (٢) تقدم تخريجه قريبا : رواه البيهقي

(٣) شرح مسلم كتاب صلاة الاستسقاء ٥٥٠/٢

(٤) رواه الامام البخاري بسنده باب الجهر بالقراءة في الاستسقاء ١٦٧/٣

ورواه الامام النسائي بسنده باب الجهر بالقراءة في صلاة الاستسقاء ١٦٤/٣

وأما الذي يستحب ان يقرأ به في ركعتي الاستسقاء : ففي الركعة الاولى
بعد الفاتحة بسورة الأعلى وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة بسورة
الفاشية .

وذلك لجميع التشبيه فقد وردت القراءة بهاتين السورتين : الكريمين
: الأعلى والفاشية في صلاة العبد وكان مقتضى التشبيه ان تقرأ بهما
في صلاة الاستسقاء وفوق ذلك لصريح ما ورد في رواية عن ابن
عباس المذكور .

٦ - استقبال القبلة وتحويل الرءاء :

ويسن استقبال القبلة وتحويل الرءاء عندما اراد ان يدعو ولو
كان في الخطبة .

وقد ورد ذلك عن عبدالله بن زيد المازني^(١) قال : ((ان النبي
(صلى الله عليه وسلم) خرج الى المصلى يصلى (وفي رواية مسلم : يستسقى)
وأنه لما اراد ان يدعو - استقبال القبلة وحول رءاءه))^(٢)

وأما كيفية تحويل الرءاء فهو ان يجعل شقه الذي على منكبه
الأيمن على منكبه الأيسر والذي على منكبه الأيسر على منكبه الأيمن ، ومن
التحويل ان يقلبه ظهرا لبطن .

واستحب الامام الشافعي^(١) التنكبس ايضا وهو ان يجعل أعلاه
أسفله .

وقد ورد في ذلك عن عبدالله بن زيد المازني^(١) قال :

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) رواه الامام البخاري بسنده باب استقبال القبلة في الاستسقاء ١٦٩/٣

ورواه الامام مسلم بسنده كتاب صلاة الاستسقاء ٥٥٠/٢

((استسقى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعليه خمصة (١) له
سوداء ، فأراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان يأخذ بأسفلها فيجعله
أعلاها - فلما ثقلت قلبها على عاتقيه)) (٢)

قال الامام الشافعي (٣) : " وهذا اقول - فنأمر الامام ان ينكس
رداءه ، فيجعل اعلاه اسفله ، ويزيد مع تنكيسه فيجعل شقه الذى
على منكبيه الايمن على منكبه الايسر والذى على منكبه الايسر على منكبه
الايمن - فيكون قد جاء بما اراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من
نكسه وبما فعل من تحويل الايمن على الايسر اذا خف له ردائه ،
فان ثقل فعل ما فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من تحويل ما على
منكبه الايمن على منكبه الايسر وما على منكبه الايسر على منكبه الايمن .
ثم قال : وان اقتصر رجل على تحويل ردائه ، ولم ينكسه
أجزأه ، وكذلك لو اقتصر على نكسه ولم يحوله إلا نكساً رجوت
ان يجزيه " (٤)

وقال الامام النووي (٥٣) : " ومتى جعل الطرف الاسفل الذى على شقه
الايسر على عاتقه الايمن والطرف الاسفل الذى على شقه الايمن على عاتقه
الايسر - حصل التحويل والنكس جميعاً " (٥)

(١) وجميعها : الخمائص ، وهى - كما قال الامام ابن الاثير : " ثوب خز ، او

صوف معلم وكانت من لباس الناس قديماً (النهاية ٨١/٢)

(٢) رواه الامام ابوداود بسنده باب صلاة الاستسقاء ٢٧/٤

وقال الامام النووي : حديث الخمصة صحيح او حسن (المجموع ٧٦/٥)

(٣) تقدمت ترجمتهما

(٤) الأُم باب كيف تحويل الامام ردائه ، في الخطبة ٢٥١/١

(٥) المجموع باب صفة صلاة الاستسقاء ٨١/٥

والذى يظهر ان الذى استحبه الامام الشافعي كان الاولى ، لان
فيه فعل ما هم به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من التنكبس .
قال الحافظ ابن حجر (١) : " ولا ريب ان الذى استحبه الشافعي
أحوط . (٢)

٢ - التوسل في الاستسقاء :

ويستحب ان يتوسل في الاستسقاء بمن ظهر صلاحه - كما
سبق دليله في مبحث التوسل ، ومنه استسقاء عمر بالعباس .

(١) تقدمت ترجمته

(٢) فتح الباري باب تحويل الرداء في الاستسقاء ١٥٢ / ٣

٣ - الاستخارة

ومن الدعوات المقرونة بالصلاة - الاستخارة ، ولها آداب أخرى في صلاتها زيادة من آداب الدعاء السابقة .

والاستخارة - كما قال الحافظ ابن حجر (١) : " هي استئصال من الخير أو من الخيرة (بكسر أوله وفتح ثانيه) (٢) ، بوزن : العنبة - اسم من قولك : خار الله له ، واستخار الله : طلب منه الخيرة . وخار الله له : أعطاه ما هو خير .

والمراد - طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما " (٣)

والذي يظهر من معنى الاستخارة - أن المراد بها أعم من ذلك فلا تختص بطلب خير الأمرين فقط وإنما هي تتم في طلب خير الأمور التي يريد فعلها أو تركها ، وفي طلب خير الأمر نفسه مما يريد فعله أو تركه . والمراد الأخير هذا هو الظاهر من حديث الاستخارة الآتي ذكره .

وطلب الخير المذكور ليس للدنيا فقط ولا للآخرة وحدها وإنما

هو لحصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة معاً - كما هو الظاهر من الحديث . ولذلك فلا يستخار في فعل الواجب أو المستحب فإن خيرهما معروف ،

وكذلك الحرام أو المكروه فلا يستخار في تركهما فإن شرهما معلوم .

ومعنى ذلك أن الاستخارة منحصرة في الأمور الباحة - عظيمة

كانت أو صغيرة ، ولا يحتقر المرء أمراً لصغره ولا يهين به فبترك

(١) تقدمت ترجمته

(٢) والخيرة : اسم من الاختيار

(٣) فتح الباري باب الدعاء عند الاستخارة ٤٣٨/١٣

الاستخارة فيه ، فرب أمر صغير يترتب عليه شيء خطير ، ومن ثم فعلبه ان يستخير ربه في كل أمر من أموره ولا سيما الأُمُور العظام منها .

وقد ورد عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) (١) ، قال :
(كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعلمنا (وفي رواية أخرى للبخاري : يعلم أصحابه) الاستخارة - كما يعلمنا السورة من القرآن .
يقول : اذا هم أحدكم بالأمر (وفي رواية الطبراني : اذا أراد أحدكم أمرا) - فليركع ركعتين من غير الفريضة .
ثم ليقل : (اللهم اني استخيرك بعلمك (٢) واستقدرك بقدرتك (٢) ،
وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم - وأنت علام الغيوب :

(١) تقدمت ترجمته

(٢) والباء في (بعلمك) و (بقدرتك) :-

١ / يحتمل ان تكون للسببية - كما قال الامام علي القاري : " اي بسبب علمك ، والمعنى : اطلب منك ان تشرح صدرى لخبر الامر - بسبب علمك بكيفيات الامور وجزئياتها وکلياتها ، اذ لا يحيط بخبر الامر على الحقيقة الا من هو كذلك ، كما قال تعالى * عسى ان تکرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم * (مرواة المفاتيح ١٨٥/٢)

٢ / ويحتمل ان تكون للتعليل - كما قال الحافظ ابن حجر : " اي - لا : اعلم وأقدر " (فتح الباري ٤٣٩/١٣) .

٣ و٤ / ويحتمل للاستعانة ، ويحتمل للاستعطاف - كما قال الامام الطيبي : " اما للاستعانة ، اي : اطلب خبرك مستعينا بعلمك . فاني لا اعلم فم خبرك ، وأطلب منك القدرة - فانه لا حول ولا قوة الا بك ، واما للاستعطاف ، اي : بحق علمك الشامل وقدرتك الكاملة " (نقله الامام علي القاري في مرواة المفاتيح ١٨٥/٢)

اللهم ان كنت تعلم (١) : ان هذا الامر - ثم تسميه بحينه (٢) -

(وزاد في رواية ابي داود : الذي يريد) خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة
أمرى ، او قال (٣) : في عاجل أمرى وأجله - فاقدره لي (٤) وبسرره
لي ، ثم بارك لي فيه .

وان كنت تعلم : ان هذا الامر - شر لي في ديني ومعاشي
وعاقبة أمرى ، او قال : في عاجل أمرى وأجله - فاصرفه عني واصرفني
عنه (٥) واقدر لي الخير حيث كان ، ثم ارضني (وفي رواية للبخاري :
رضني) (٦) به (وفي رواية ابي يعلى : لا حول ولا قوة الا بالله)
(وزاد في رواية للبخاري : قال : ويسمى حاجته) (٧) (وزاد فسي

(١) صفة الشك هنا ليس في اصل العلم ، وانما تعلقه بالخبر
او الشر .

(٢) ظاهر السياق : ان ينطق به ، ويحتمل ان يكتفى باستحضاره في
القلب عند الدعاء .

(٣) ((أو)) هذا شك من الراوي ، أو هو لتخيير

(٤) أي : اجمله مقدورا لي

(٥) أي : حتى لا يبقى قلبي بعد صرف الأمر عنه متعلقا به

(٦) أرضيت ، ورضيت (بالتشديد) بمعنى واحد ، أي : اجعلني

راضيا بخيرك المقدور - لأنه ربما قدر له ما هو خير له فراه

شرا فلم يرض .

(٧) وهذه الزيادة تكون بدلا من قوله ((فتسميه بحينه)) في

وسط الحديث .

رواية الطبراني : يقول : ثم يحزم ((١)

١ - الحظ على الاستخارة :

وهذا الحديث الشريف يدل على أشد الاهتمام وأبلغ الاعتناء
من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالاستخارة . كما يفيد ذلك من التعبير
بالأمر ومن التشبيه بين تعليمه (صلى الله عليه وسلم) الاستخارة
وبين تعليمه السورة من القرآن ، وهذا - في شدة أهميتهما واستمرار
الحاجة إليهما في اسعاد حياة الانسان .

(١) رواه الامام البخارى بسنده باب ما جاء في التطوع مشني مشني ٢٩٠/٣

وطيئ الدعاء عند الاستخارة ٤٣٨/١٣

وباب قوله تعالى : قل هو القادر ١٤٦/١٧

ورواه الامام الترمذي بسنده وقال : حديث جابر حديث حسن صحيح غريب

باب ما جاء في صلاة الاستخارة ٥٩١/٢

ورواه الامام ابوداود بسنده ، باب الاستخارة ٣٩٦/٤

ورواه الامام النسائي بسنده كيف الاستخارة ٨٠/٦

ورواه الامام ابن ماجه بسنده باب ما جاء في صلاة الاستخارة ٤٤٠/١

وأورده الامام الميني ، وعزاه الى الطبراني في الكبير عن ابن مسعود

(رضى الله عنه) وقال في اخره : ورواه الطبراني ايضا من طريق

اخرى . وعزاه الى أبي يعلى الموصلى عن ابي سعيد الخدري (رضى

الله عنه) ثم قال : اسناده صحيح ، ورواه ابن حبان ايضا

في صحيحه من هذا الوجه (انظر عمدة القارى ٢٢٢/٧) .

ورد في ذلك عن سعد بن أبي وقاص (١) (رضي الله عنه) قال :
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((من سعادة ابن آدم استخارته
الى الله ، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله)) (٢)

٢ - صلاة الاستخارة ودعائها :

و مع هذا الاهتمام الشديد والاعتناء البالغ من رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) بالاستخارة فان العلماء قد اتفقوا على عدم وجوب صلاة
ركعتي الاستخارة - آخذين من صريح قوله (صلى الله عليه وسلم) :
((. . . ركعتين من غير الفريضة)) . ومعنى ذلك ان صلاة ركعتي
الاستخارة سنة مؤكدة لا واجب .

واتفقوا على ان دعاء الاستخارة هو نفس الدعاء الوارد في الحديث
الشريف - آخذين من قول جابر (رضي الله عنه) : ((يعلمنا الاستخارة
كما يعلمنا السورة من القرآن)) .

واتفقوا على ان يؤخر الدعاء الى ما بعد الفراغ من الصلاة
آخذين من ظاهر عبارة : ((فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل (. . .)))
قالوا : " تستحب الاستخارة بالصلاة والدعاء المذكور وتكون
الصلاة ركعتين من النافلة " (٣)

٣ - القراءة في صلاة الاستخارة :

لم يرد في حديث الاستخارة تعيين ما يقرأ في ركعتي الاستخارة
ولذلك فقد اقتنع العلماء في ذلك اقتراحات .

(١) تقدمت ترجمته

(٢) رواه الامام الحاكم بمنده وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه

وأقره الامام الذهبي وقال : صحيح باب من سعادة ابن آدم الخ ١/ ١٨٥

(٣) نقله الامام النووي في الاذكار باب دعاء الاستخارة ٣/ ٣٥٤ (ص ١١)

قال الامام الغزالي (١) : " يقرأ في الأولى — فاتحة الكتاب ،
 * قل يا أيها الكافرون * (٢) ، وفي الثانية الفاتحة و * قل هو الله احد * (٣) " (٤)
 ومثل ذلك قال (٥) الامام النووي (١) .

وقال الحافظ العراقي (١) : " لم أجده في شيء من طرق الحديث
 تعيين ما يقرأ في ركعتي الاستخارة ، لكن ما ذكره النووي مناسب لانهما
 سورتا الاخلاص فناسب الاتيان بهما في صلاة المراد منها اخلاص الرغبة
 وصدق التفويض واظهار المعجز " (٦)

ولعل اختيار الامامين الجليلين الغزالي والنووي بهاتين السورتين
 الكريمتين (الكافرون) و (الاخلاص) في صلاة الاستخارة لورود قراءتهما
 في مواضع كثيرة من صلاة النفل فبلحق ما هنا بهما .

وقال الحافظ العراقي : ولو قرأ ما وقع فيه ذكر الخبرة كآية القصص
 وآية الاحزاب (٨) — لكان حسنا " (٦)

(١) تقدمت تراجمهم (٢) اي سورة الكافرون

(٣) اي سورة الاخلاص

(٤) احباء علوم الدين ، صلاة الاستخارة ٤٦٧/٣

(٥) انظر الاذكار ٣٥٤/٣

(٦) نقله الشيخ محمد بن عبد الله بن الصديقي في الفتوحات الربانية ، باب دعاء

الاستخارة ٣٥٤/٣
 (٧) آية القصص هي قوله تعالى * وربك بخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم

الخبرة ، سبحانه الله وتعالى عما يشركون . وربك يعلم ما تكن صدورهم

وما يعلنون . وهو الله لا اله الا هو الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم

والبه ترجعون * (القصص / ٦٨ — ٧٠)

(٨) آية الاحزاب هي قوله تعالى * وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله

ورسوله أمرا . ان يكون لهم الخبرة من امرهم . ومن يمتص الله

ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا * (الاحزاب / ٣٦)

وقال الحافظ ابن حجر (١) : " والأكمل ان يقرأ في كل منهما
السورة والآية الأولى والأخرى في الثانية " (٢)

٤ — ما يفعله المستخير بعد الاستخارة :

اختلف العلماء فيما يفعل المستخير بعد الاستخارة :
فقال الامام النووي (١) : " واذا استخار — مضى بعدها لما ينشرح
له صدره " (٢)

ويستدل له بما روى عن أنس بن مالك (١) (رضى الله عنه)
قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((يا أنس ، اذا هممت بأمر
فاستخر ربك فيه — سبع مرات ، ثم انظر الى الذي يسبق الى قلبك
فان الخير فيه)) (٤)

وعقب عليه الحافظ ابن حجر (١) وقال : " وهذا لو ثبت لكان
هو المعتمد ، لكن سنده واه جدا ، والمعتمد — انه لا يفعل ما ينشرح
به صدره عما كان له فيه هوى قوى قبل الاستخارة ، والى ذلك —
الاشارة بقوله في آخر حديث أبى سعيد ((ولا حول ولا قوة
الا بالله)) " (٥)

(١) تقدمت تراجمهم

(٢) فتح الباري باب الدعاء عند الاستخارة ٤٤٠/١٣

(٣) الأذكار باب دعاء الاستخارة ص ١١١

(٤) رواه الامام ابن السني بسنده في عمل اليوم والليلة باب كم مرة يستخير
الله عز وجل ص ٢٢٣

وضعه الامام النووي وقال : اسناده غريب فيه من لا اعرفهم (الاذكار
ص ١١١)

(٥) فتح الباري باب الدعاء عند الاستخارة ٤٤٢/١٣

ولذلك قال الامام ابن جماعة (١) : " فينبغي ان يكون المستخير قد جاهد نفسه حتى لم يبق لها ميل الى فعل ذلك الشيء ولا الى تركه - ليستخير الله تعالى وهو مسلم له ذلك * فان تسليم القباد مع ميل أحد الجانبين جنابة في الصدق ، وأن يكون دائم المراقبة لربه سبحانه من أول صلاة الاستخارة الى آخر الدعاء ، فان من التفتت عن ملك يناجيه حقيق بطرده ومقتته وأن يقدم على ما اشرح صدره له ، فان توقف - ضعف وثوق منه بخبرة الله تعالى " (٢)

والكن الامام العزبن عبد السلام (٣) قال : " بفعل ما اتفق " (٤)

" فلا تتقيد ببعد الاستخارة ، بل ميمها فعله فالخير فيه " . (٥)

ويستدل له بما ورد في اول الحديث : ((اذا هم احدكم بالامر (وفي رواية : اذا اراد احدكم أمرا) - فليركع ٠٠٠ ثم ليقل ٠٠٠٠٠٠))

وزاد في آخر الحديث من رواية الدبراني : ثم يعزم ((

والذى يظهر من الحديث الشريف ان المستخير بفعل ما هم أو ما أراد - دون توقف على رؤى يا منام أو على انشراح الصدر ، وخاصة اذا كان في انشراح الصدر هوى قوى قبل الاستخارة ، وأما اذا انضاف الى همه او ارادته - بعد مجاهدة نفسه حتى لم يبق لها ميل الى فعل ذلك الشيء ولا الى تركه - ما ينشرح له صدره فنعم ما يفعل ، فانه ميمها فعله فان الخير - بعد الاستخارة - فيه .

(١) هو الامام بدر الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الشافعى ولد في حماة سنة ٦٣٩ هـ وولى الحكم والخطابة بالقدس ثم القضاء بالشام - ثم بمصر الى أن شاخ وكان من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين ومن خيار القضاة وله مؤلفات وتوفي بمصر سنة ٧٢٣ هـ .

(٢) نقله الشيخ محمد بن علان الصديقى في الفتوحات الربانية باب دعاء الاستخارة ٣٥٦/٣

(٣) تقدمت ترجمته

(٤) نقله الحافظ ابن حجر في فتح البارى باب الدعاء عند الاستخارة ٤٤٢/١٣

(٥) نقله الشيخ محمد بن علان الصديقى في الفتوحات الربانية ٣٥٧/٣

٤ - صلاة الحاجة

ومن الدعوات المقرونة بالصلاة - صلاة الحاجة •

وقد ورد في ذلك عن أبي الدرداء (١) (رضي الله عنه) قال :

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول ((من توضأ فأصبغ الوضوء
(وفي رواية لأحمد : فاحسن وضوءه) ثم صلى ركعتين يتحميها (وفي
رواية لأحمد : يحسن فيهما الذكر والخشوع) - أعطاه الله ما سأل مجلاً
أومؤخراً)) (٢)

وورد عن عثمان بن حنيف (١) : ((ان رجلاً ضرب البصر أتى

النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : ادع الله ان يعافيني •

قال : ان شئت دعوت وان شئت أخرت ذلك - فهو خير (وفي
رواية للترمذي : وان شئت صبرت فهو خير لك)

فقال : ادعه

فأمره ان يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء :

" اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد -
اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه - لتقضي لي ، اللهم فشفعه
في ، وشفعني فيه "

(١) تقدمت ترجمتهما

(٢) رواه الامام احمد في مسنده من حديث أبي الدرداء (رضي الله عنه)

٤٤٢/٦ - ٤٤٣ - ٤٥٠/٦

وأورده الامام الميمني وعزاه الى احمد والطبراني في الكبير ، وقال :

واسناده حسن ، باب صلاة الحاجة ٢٧٩/٢

وقال الامام جلال الدين السيوطي : وجاء عن أبي الدرداء بسند حسن -

أخرجه احمد (الآلئ المصنوعة ٤٧/٢)

وقال الامام الشوكاني : أخرجه احمد باسناد صحيح من حديث أبي الدرداء

(الفوائد المجموعة ص ٤٠)

قال : ففعل الرجل فبراً (((١)

وهذه الصلاة هي التي تسمى بصلاة الحاجة .

وروى عن عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي (٢) قال : ((خرج

علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (وزاد في رواية الحاكم : يوماً فقعد)

فقال : " من كانت له حاجة الى الله او الى احد من بني آدم (وفي

رواية ابن ماجه بلفظ : من خلقه) فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم لبصل

ركعتين ، ثم لبثن على الله ولبصل على النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم

لبقل :

" لا اله الا الله الحكيم الكريم . سبحان الله رب العرش العظيم الحمد

لله رب العالمين :

أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك (وزاد في رواية الحاكم :

والعصمة من كل ذنب) ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم ،

لا تدع لي ذنباً او غفرتة ولا هما الا فرجته ، ولا حاجة هي لك رضى

الا قضيتها (وزاد في رواية ابن ماجه : لى) يا أرحم الراحمين "

(وزاد في رواية ابن ماجه : ثم يسأل الله من امر الدنيا والآخرة

ما شاء - فانه يقدر) (((٣)

(١) تقدم تخريجه : رواه الترمذى وقال : حسن صحيح غريب ورواه ابن ماجه وقال :

صححه ابواسحاق ورواه احمد وصححه الحاكم واقره الذهبي .

(٢) تقدمت ترجمته

(٣) رواه الامام الترمذى بسنده وقال : هذا حديث غريب - في اسناده مقال ،

باب ما جاء في صلاة الحاجة ٥٨٩/٢

ورواه الامام ابن ماجه بسنده باب ما جاء في صلاة الحاجة ٤٤١/١

ورواه الحاكم بسنده وقال : فائد ابوالورقاء مستقيم الحديث وجعلت

حديثه هذا شاهداً لما تقدم .

وخالفه الامام الذهبي وقال : بل متروك باب صلاة الحاجة ٣٢٠/١

• ورويت في صلاة الحاجة احاديث وذكرت كيفياتها المختلفة من عدد الركعات وصيغ الدعوات ولكن جميع طرقها لا تخلو عن ضعف الاحديث ابي الدرداء وحديث عثمان بن حنيف المذكورين •

قال الامام الشوكاني (١) : " وصلاة الحاجة الفاظلا وصفات كلها ضعيفة الاحديث ابي الدرداء وحديث ابن ابي ذر في المذكورين " (٢) والذي يظهر ان حديث ابن ابي اوفى أيضا ضعيف الاسناد ، بل الذي ثبت هو حديث عثمان بن حنيف - كما ذكرت •

وعلى كل حال فان الثابت لصلاة الحاجة ركعتان فقط ولم يرد تعيين ما يقرأ فيهما ، ولذلك فللداعي المصلي صلاة الحاجة ان يقرأ - بعد الفاتحة - / من سورة القرآن الكريم وأية آية من آياته الكريمة •

وينبغي ألا يففل عن اسباغ الوضوء في هذه الصلاة وعن اتمام ركعتيها ، وهذا لا يتم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذكرهما •

(١) تقدمت ترجمته

(٢) الفوائد المجموعة النوع الرابع : صلاة الحاجة ص (٤)

الخلاصة

في بيان :-

أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الخاتمة

من النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث - ما يلي :-

١ - ان كلمة " الدعاء " مصدر طبيعي من مصادر : " دعا ، يدعو - دعوا ، ودعوا ، ودعاء ، ودعوى " ، وهذه الكلمة ومشتقاتها تحمل في مدلولاتها العربية معاني مختلفة - وكلها ترجع الى أصل واحد ، وهو : " أن تميل الشئ اليك بصوت وكلام يكون منك " ، وتحمل في استعمالاتها القرآنية معاني متعددة لفويزة واصطلاحية .

٢ - وان من معاني " الدعاء " ومشتقاته المستعملة في القرآن الكريم استعمالا عربيا : طلب الاحضار ، والنداء وطلب الاقبال ، والاستغفار والسؤال ، والاستعانة على المأزفة ، والنداء الى الطعام ، والنسب ، والقول ، والتسنى ، والطلب ، والاستعجال ونداء الهلاك .

٣ - وان من معاني " الدعاء " ومشتقاته المستعملة في القرآن الكريم كمصطلح شرعي : حث الناس على الخير والهدى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر - ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة ، وفي هذا العصر تستعمل كلمة " الدعوة " اصطلاحا لهذا المعنى ، كما تستعمل كلمة " الدعاء " اصطلاحا للمعنى المراد في هذا البحث .

٤ - وان معنى " الدعاء " اصطلاحا هو : نداء الداعي لطلب شئ من المدعو الذي يعتقد به الداعي أن له سلطانا غيبيا وراء الأسباب العادية أوله قدرة الهبة فوق الطاقة البشرية ، سواء أكان يعتقد أن المدعو يستطيع ان يستجيب بقدرته الذاتية ،

أم بتأثيره وشفاعته ووساطته عند ذي القدرة الذاتية . وهذا هو المعنى المراد في هذا البحث .

٥ - وان الدعاء الاصطلاحي هو الدعاء العبادي لا الدعاء العادي أو هو الدعاء الشرعي لا الدعاء اللغوي ، وهذا هو ما سماه بعض العلماء بدعاء المسألة ، وأما ما ذكر من أن الدعاء نوعان : دعاء المسألة ودعاء العبادة - وما ذكر بينهما من التلازم وتضمن أحدهما الآخر ، فذلك باعتبار كون العبادة متضمنة معنى الطلب باستدعاء رضوان الله واستدفاع سخطه ، فتدخل في معنى الدعاء بهذا الاعتبار .

٦ - وان من اللفاظ التي تطلق في القرآن الكريم ويبريد منها معنى الدعاء الاصطلاحي : النداء ، والصلاة ، والجوار ، والابتهاال ، والتضرع .

٧ - وان الدعاء مشروع ، وأنه مستحب ومندوب إليه في كل وقت من الأوقات وفي كل حالة من الحالات ، وان دعاء الله وحده لا شريك له واجب في كل دعوة من الدعوات .

٨ - وان الدعاء هو العبادة ، وهذا ليس معناه : ان اعظم انواع العبادة - الدعاء ، او من أعظم أنواعها - الدعاء ، او انه هو العبادة اللغوية ، وانما معناه : ان الدعاء الاصطلاحي عبادة من العبادات الشرعية لا غير العبادة . ولذلك فانه ليس شيء أكرم على الله من الدعاء ، فيكون ذلك الشيء من الأشياء اما مساويا للدعاء كالعبادات الأخرى من الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد ونحوها ، واما دونه كالعبادات من كسب الرزق ليتنعم وغسل الجسم ليتبرد .

٩ - وان الدعاء من الأسباب ، والأسباب من القدر ، فالدعاء - اذن - من القدر ، ولهذا - فعلينا ان ننزع الحصري المقدمتين فقط :

(ان المدعوبه - ان كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه ، دعا به العبد
اولم يدع • وان كالم يكن قد قدر لم يقع سواء دعا به العبد اولم يدع •)
بطل علينا ان نقول بالمقدمة الثالثة ، وهي : (ان المدعوبه ان كان
قد قدر بسبب لم يكن بد من وقوعه به ، ولم يقع بدونه •)

١٠ - وان سبب الدعاء كالأسباب الأخرى ، وله تأثير
سببي الذي قدره الله به ، وليس معنى ذلك انه سبب مستقل بذاته
ولا مجرد الاقتران العادي الذي نصبه الله علامة مجردة على قضاء
الحاجة وان المؤثر الحقيقي هو الله وحده لا شريك له •

١١ - ان شأن الدعاء لعظيم وفضله لكثير ، لأنه - قبل
كل شيء - هو العبادة ، والعبادة هي التي لأجلها خلق الله
الجن والانس وللدعوة اليها بعث الرسل (عليهم الصلاة والسلام) • وهذا
الفضل ليس بعده فضل ، ولولم يكن للدعاء فضل الا هذا لكفى ، ولكن
له فضائل اخرى كثيرة من حيث انه من أكرم الأشياء على الله ، وانه
وسيلة من الوسائل لنيل محبة الله ومراضته ، وانه يرد القدر وينفع مما
نزل ومالم ينزل ، وانه منجاة من الهلاك وانه مفتاح ابواب الاجابة
والرحمة والجنة وانه سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات
والأرض •

١٢ - ان العلاقة بين الدعاء والعبادة هي علاقة وطيدة
أكيدة بحيث لا ينفصل واحد منهما عن الآخر : فالدعاء عبادة من
العبادات • والعبادات - سوى الدعاء - لا تخلو عن الدعوات
والدعاء سبب للعبادة والعبادة سبب للدعاء وهذه العلاقة منبئة
على علاقة الموم والخصوص ، وعلاقة السببية والمسببة ، والعلاقة
ان العبادات - سوى الدعاء كالصلاة وغيرها - قد اودع الشارع
الدعوات فيها •

١٣ - ان الدعاء افضل من السكوت مطلقا ، لأن الدعاء غير مناقض للرضا بالتدبر : فالدعاء قبل ان يقع والرضا بالقدر بعد ان يقع ، وفوق ذلك لأن الدعاء عبادة من العبادات ، والاتباع بالعبادة افضل من تركها ، والدعاء مع الرضا افضل من السكوت .

١٤ - ان الدعاء له اعتباران : اعتبار من حيث هو العبادة ، واعتبار من حيث هو المسألة ، فاجابة الدعاء من حيث هو العبادة تكون بمعنى الاثابة عليه ، واجابته من حيث هو المسألة - وان تم في اطاره تكون متنوعة ، فهي اما بتعجيلها في الدنيا واما بادخالها الى الآخرة .

١٥ - وان الاجابة التي كانت بتعجيلها في الدنيا :- فهي - اما بتحصيل عين المطلوب في الوقت المطلوب ، وهذا هو المتبادر في أذهان اكثر الناس

- واما بتحصيل غير المطلوب في الوقت المطلوب : كدفع شر بدله او اعطاء خير آخر خير من مطلوبه

- واما بتحصيل عين المطلوب في الوقت الغير المطلوب - لحكمة تقتضى تأخيرها :

كأن يعلم سبحانه وتعالى ان المطلوب شرعيه في حينه وخير له بعد حين من الدهر ، او انه خير له في حاضره ولكنه اكثر خيرا وأعظم تحقيا لمصلحته في مستقبله .

- واما بتحصيل غير المطلوب في الوقت الغير المطلوب ، لحكمة تقتضى ذلك : كأن يعلم سبحانه وتعالى ان المطلوب شرعيه مطلقا ، والشئ الآخر خير له بعد حين من الدهر .

١٦ - وإن الاجابة التي تكون بادخارها الى الآخرة :- فهي

- أما بتكفير الذنوب بقدر ما دعا

- وأما باعطاء الثواب الذي كان الداعي أحوج اليه في الآخرة أكثر من احتياجه الى مطلوبه في الدنيا .

١٧ - إن تنوع الاجابة كان لحكم جليلة بالغتها ، وذلك لأن

الانسان - في الحقيقة - جاهل بما ينفعه وما يضره . فقد يدعو ويطلب تحقيق مصلحة يراها هو من وجهة نظره خيرا له كل الخير ، ولكنها في الواقع - شر عليه ، ولهذا - فإن الله اللطيف بعباده الواسع الرحمة لهم - كان يتدخل - بإرادته ومشيئته - في اجابة دعائهم : ولا يعطيهم مطالبهم كلما سألوها ، بل يعطيهم ما هو يصلح او يصلح لهم ، وهذا حسب علمه تعالى ، والله هو السميع العليم .

١٨ - وإن من أرجى الأمور لاجابة الدعاء : حالة

السجود ، وحالة الاضطراب ، وحالة الغيب ، والحالة المظلومية وحالة السفر ، والحالة الوالدية (هذه من أرجى الحالات للاجابة) وما بين الأذان والاقامة ، ودبر الصلوات المكتوبة ، وساعة من ساعات الليل ، وساعة في يوم الجمعة (هذه من أرجى الأوقات للاجابة) . والعمل الصالح ، ودعاء الرجل الصالح (وهذان من أرجى الوسائل للاجابة) .

١٩ - وإن للداعي دبر الصلوات المكتوبة أن يراعي الأكداب

الآتية :-

١ - القعود على الهيئة قبل السلام بقدر قراءة : " اللهم أنت السلام ومنك

السلام . تباركت يا ذا الجلال والاکرام "

٢ - ثم الانصراف عن اليمين أو اليسار أو اقبال المؤمنين بالوجه

٣ - ثم تقديم الأذكار المشروعة دبر الصلوات .

٤ - ثم استقبال القبلة عند ارادة الدعاء .

٢٠ - وان ساعة الاجابة من ساعات الليل هي من بعد
مضى الثلث الأول من الليل الى طلوع الفجر ، وان النصف الآخر
أرجى من الثلثين ، وان الثلث الآخر أرجى من النصف ، وان أرجاها
كلها هي ساعة السحر التي قبل الفجر .

٢١ - وان أصح ما ورد في ساعة الاجابة في يوم الجمعة
ما بين أن يجلس الامام على المنبر الى أن تقضى الصلاة ، وان
أرجح الأقوال وأكثر الأحاديث فيها : ما بعد العصر الى أن تغرب
الشمس .

٢٢ - وان من شروط الدعاء : الاخلاص ، وان يكون
الداعي من عباد الله ، وألا يكون الدعاء في أغراض شريرة ، وألا يتمجل
الاجابة ، وألا يلبس الحرام .

٢٣ - وان من آداب الدعاء : التضرع ، والخوف ، والطمع
(وهذه من الآداب القلبية) . ورفع اليدين واستقبال القبلة ، والخفية ،
(هذه من الآداب من حيث كنهه) ، وحسن الاستفتاح والدعاء بالاسماء
الحسنى ، واختيار الجوامع من الدعاء ، والعزم في الدعاء . وختم
الدعاء بالتأمين (هذه من الآداب من حيث الفاظه وصفه)

٢٤ - وان رفع اليدين في الدعاء له ثلاثة أحوال :

- ١ - فاذا كان في الصلاة فلا يسن فيها الرفع الا في القنوت .
 - ٢ - واذا كان في خطبة الجمعة فلا يسن فيها الرفع الا للاستسقاء .
 - ٣ - واذا كان خارج الصلاة وفي غير الخطبة فيسن فيه الرفع .
- الا ما ورد من الدعوات المأثورة المختلفة كدعوات المشي

الى المسجد ودخوله وخروجه ونحوها .

٢٥ - وان من الدعوات المقرونة بالصلاة : الاستسقاء ،
والاستخارة ، وصلاة الحاجة .

والله ندعو حسن الخاتمة

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ان لا اله الا أنت ، استغفرك

واتوب اليك . صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين .

فهارس

○ فهرس الأعلام .

○ فهرس المراجع .

○ فهرس الموضوعات .

١ - فهرس الأعلام
رقم الصفحة

رقم الصفحة

١ - ابن

٢ - ابو

١٤١	ابو امامة الباهلي	٧٠	ابن ابى اوفى
١٥٨	ابو بردة الاشعري	٦٢	ابن ابى رافع
٥٨	ابو بكر الصديق	١٦٤	ابن الاثير
٢٢٧	ابو حميد الساعدي	٢٦	ابن ابياديس
٢٦٨	ابو حنيفة	٢٨	ابن تيمية
٩١	ابو خزيمة	١٦٥	ابن جرير الطبري
٦٣	ابو داود	١٨١	ابن الجزري
١٣١	ابو الدرداء	٢٨٩	ابن جماعة
٣	ابو ذر الغفاري	١٥٤	ابن حبان
٢٠٠	ابو رافع الصائغ	٣١	ابن حجر الحافظ
٢٦٣	ابو زهير النعمري	٢١٣	ابن حزم
١٦٦	ابو السعد	٦٨	ابن دقيق العيد
٨٦	ابو سعيد الخدري	٢١٠	ابن زيد الانصاري
٢٠١	ابو الطيب	٤٩	ابن عباس
١٨٩	ابو عامر الاشعري	١٦١	ابن عبد البر
٢٣١	ابو الفضل العراقي	٨٦	ابن عراق الكتاني
٨١	ابو القاسم القشيري	٢٤٠	ابن العربي المالكي
٢٢٨	ابو مسعود الانصاري	٥١	ابن عمر
٢٦٢	ابو مصبح المقراني	١٣	ابن فارس
١٥٧	ابو موسى الاشعري	٢٧٤	ابن قدامة
٣١	ابو هريرة	٢١	ابن القيم

٣ - الهمة

١٩٥	أبي اللحم	٢٠٥	ابن المبارك
٨٥	أبي بن كعب	٤٥	ابن مسعود
٧٣	احمد بن حنبل		
١٨	الأزهري		

رقم الصفحة

رقم الصفحة

٨٧	عطية العوفي	١٤ - الشين	
٦٠	على بن ابي طالب	الشافعي	٦٢
٢٦	على القارى	الشوكاني	١٥
١٧٢	عثمان بن حنيف	شريك بن عبدالله بن ابي نمر	١٧٤
١٩٧	عمارة بن ربيعة		
٥٨	عمر بن الخطاب	١٥ - الصاد	
١٣٩	عمرو بن العاص		
١٩٥	عمير مولى ابي اللحم	صفوان بن عبدالله	١٣١
٢٦٩	العيني	الصنعاني	٦٩
	١٨ - الغين	١٦ - الطاء	
٨٤	الفزالي	طارق بن اشيم الاشجعي	٢٥٣
		طاوس	٧٧
	١٩ - الفاء	الطبري	١٦٥
		الطبيبي	٣٩
٦٨	الفاكهي		
٢٤	الفخر الرازي	١٧ - العين	
٢٢٣	فضالة بن عبيد		
١٥	الفيومي	عائشة	٤٧
		عبادة بن الصامت	٨٩
	٢٠ - القاف	عباس بن عبد المطلب	١٧٧
		عبد الرحمن بن ابي ليلى	٢٢٥
١٥٣	القاضي عياض	عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ	٢٩
١٦١	القرطبي	عبد الرحمن بن يعمر الديلي	٣٨
		عبد الله بن الزبير	١٩٩
	٢١ - الكاف	عبد الله بن سلام	١٥٧
١٥٩	كعب الاحبار	عبد الله بن قيس	١٩٠
٢٢٥	كعب بن عجرة	العراقي ابو الفضل	٢٣١
		العز بن عبد السلام	١٨٢

رقم الصفحة

رقم الصفحة

	<u>٢٤ - الياء</u>		<u>٢٢ - الميم</u>
٢٠٤	يزيد بن سعيد	٥٧	مالك بن أنس
٩١	يعمر السعدى	٢٠١	مالك بن يسار
		٨٧	محمد بن الحسن الهمداني
		٢٧	محمد رشيد رضا
		٣	محمد عبد الوهاب
		٨٣	مرتضى الزبيدي
		٦٣	مسلم بن الحجاج
		١٤٢	معان بن جبل
			<u>٢٣ - النون</u>
		١٧	النسفي
		١	النعمان بن بشير
		٣٥	النووي

٢ - فهرس المراجع

١ - القرآن الكريم و تفاسيره وعلومه :-

المؤلف	الطبع	الكتاب
تنزيل رب العالمين		١ - القرآن الكريم
السيوطى	الهيئة المصرية العامة للكتاب	٢ - الاثقان في علوم القرآن
الحسين الداغاني دار العلم للملايين		٣ - اصلاح الوجوه والنظائر
ابو السعود	الطبعة الاولى / ١٩٧٠ م مطبعة السعادة	٤ - ارشاد العقل السليم المعروف بتفسير ابي السعود
الزركشى	١٣٩١ هـ دار احياء الكتب العربية	٥ - البرهان في علوم القرآن
ابن باديس	الطبعة الاولى / ١٣٧٦ هـ دار الفكر بيروت	٦ - تفسير ابن باديس
المحلى / السيوطى	المحلى / السيوطى دار المعرفة - بيروت	٧ - تفسير الجلالين
ابن كثير	دار المعرفة بيروت ١٣٨٨ هـ	٨ - تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير
ابن القيم	لجنة التراث العربى بيروت	٩ - التفسير القيم
محمد حسين الذهبي	دار الكتب الحديثة القاهرة الطبعة الاولى ١٣٨١ هـ	١٠ - التفسير والمفسرون
الطبرى	مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده - مصر الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ	١١ - جامع البيان المعروف بتفسير الطبرى
القرطبي	مطابع دار الشعب القاهرة	١٢ - الجامع لاحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي
السيوطى	المطبعة الميمنية - مصر	١٣ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور

- ١٤ - روح المعاني الألوسى إدارة الطباعة المنيرية .. بيروت
المعروف بتفسير الألوسى
- ١٥ - فتح القدير الشوكانى مطبعة مصطفى البابى الحلبي
واولاده - مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ /
- ١٦ - الكشاف الزمخشري مطبعة مصطفى البابى الحلبي
واولاده - مصر
- ١٧ - لباب التأويل الخازن دار الفكر بيروت
المعروف بتفسير الخازن
- ١٨ - مدارك التنزيل النسفى مطبعة عيسى البابى الحلبي
وشركاه - مصر
- ١٩ - معالم التنزيل البغوى دار الفكر - بيروت
المعروف بتفسير البغوى
- ٢٠ - مفاتيح الغيب الفخر الرازى المطبعة البهية المصرية
مصر الطبعة الثانية
- ٢١ - المفردات في غريب القرآن الراغب الاصفهاني المطبعة الفنية الحديثة
الزيتون ١٩٧٠ م
- ٢٢ - مناهل العرفان الزركشى دار احياء الكتب العربية
الطبعة الاولى ١٣٧٦ هـ
- ٢ - الخديث الشريف وشروحه وعلومه :
- ٢٣ - الاحسان في تقريب صحيح الامير علاء الدين مطبعة المجد بعابدين ،
ابن هبان الفارسي الطبعة الاولى / ١٣٩٠ هـ
- ٢٤ - احكام الاحكام ابن دقيق العيد المكتبة السلفية - المدينة المنورة
(مع العدة)

- ٢٥ - الادب المفرد البخارى مطابع الارشاد الحديثة
(مع الفضل) - حمص ١٣٨٨ هـ
- ٢٦ - ارشاد السارى القسطلاني المطبعة الكبرى الاميرية
شرح صحيح البخارى الطبعة السادسة / ١٣٠٤ هـ
- ٢٧ - بلوغ المرام - من ادلة ابن حجر المكتبة التجارية الكبرى -
الاحكام (مع سبل السلام) مصر، الطبعة الرابعة
- ٢٨ - تحفة الاحوذى - في المباركورى مطبعة المدني - القاهرة
شرح جامع الترمذى الطبعة الثانية / ١٣٨٣ هـ
- ٢٩ - تدريب الراوى - في شرح السيوطى دار الكتب الحديثة - القاهرة
تقريب النووى الطبعة الثانية / ١٣٨٥ هـ
- ٣٠ - الترغيب والترهيب المنذرى دار الفكر - بيروت
الطبعة الثانية / ١٣٩٣ هـ
- ٣١ - تقريب الاسانيد وترتيب ابو الفضل العراقى دار المعارف - سورية
المسانيد (مع طرح التثريب)
- ٣٢ - التقريب والتيسير - لمعرفة النووى دار الكتب الحديثة - القاهرة
سنن البشير النذير (مع التدريب) الطبعة الثانية / ١٣٨٥ هـ
- ٣٣ - التقييد والايضاح في شرح العراقى مطبعة العاصمة القاهرة
مقدمة ابن الصلاح الطبعة الاولى / ١٣٨٩ هـ
- ٣٤ - التلخيص (مع مستدرك الذهبى شركة علاء الدين - بيروت
الحاكم)
- ٣٥ - تنزيه الشريعة المرفوعة - ابن عراق الكنانى مطبعة عاطف
عن الاخبار الشنيعة الموضوعة الطبعة الاولى / ١٣٧٥ هـ
- ٣٦ - جامع الترمذى الترمذى مطبعة المدني - القاهرة
(مع تحفة الاحوذى) الطبعة الثانية / ١٣٨٣ هـ

- ٣٧ - الجامع الصغير - في السيوطي دار المعرفة - بيروت
احاديث البشير النذير
الطبعة الثانية / ١٣٩١ هـ
- ٣٨ - حاشية السندی السندی المطبعة المصرية بالازهر
(على سنن النسائي)
الطبعة الاولى / ١٣٤٨ هـ
- ٣٩ - دليل الفالحين - في ابن علاثة الصديقي مطبعة مصطفى البابي الحلبي
شرح رياض الصالحين
اولاده - القاهرة، الطبعة
الاخيرة ١٣٩١ هـ
- ٤٠ - رياض الصالحين النور مطبعة مصطفى البابي الحلبي
اولاده - القاهرة، الطبعة
الاخيرة / ١٣٩١ هـ
- ٤١ - سبل السلام الصنعاني المكتبة التجارية الكبرى مصر
الطبعة الرابعة
- ٤٢ - سنن ابن ماجة ابن ماجة دار احياء الكتب العربية
١٣٧٢ هـ
- ٤٣ - سنن ابي داود ابو داود مطابع المجد - القاهرة
(مع عون المعبود)
الطبعة الثانية / ١٣٨٨ هـ
- ٤٤ - سنن الدارمي الدارمي دار احياء السنة النبوية
الطبعة مجلس دائرة المعارف
- ٤٥ - السنن الكبرى البيهقي النظامية - الهند، الطبعة الاولى
١٣٤٤ هـ
- ٤٦ - سنن النسائي - النسائي المطبعة المصرية - بالازهر
المسمى بالمجتبى او
الطبعة الاولى ١٣٤٨ هـ
- (مع شرح السيوطي وحاشية السندی)
٤٧ - شرح الزرقاني على الزرقاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي
موطأ مالك
اولاده - مصر، الطبعة الاولى
١٣٨١ هـ

- ٤٨ - شرح السنة البغوى المكتب الاسلامي ١٣٩١ هـ
٤٩ - شرح السيوطى (على النسائى) السيوطى المطبعة المصرية بالازهر ،
الطبعة الاولى ١٣٤٨ هـ
٥٠ - شرح مسلم - المسمى النوى مطابع دار الشعب - القاهرة
بالمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج .
٥١ - صحيح ابن حبان - المسمى ابن حبان مطبعة المجد بعابدين ،
بالمسند الصحيح على الطبعة الاولى ١٣٩٠ هـ
التقاسيم والانواع (من الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان)
٥٢ - صحيح ابن خزيمة - المسمى ابن خزيمة مطابع دار القلم - بيروت
بمختصر المختصر من المسند الطبعة الاولى / ١٣٩٩ هـ
الصحيح عن النبي (صلى الله عليه وسلم)
٥٣ - صحيح البخارى (مع البخارى مطبعة مصطفى البابي الحلبي
واولاده - مصر ، الطبعة
الاخيرة / ١٣٨٢ هـ
٥٤ - صحيح مسلم (مع شرح مسلم مطابع دار الشعب - القاهرة
النوى) ١٣٩٠ هـ
٥٥ - طرح التثريب في شرح ابو الفضل العراقي / دار المعارف - سورية
التقريب أبو زرعة العراقي
٥٦ - عارضة الاحوذى ابن العربي الطالكي مطبعة الصاوى بدرب الجمايز
١٣٥٣ هـ
٥٧ - العدة على احكام الاحكام الصنعاني المكتبة السلفية - المدينة المنورة
٥٨ - عمدة الاحكام عبد الغنى المقدسى المكتبة السلفية - المدينة المنورة
(مع العدة)

- ٥٩ - عمدة القارى - في
العمينى
ادارة الطباعة الصغيرة
١٣٤٨ هـ
- ٦٠ - عون المصنوع - في
ابوالطيب
مطابع المجد - القاهرة
الطبعة الثانية / ١٣٨٨ هـ
- ٦١ - الفائق في غريب الحديث الزمخشري
مطبعة عيسى البابي الحلبي
وشركاه - مصر الطبعة الثانية
- ٦٢ - فتح البارى - في
ابن حجر الحافظ
مطبعة مصطفى البابي الحلبي
واولاده - مصر الطبعة
الاخيرة / ١٣٨٧ هـ
- ٦٣ - فضل الله الصمد -
في شرح الأدب المفرد
فضل الله الجيلانى
مطابع الارشاد الحديثة -
حمص ١٣٨٨ هـ
- ٦٤ - الفوائد المجموعة
الشوكانى
المطبعة السنبة المحمدية
الطبعة الاولى ١٣٨٠ هـ
- ٦٥ - فيض القدير - في
المناوى
دار المعرفة - بيروت
الطبعة الثانية / ١٣٩١ هـ
- ٦٦ - كشف الخفاء ومزيل
اللباس
العجلونى
دار احياء التراث العربى بيروت
الطبعة الثانية / ١٣٥١ هـ
- ٦٧ - اللآلى المصنوعة
السيوطى
المكتبة التجارية الكبرى - مصر
الطبعة الاولى / ١٣٥٢ هـ
- ٦٨ - مجمع الزوائد
الهيثمى
دار الكتاب العربى - بيروت
الطبعة الثانية / ١٩٦٧ هـ
- ٦٩ - مرآة المفاتيح - في
على القارى
مطبعة محمد عبد العزيز
واولاده - بمبنى ،
شركة علاء الدين - بيروت
- ٧٠ - المستدرك
الحاكم
شركة علاء الدين - بيروت
- ٧١ - مسند الامام احمد
احمد بن حنبل
المطبعة الميمنية - مصر ١٣١٣ هـ

- ٧٢ - مقدمة ابن الصلاح في ابن الصلاح
علوم الحديث (مع التقييد والايضاح)
مطبعة العاصمة - القاهرة
الطبعة الاولى / ١٣٨٩ هـ
- ٧٣ - منتقى الاخبار (مع ابن تيمية /
نيل الاوطار) (عبد السلام)
مطبعة مصطفى البابي الحلبي
واولاده - مصر، الطبعة الاخيرة
- ٧٤ - الموطأ (مع شرح
الامام مالك
الزرقاني)
مطبعة مصطفى البابي الحلبي
واولاده - مصر، الطبعة
الاولى / ١٣٨١ هـ
- ٧٥ - نصب الراية - في
الزيلعي
تخريج احاديث الهداية
مطبعة دار المأمون - الهند
- ٧٦ - النهاية في غريب
ابن الاثير
الحديث
مطبعة مصطفى البابي الحلبي
واولاده - مصر - الطبعة
الاخيرة .
- ٧٧ - نيل الاوطار - في شرح
الشوكاني
منتقى الاخبار

٣ - التوحيد والفقه والتصوف والاذكار :

- ٧٨ - اتحاف السادة المتقين مرتضى الزبيدي
في شرح احياء علوم الدين
المطبعة الميمنية مصر ١٣١١ هـ
- ٧٩ - احياء علوم الدين
الغزالي
(مع اتحاف السادة المتقين)
المطبعة الميمنية مصر ١٣١١ هـ
- ٨٠ - الازكار المنتخبة من
النووي
كلام سيد الابرار (صلى الله عليه وسلم)
مطبعة مصطفى البابي الحلبي
واولاده - مصر، الطبعة الرابعة /
- ٨١ - الاسماء والصفات
البيهقي
دار احياء التراث العربي -
بيروت
- ٨٢ - اقتضاء الصراط المستقيم ابن تيمية (احمد)
مطبعة الحكومة - مكة المكرمة

- ٨٣ - الأُم الشافعي مطابع دار الشعب - القاهرة
- ٨٤ - بدائع الفوائد ابن القيم ادارة الطباعة المنيرية
- ٨٥ - تحفة الذاكرين - بعدة الشوكاني دار الكتب العلمية - بيروت
- الحصن الحصين
- ٨٦ - تيسير العزيز الحميد الشيخ سليمان مكتبة الرياض الحديثة آل الشيخ
- ٨٧ - جلاء الافهام ابن القيم دار الطباعة المحمدية بالازهر
- ١٣٩٢ هـ
- ٨٨ - الجواب الكافي لمن ابن القيم دار الكتب العلمية - بيروت
- سأل عن الدواء الشافي
- ٨٩ - الدين الخالص صديق حسن القنوجي مطبعة المدني - مصر ١٣٧٩ هـ
- ٩٠ - الرسالة القشيرية ابو القاسم القشيري
- ٩١ - زاد المعاد ابن القيم المطبعة المصرية
- ٩٢ - شرح العقيدة الطحاوية الطحاوي المكتب الاسلامي بيروت
- الطبعة الرابعة / ١٣٩٢ هـ
- ٩٣ - صيانة الانسان - عن السهسواني المطبعة السلفية، الطبعة
- وسوسة الدحلان
- ٩٤ - عدة الحصين الحصين ابن الجزري دار الكتب العلمية - بيروت
- (مع تحفة الذاكرين)
- ٩٥ - عمل اليوم والليلة ابن السني مكتبة الكليات الازهرية القاهرة
- ١٣٨٩ هـ
- ٩٦ - فتح القدير - في ابن الهمام المطبعة الكبرى الاميرية مصر
- شرح الهداية -
- ٩٧ - فتح المجيد الشيخ عبدالرحمن المكتبة السلفية - المدينة المنورة
- آل الشيخ

- ٩٨ - الفتوحات الربانية ابن علان مطبعة المعاهد - مصر
 في شرح الاذكار النووية الصديقي الطبعة الاولى / ١٣٥١ هـ
 ٩٩ - قواعد الاحكام في العز بن عبد دار الشرق - القاهرة
 مصالح الأنام السلام ١٣٨٨ هـ
 ١٠٠ - كتاب التوحيد - فيط الشيخ محمد بن مطبعة محمد علي صبيح
 يجب في حق الله على العبيد عبد الوهاب واولاده بالازهر ١٣٨٠ هـ
 ١٠١ - المحلى ابن حزم المكتب التجارى - بيروت
 ١٠٢ - المجموع في شرح المذهب النووي مطبعة الامام - مصر
 ١٠٣ - مجموع فتاوى ابن تيمية (احمد) مطابع الرياض
 الطبعة الاولى ١٣٨١ هـ
 ١٠٤ - مختصر المزنى المزنى مطابع دار الشعب القاهرة
 ١٠٥ - المدونة الكبرى الامام مالك مطبعة السعادة - بجوار
 محافظة مصر .
 ١٠٦ - المغنى ابن قدامة المطبعة الفجالة الجديدة -
 القاهرة ١٣٨٨ هـ
 ١٠٧ - المذهب (مع المجموع الشيرازى مطبعة الامام - مصر
 النووي)
 ١٠٨ - الهداية في شرح المرغينانى المطبعة الكبرى الاميرية -
 مصر الطبعة الاولى ١٣١٥ هـ
 بداية المبتدى

٤ - كتب اللغة والفهارس والتراجم والجرح والتعديل :

- ١٠٩ - الاستيعاب - في ابن عبد البر مكتبة نهضة مصر - القاهرة
 معرفة الاصحاب
 ١١٠ - أسد الغابة - في ابن الاثير مطابع دار الشعب - القاهرة
 معرفة الصحابة . ١٣٩٠ هـ

- ١١١ - الاصابة - في تمييز الصحابة
ابن حجر المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٥٨ هـ
- ١١٢ - الأعلام
خير الدين الزركلي مطبعة الاوفست - بيروت الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ
- ١١٣ - تاج المروس
مرتضى الزبيدي دار مكتبة الحياة - بيروت
- ١١٤ - تاريخ بغداد
الخطيب البغدادي دار الكتاب العربي - بيروت
- ١١٥ - تذكرة الحفاظ
الذهبي دار احياء التراث العربي ، الطبعة الرابعة ١٣٧٤ هـ
- ١١٦ - تهذيب تاريخ دمشق الكبير
ابن عساكر مطبعة روضة الشام ، ١٣٢٩ هـ
- ١١٧ - تهذيب التهذيب
ابن حجر مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند الطبعة الاولى / ١٣٢٥ هـ
- ١١٨ - تهذيب اللغة
الازهرى دار القومية العربية ١٣٨٤ هـ
- ١١٩ - الجرح والتعديل
ابو حاتم الرازي مطبعة مجلس دائرة المعارف العشمانية - الهند الطبعة الاولى / ١٣٧١ هـ
- ١٢٠ - الدرر الكامنة
ابن حجر دار الكتب الحديثة بعبدين
- ١٢١ - الصحاح - المسمى بتاج اللغة وصحاح العربية
الجوهري مطابع دار الكتاب العربي مصر
- ١٢٢ - الصلة
ابن بشكوال مطابع سجل العرب - القاهرة
- ١٢٣ - الضوء اللا مع
السخاوي دار مكتبة الحياة - بيروت
- ١٢٤ - الطبقات الكبرى
ابن سعد دار صادر / دار بيروت بيروت ١٣٧٧ هـ

- ١٢٥ - القاموس الاسلامي احمد عطية مكتبة النهضة المصرية - القاهرة
الله ١٢٨٣ هـ
- ١٢٦ - القاموس المحيط الفيروز آبادي المطبعة المنيرية
الطبعة الثالثة / ١٣٠٢ هـ
- ١٢٧ - لسان العرب ابن منظور دار بيروت
- ١٢٨ - لسان الميزان ابن حجر شركة علاء الدين - بيروت
الطبعة الثانية / ١٢٩٠ هـ
- ١٢٩ - المصباح المنير الفيومي مطبعة مصطفى البابي الحلبي
واولاده مصر ١٣٦٩ هـ
- ١٣٠ - المعجم المفهرس لا لفاظ طائفة من الحديث المستشرقين
- ١٣١ - المعجم المفهرس محمد فؤاد مطبعة دار الكتب المصرية
عبد الباقي ١٣٦٤ هـ
- ١٣٢ - معجم مقاييس اللغة ابن فارس مطبعة مصطفى البابي
الحلبي واولاده مصر
- الطبعة الثانية / ١٣٨٩ هـ
- ١٣٣ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال الذهبي دار احياء الكتب العربية
الطبعة الاولى / ١٣٨٢ هـ
- ١٣٤ - نفح الطيب من غصن التلمساني دار الكتاب العربي - بيروت
الاندلس الرطيب
- ١٣٥ - وفيات الاعيان ابن خلكان مطبعة الفريث - بيروت

٣ - فهرس الموضوعات

الموضوعات	رقم الصفحة
المقدمة	
أهمية الدعاء	١ - ١٢
عناية العلماء بموضوع الدعاء	١
- المفسرون	٥
- المحدثون وشرح الحديث	٥
- علماء التوحيد	٧
- علماء التصوف	٨
الحاجة الى بحث جديد	٩
سبب اختيار الموضوع	٩
منهج البحث	١٠
خطة البحث	١٠
الباب الأول	
الفصل الاول	
معنى الدعاء واطلاقاته في القرآن الكريم	١٣ - ١٨١
- طلب الاحضار	١٤
- النداء والطلب والاستغفار والسؤال	١٥
- الاستمانة على المعارضة	١٦
- النداء الى الطعام	١٧
- النسب	١٨
- التسمية	١٩
- القول ، التمني	٢١

الموضوعات	رقم الصفحة
- الطلب والاستعجال	٢٢
- نداء الهلاك ، العبادة	٢٣
- الحث على الشيء (الدعوة)	٢٥
- سوءال كشف ضر او جلب نفع (الدعاء)	٢٥
المراد بالدعاء في هذا البحث وتعريفه في الاصطلاح	٢٦
- دعاء المسألة ودعاء العبادة	٢٧
الفاظ اخرى التي تدل على معنى الدعاء المراد في هذا البحث	٢٩
- النداء	٢٩
- الصلاة	٣٠
- الجوار	٣١
- الابتهاى	٣٢
- التضرع	٣٣

الفصل الثاني

٢٩ - ٣٤

مشروعية الدعاء	٣٤
- هل الدعاء واجب او مندوب اليه	٣٥
فضل الدعاء	٣٧
- الدعاء هو العبادة وما معناه ؟	٣٧
- الدعاء من اكرم الاشياء على الله	٤٣
- الدعاء وسيلة لنيل محبة الله ومرضاته	٤٤
- الدعاء يرد القدر وينفع مما نزل ومما لم ينزل	٤٦
- الدعاء منجاة من الهلاك	٤٩
- الدعاء مفتاح ابواب الاجابة والرحمة والجنة	٥١
- الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض	٥٢

٥٤	علاقة الدعاء بالعبادة
٥٤	- علاقة العموم والخصوص
٥٦	- علاقة السببية والمسببية
٥٦	الدعوات في الصلاة
٥٧	- دعوات الاستفتاح
٦٣	- الدعاء في الفاتحة
٦٥	- الدعاء في الركوع
٧٠	- الدعاء في الاعتدال
٧١	- الدعوات في السجود
٧٤	- الدعاء بين السجدين
٧٦	- الدعوات بين التشهد الأخير والسلام
٧٨	- الدعوات الواردة المطلقة في الصلاة

٨٠ - ٩٦ الفصل الثالث

٨٠	أثر الدعاء وفائدته
٨١	- هل الدعاء افضل من السكوت ؟
٨٤	شبهات حول اثر الدعاء وفائدته والرد عليها
٨٤	- الشبهة الاولى والرد عليها
٨٨	- الشبهة الثانية والرد عليها
٩٠	- الشبهة الثالثة والرد عليها
٩٢	هل الدعاء من الاسباب ؟
٩٣	- كيف يكون الدعاء من الاسباب ؟

٩٧ - ١٢٢

الفصل الرابع

- ٩٧ اجابة الدعاء وما ههناها ؟
- ٩٨ شروط الاجابة
- ٩٨ - الاخلاص
- ١٠١ - ان يكون الداعي من عباد الله
- ١٠٢ الاستجابة لله
- ١٠٤ الايمان بالله
- ١١٠ - ألا يكون الدعاء في اغراض شريرة
- ١١٢ - الا يتعجل الاجابة
- ١١٤ - ألا يلا بس الحرام
- ١١٦ تنوع الاجابة وكيف يكون ذلك ؟
- ١١٨ - تفجيل الاجابة في الدنيا
- ١١٨ - ادخار الاجابة الى الآخرة
- ١١٩ حكمة تنوع الاجابة

١٢٣ - ١٨١

الفصل الخامس

- ١٢٣ أرجى حالات الاجابة
- ١٢٣ - حالة السجود
- ١٢٦ - حالة الاضطرار
- ١٣١ - حالة الغيب
- ١٣٤ - الحالة المظلومية
- ١٣٥ - حالة السفر
- ١٣٦ - الحالة الوالدية

١٣٧	أرجى اوقات الاجابة
١٣٧	- ما بين الاذان والاقامة
١٤١	- دبر الملوات المكتوبة
١٥١	- ساعة من ساعات الليل
١٥٦	- ساعة في يوم الجمعة
١٦٣	أرجى وسائل الاجابة
١٦٣	- معنى الوسيلة لغة وشرعا
١٦٥	- التوسل بالعمل الصالح
١٧٢	- التوسل بدعاء الرجل الصالح
١٨٠	أرجى مواطن الاجابة

٢٩٢ - ١٨٢

الباب الثاني

١٨٨ - ١٨٣

الفصل الاول

١٨٣	آداب الدعاء القلبية
١٨٣	- التضرع
١٨٥	- الخوف والطمع

٢١٩ - ١٨٩

الفصل الثاني

١٨٩	آداب الدعاء من حيث كفيته
١٨٩	- رفع اليدين

شبهة حول رفع اليدين في الدعاء

١٩٣ والرد عليها

١٩٧ شبهة اخرى والرد عليها

صفة اليدين من حيث باطنهما وظاهرهما ٢٠١

٢٠٣ مسح الوجه بعد الفراغ من الدعاء

- ٢٠٧ استقبال القبلة -
- هل يجوز رفع البصر الى السماء عند الدعاء ٢١٢٩
- ٢١٥ الخفية ، ومعناها -
- ٢٢٠ - ٢٦٣ الفصل الثالث
- ٢٢٠ آداب الدعاء من حيث الفاظه وصيغته
- ٢٢٠ حسن الاستفتاح -
- ٢٢٤ الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)
- ٢٣٤ الدعاء بالاسماء الحسنى وما هي ؟ -
- ٢٤٤ الدعاء بالاسم الاعظم
- ٢٤٧ اختيار الجوامع من الدعاء -
- ٢٥٤ الحزم في الدعاء -
- ٢٥٥ التكرار والاكتار في الدعاء
- ٢٥٧ ألا يخلق الدعاء على المشيئة
- ٢٦٠ ختم الدعاء بالتأمين -

- ٢٦٤ - ٢٩٢ الفصل الرابع
- ٢٦٤ آداب اخرى مقرونة بالصلاة
- ٢٦٤ ١ - الاستسقاء وتعريفه
- ٢٦٤ الاستسقاء بالدعاء المجرد
- ٢٦٥ الاستسقاء في خطبة الجمعة
- ٢٦٨ الاستسقاء المقرون بالصلاة
- ٢٧٣ * صفة صلاة الاستسقاء
- ٢٧٤ - وقتها
- ٢٧٥ - أذانها وإقامتها وخطبتها

- ٢٧٧ - كيفية ركعتي الاستسقاء
- ٢٧٨ - القراءة والجهر بها
- ٢٧٩ - استقبال القبلة و تحويل الرءاء
- ٢٨١ - التوسل في الاستسقاء
- ٢٨٢ ٢ - الاستخارة وتعريفها
- ٢٨٥ الحض على الاستخارة
- ٢٨٦ صلاة الاستخارة ودعاءها
- ٢٨٦ القراءة في صلاة الاستخارة
- ٢٨٨ * ما يفعله المستخير بعد الاستخارة
- ٢٩٠ ٣ - صلاة الحاجة وكيفيتها

٢٩٩ - ٢٩٣

الخاتمة

٣٢١ - ٣٠٠

فهارس الرسالة

- ٣٠٠ فهرس الاعلام
- ٣٠٤ فهرس المراجعع
- ٣١٥ فهرس الموضوعات